تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 266 ديسمبر 2021

خمسون وخمسون..
ريادة وتفوق

إرهاصات الوحدة الإماراتية
قبل قيام الاتحاد

دولة الإمارات قوادمها التألق
وخوافيها الازدهار

عام الخمسين والعمق التاريخي
لشعار اكسبو الأثري

أهمية الاتحاد
في فكر الشيخ زايد وحياته

زايد.. الشخصية الاستثنائية

أنواع الغوص على اللؤلؤ
في دولة الإمارات

سيرة المسرح الإماراتي
في مسيرة الخمسين

إكسبو 2020 دبي يحتضن العالم وثقافاته

الإمارات... تحتفل
وتستشرف المستقبل بمبادئ الخمسين

يعتبر هذا العام، الذي جاء ليحمل شعار «**عام الاستعداد للخمسين**»، عاماً استثنائياً تحتفل فيه دولة الإمارات العربية المتحدة بمناسبة مرور 50 عاماً على نشأة الدولة الاتحادية.ومن خلال الإنجازات التنموية الكبيرة التي تحققت في الخمسين سنة الأولى من عمر الدولة، فدولة الإمارات اليوم تتطلع إلى استقبال الخمسين عاماً المقبلة برؤية مفعمة بالتفكير الواضح والخطط المستقبلية.

تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة في مسيرتها التنموية إلى الحفاظ على ما حققته من إنجازات في توفير الحياة الكريمة لمواطنيها وتعزيز ذلك ببرامج وخطط مستقبلية طموحة، تعزز ما سعى له الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه، ورعاه من بعده صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة - حفظه الله - والذي اعتمد في أكتوبر الماضي «مبادئ الخمسين»، وهي عبارة عن مبادئ عشرة تعد بمثابة رؤية شاملة ومتكاملة ترسم المسار الاقتصادي والسياسي والتنموي والإنساني للإمارات، وواضعة على قمة أهدافها تعزيز أركان الاتحاد، كما تعبر عن تطلعات دولة الإمارات العربية المتحدة للمستقبل وطموحها الكبير لتحقيق الريادة العالمية، وصولاً لتحقيق هدفها في «**مئوية الإمارات 2071**» بأن تكون دولة الإمارات العربية المتحدة أفضل دولة في العالم.

تتضمن بنود المبادئ التي سترسم مستقبل الإمارات: بناء أفضل بيئة اقتصادية عالمية، وتوفير أفضل حياة لشعب الاتحاد، وترسيخ السمعة العالمية لدولة الإمارات، وترسيخ الإمارات كعاصمة للمواهب والشركات والاستثمارات في المجالات العلمية والتقنية والرقمية، بالإضافة إلى ترسيخ السلام والاستقرار الإقليمي والعالمي، والعمل على بناء مؤسسات عابرة للقارات تحت مظلة الإمارات، وتطوير التعليم والعلاقات السياسية والاقتصادية. وتتضمن تلك المبادئ التزامات دولة الإمارات العربية المتحدة بأن تبقى قائمة على الانفتاح والتسامح وحفظ الحقوق والكرامة وداعمة عبر سياستها الخارجية لكل المبادرات والتعهدات والمنظمات العالمية الداعية للسلم والأخوة الإنسانية، وستسعى مع الشركاء الإقليميين والأصدقاء العالميين لترسيخ السلام والاستقرار الإقليمي والعالمي.

ومن خلال المبادئ الإماراتية العشرة والتي سيكمن من خلالها المستقبل، وتزامناً مع احتفالات دولة الإمارات العربية المتحدة بيوبيلها الذهبي، والتي لم تعد مجرد احتفال بحدث ذكرى التأسيس وإنما قصة ملهمة يجب أن تروى للعالم أجمع بما تحويه من قيم، وقع اختيارنا على هذا الموضوع ليكون ملفاً لعدد مجلة «تراث» لهذا الشهر، وكلنا أمل بأن تستمتعوا بموضوعات العدد الثرية والمتنوعة.

شمسة الظاهري
رئيس التحرير

86
أدب ونقد

قراءة في «ماء» مريم جمعة فرج

ماذا عن حسّ الأهواء وسيميائه كمُحرّض كتابي عند القاصة الراحلة مريم جمعة جمعة فرج؟ ماذا عنه كمحرك خفي يفرض نفسه على التخيّر البدائي العميق للتعبير عن الروح والكائنات والطرائق المهمشة، وفق ميل لا شعوري نحو موضوعات وجودية كونية أولى؟ بعد أن اخترتُ كقارئة أن أرصد انطباعيًا سيمائية الأهواء عند مريم جمعة فرج من خلال مجموعتها القصصية (ماء)، الصادرة عن دار ورق، 2014م، تساءلتُ إن كانت هناك فكرة من هذا القبيل تمضي في هذا المجرى تحديدًا، في الدراسات والنظريات النقدية المعاصرة؟... لولوة المنصوري

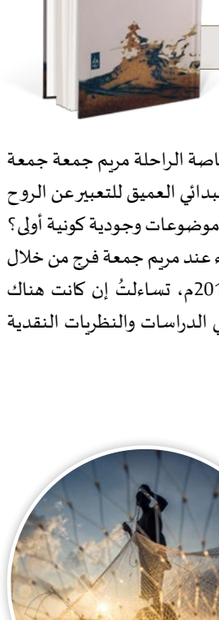

118
دراسات إماراتية

أنواع الغوص على اللؤلؤ في دولة الإمارات

قبل أكثر من قرن من الزمان، عرف سكان المنطقة في ساحل الإمارات الغوص على اللؤلؤ، وأهميته في اقتصاد المنطقة، لا سيّما على الصعيد الشخصي للأفراد الذين يعانون أشد المعاناة من هذه الرحلة الطويلة التي تستغرق أربعة أشهر وعشرة أيام، يلاقون خلالها الأهوال والشدائد، وربما قضى بعضهم نحبه في هذه الرحلة، وربما نجا ووصل إلى أهله ولكن بخسارة المال والصحة، والمطالبة بمال النوخذا وهو القواظ ذلك المبلغ النقدي المدفوع مقدما للغيص أو السيب، ويكون عليه رادي أي مبلغ معين يجب عليه ردّه للنوخذا في رحلة أخرى للغوص دائما ما تعرف بغوص القحّة، وربما وصل سالماً ولكن لا له ولا عليه، وربما عاد بمبلغ زهيد لا يسرّ ولا يضر.. فهد علي المعمري

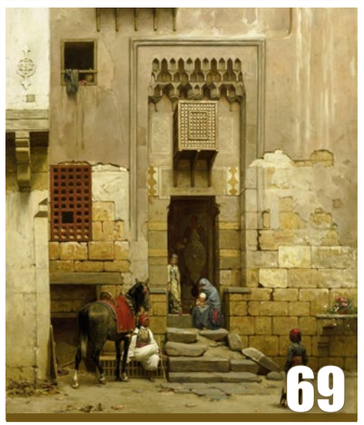

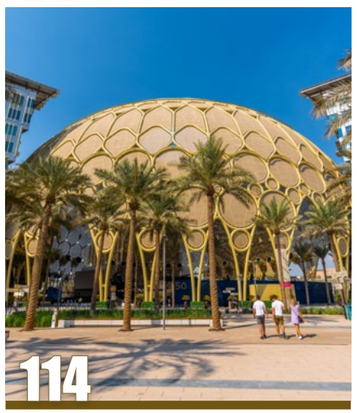

بشموخ الواثق في منجزه ورؤيته، تُودع دولة الإمارات العربية المتحدة الخمسين الأولى من مسيرة اتحادها المبارك، وتستقبل الخمسين الجديدة، منطلقة كدأبها، تحت راية قيادتها الرشيدة وسواعد أبنائها المخلصين، نحو مستقبلها المنشود.

من يتأمل فلسفة المنهج الذي تعاملت به القيادة الرشيدة لدولتنا الحبيبة، مع عتبة الخمسين: 2021 الفاصلة بين خمسين مضت وأخرى مقبلة، يكتشف أن هذا المنهج قد لخص - ببراعة فائقة - المحاور الفكرية الأساسية في نهج دولة الإمارات العربية المتحدة، منذ إرهاصات تأسيسها، على يد المغفور له الراحل الكبير الشيخ زايد، والآباء المؤسسين، رحمهم الله.

وهو منهج علمي منضبط، يقرأ ويحلل ويخطط ويُنجز بأدوات العصر وعلومه، يؤطره أنموذج قيمي، مستمد بوعي من منظومة حضارة الأجداد الذين عاشوا على هذه الأرض. وفوق كل ذلك إيمان راسخ برسالة الإنسان التي حددها الخالق جل شأنه، وهي عمران الأرض.

لقد جعلت القيادة الرشيدة من عام الخمسين عتبة تلخيص واستخلاص لمنجزات الخمسين الماضية، وتقطيرها في محاور واضحة يمكن البناء عليها، للمضي في مسيرة العمل الفذ للخمسين المقبلة.

وقد انعكست هذه الخطوة في الخلاصة الفكرية الراقية التي تمثلت في المبادئ العشرة التي أعلنتها الدولة، لتكون دليلًا يقود منظومة العمل والإنتاج، لتعظيم الفائدة وتوحيد الاتجاه نحو الأهداف المرسومة بعناية.

في عددنا الحالي من مجلة «تراث» استلهمنا هذه الرؤية العظيمة، وأردنا أن تكون مشاركتنا في التعبير عن الفخر والسعادة بعام الخمسين، ملفًا يلخص بعض علامات الخمسين الماضية، في عدد من الحقول المرتبطة بالتراث، لتكون عتبة إنجاز للخمسين الجديدة نحو المستقبل المنشود، وأسميناه «خمسون وخمسون.. ريادة وتفوق»، وهي السمة التي انسحبت على بقية مواد العدد التي كانت المشاركة فيه لنخبة مميزة من الباحثين والكتاب من أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة، ومن العرب المقيمين على أرضها ممن عايشوا التجربة عن قرب ليكون عدد ديسمبر 2021 من مجلة تراث هديتنا لدولتنا الحبيبة في عيدها الذهبي. حفظ الله الإمارات تحت راية وحدتها.

فلاح محمد الأحبابي

رئيس نادي تراث الإمارات

محتويات العدد

تراث الشهر

8 يوم العلم رمز الاتحاد والهوية الوطنية
9 محاضرة حول «**المجمع الثقافي ذاكرة وطن**»
10 ملتقى «**سهيل البحري**» التاسع
11 انطلاق احتفالات نادي تراث بعيد الاتحاد الخمسين

68 يوم الشهيد - محمد بن أحمد خليفة السويدي
69 العبدري من المغرب الأقصى إلى البيت المعمور - محمد عبد العزيز السقا
78 أضواء على اللغات السامية القديمة - راشد سعيد مبارك
80 الأخلاق في التراث الإنساني - فيبي صبري
82 أصداء الذاكرة والبحث عن هوية تحت قصف العالم - د. حمزة قناوي
86 قراءة في «ماء» مريم جمعة فرج - لولوة المنصوري
90 رمزية البحر في التراث الأدبي الإماراتي - د.صديق جوهر
96 سيرة المسرح الإماراتي في مسيرة الخمسين (1 - 2) - عصام القاسم
102 محمد خليفة بن حاضر - مريم النقبي
104 معهد الشارقة للتراث وجهود حماية التراث - علي تهامي
108 الحيوان في المخيال الإنساني - شريف مصطفى
110 طرائق نغميّة جديرة بانتباهنا - مصطفى سعيد
114 إكسبو 2020 دبي يحتضن العالم وثقافاته - فاطمة عطفة
116 فنّا الموسيقى والرسم - د. نورة المزروعي
118 أنواع الغوص على اللؤلؤ في دولة الإمارات - فهد المعمري
121 الحكايات المغنّاة - د. عبد العزيز المسلّم
122 نادي تراث الإمارات يشارك في معرض الشارقة الدولي للكتاب
126 الإمارات والخمسون المقبلة
128 ندوة إحياءً لذكرى رحيل المغفور له الشيخ سلطان بن زايد
130 في معنى الدولة وأهاليها - د. فاطمة حمد المزروعي

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأميركية وكندا 5 دولارات.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

96
دراسات إماراتية

سيرة المسرح الإماراتي في مسيرة الخمسين (1 - 2)

يمكن لمتتبع المشهد المسرحي الإماراتي أن يلاحظ الدور الحيوي الذي لعبته (وما زالت تلعبه) الدولة في تمكين هذا الفن من كل الوسائل والفرص التي تعزز مكانته وترتقي بإمكانياته؛ فمنذ تأسيس دولة الاتحاد أوائل سبعينيات القرن الماضي حظي المسرح بأشكال متنوعة من الدعم والتحفيز من الدوائر والهيئات الثقافية حتى ينجز حضوره ويتقدم في مشواره؛ لقد تنامى كل ذلك وتتابع على مدى خمسة عقود سابقة، وهو تساوق وتكامل مع إرادة الفنان المسرحي الإماراتي ورغبته في القيام بدور هادف وبناء في نهضة مجتمعه وتطوره... عصام أبو القاسم

104
مؤسسات من الإمارات

معهد الشارقة للتراث وجهود حماية التراث محليًا ودوليًا

تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة، مكانة رفيعة في مجال الحفاظ على التراث، وتوظيفه في خدمة المجتمع، وصونه ونقله للأجيال الجديدة، وذلك عبر مراكز ومؤسسات وأندية تعمل على جمع التراث بكل أشكاله وألوانه.. وتوثيقه.. ووضع الخطط اللازمة لربط الحاضر بالماضي.. ولعل في مقدمة تلك المؤسسات نادي تراث الإمارات، ومعهد الشارقة للتراث، وغيرهما من المراكز الحكومية والخاصة.. حيث تتفرد الإمارات بتلك المراكز التي أنشأها مثقفون وأكاديميون بهدف المساهمة في الحفاظ على التراث.. ودراسته.. وتعظيم الاستفادة منه في بناء الوطن.. علي تهامي

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

رئيس التحرير
شمسة حمد الظاهري

مدير التحرير
وليد علاء الدين

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
مدير التحرير: walid@ehcl.ae
هاتف: 024092200 - 024456456

يوم العلم رمز الاتحاد والهوية الوطنية

إعداد - قسم الإعلام

احتفل نادي تراث الإمارات بيوم العلم الذي يصادف الثالث من نوفمبر من كل عام والذي يتزامن مع ذكرى تولي صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة «حفظه الله»، مقاليد الحكم، وتم رفع علم الدولة في جميع مراكز وفروع النادي، بشكل متزامن، وبمشاركة المديرين التنفيذيين ومديري الإدارات والموظفين في مقر النادي بالبطين والقرية التراثية ومراكزه في أبوظبي والعين والسمحة.

ورفع حميد سعيد بولاحج الرميثي مدير عام النادي أسمى آيات التهنئة إلى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله» وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله» وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وإخوانهم أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات، وإلى شعب الإمارات بهذه المناسبة الوطنية. وقال إن احتفالات الدولة بيوم العلم تعكس مشاعر الوحدة والسلام وتعزز الشعور بالانتماء للوطن، وترسخ صورته المشرفة، ويطيب لنا في هذه المناسبة أن نعرب عن فخرنا واعتزازنا بدولتنا الغالية وقيادتنا الرشيدة التي لا تدخر جهداً من أجل نهضة الدولة في كافة المجالات ومن أجل إسعاد شعب الإمارات. وأضاف إن مشاهد الاحتفال في نادي تراث الإمارات تجسد قيمة الوفاء للوطن وتؤكد دور النادي في التفاعل مع الأحداث الوطنية وحرصه على تعزيز الهوية الوطنية والحفاظ عليها. من جانبه قال محمد جمعة المنصوري المدير التنفيذي للخدمات المساندة إن يوم العلم هو مناسبة وطنية مميزة يحتفل بها جميع فئات المجتمع، ويشكل محطة مهمة لتجديد الولاء والانتماء للوطن وقيادته الرشيدة، ويرسخ وحدة الأهداف والمبادئ للحفاظ على منجزات الوطن ومكتسباته. وضمن احتفالات النادي بيوم العلم نظم مركز زايد للدراسات والبحوث في العين جلسة حوارية بعنوان «يوم العلم رمز الاتحاد والهوية الوطنية» شارك فيها الدكتور سالم محمد بن ركاض العامري عضو المجلس الوطني الاتحادي سابقاً، والدكتورة سعاد زايد العريمي رئيس قسم الحكومة والمجتمع بجامعة الإمارات بحضور علي عبد الله الرميثي المدير التنفيذي للدراسات والإعلام في نادي تراث الإمارات والأستاذة فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث وعدد من المسؤولين والضيوف ■

محطات بارزة في تاريخ الإمارات

تزامناً مع احتفالات الدولة بعامها الخمسين، أطلقَ نادي تراث الإمارات على حساباته في مواقع التواصل الاجتماعي، برنامجاً افتراضياً بعنوان «محطات بارزة في تاريخ الإمارات». ويقدم البرنامج سلسلة من المعلومات التاريخية عن سيرة الآباء المؤسسين لدولة الإمارات العربية المتحدة، والمحطات التاريخية المهمة في مسيرة النهضة، والتطور التاريخي لأعلام الدولة.

نظمها مركز زايد للدراسات والبحوث

محاضرة حول «المجمع الثقافي ذاكرة وطن»

إعداد قسم الإعلام

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات يوم السابع والعشرين من شهر أكتوبر الماضي، في مقره بالبطين، محاضرة ضمن موسمه الثقافي جاءت بعنوان «المجمع الثقافي في أبوظبي ذاكرة وطن»، تحدثت فيها الباحثة والكاتبة الدكتورة خولة حسن الحديد، وأدارها بدر الأميري المدير الإداري في المركز.

وألقت فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث كلمة أشارت فيها إلى أن المجمع الثقافي «يحتل مكانة خاصة في الخريطة الثقافية للدولة، حيث يعد من أهم المؤسسات الثقافية بها، وشاهداً على تطور القطاع الثقافي في مدار الخمسين عاماً الماضية». وأضافت: «لذا من المناسب اليوم ونحن نحتفي بالخمسين أن نقف عند منجزات هذا المجمع ومكتسباته ونقوم بتوثيقها وعرضها حتى تظل نبراساً للخمسين عاماً المقبلة».

فيما أشار بدر الأميري إلى أن المجمع الثقافي منجز حضاري يقف شاهداً على البصيرة النافذة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» وتصميمه على صياغة مستقبل ثقافي لشعب الإمارات. وأضاف أن المجمع «أصبح خلال فترة وجيزة القلب النابض للمدينة والمجتمع بأسره ورمزاً للتقدم الثقافي ليحتل مكانة كبيرة دولياً وإقليمياً». وقال الأميري إنه عند ذكر المجمع الثقافي «لابد من الوقوف عند رجال زايد الأوفياء الذين أسهموا في تأسيس هذه المنارة الثقافية، وقفة تقدير وإجلال، ونذكر منهم معالي أحمد خليفة السويدي ممثل صاحب السمو رئيس الدولة رئيس مجلس أمناء المجمع الثقافي، ومعالي محمد حمروش السويدي العضو المفوض للمجمع، والشاعر والأديب سعادة محمد أحمد خليفة السويدي الذي كان أمينه العام».

وتحدثت خولة الحديد عن بدايات انضمامها إلى فريق العمل في المجمع الثقافي الذي وصفته بأنه كان تعبيراً مبكراً عن مفهوم الدبلوماسية الثقافية، حيث ركزت على الأثر الثقافي للمجمع محلياً وعالمياً لاسيما في مجالات الفنون التشكيلية والسينما وتنظيم المعارض والمسابقات العالمية، كما فصلت أدواره في مجالات الفكر والأدب ودعمه المستمر للفاعلين في هذه الحقول بمختلف الأشكال، بجانب رعايته للفعاليات المجتمعية المحلية المتنوعة ودعمه الكامل لها. وتناولت خولة الأدوار التعليمية والاجتماعية للمجمع الثقافي التي سمحت له بتجاوز الهوة بين المثقف والمجتمع المدني، مشيرة إلى أن عدداً من مبادرات المجتمع ومؤسساته تشكلت داخل المجمع، كما كان للمجمع دور داعم للباحثين بتوفير كل المعينات التي يحتاجونها. كما قدمت وصفاً تفصيلياً لمنشآت ومرافق وقاعات المجمع في كل طابق وأدوارها وطبيعة عملها وإنجازاتها مثل المرسم، ومركز الأطفال، ودار الكتب الوطنية، وقاعة المطالعة، وغيرها. كما قدمت نبذة عن الوحدات التنظيمية للمجمع وأقسامه مثل قسم الثقافة، وقسم الفنون، وشعبة المسرح والموسيقى، وغيرها. وركزت خولة أيضاً على الدور المهم الذي لعبه المجمع الثقافي في إثراء المشهد الثقافي في الإمارات والدول العربية عبر دار الكتب الوطنية، التي حظيت منشوراتها بانتشار واسع لدى القراء، لتسهم بجانب بقية مؤسسات المجمع الموسيقية والتشكيلية في خلق مكانة مميزة للمجمع ولأبوظبي عالمياً. واختتمت خولة بقراءة كلمة للأديب الموريتاني الراحل محمد ولد عبدي عن المجمع الثقافي، من على غلاف كتابها «المجمع الثقافي في أبوظبي: الحيز السعيد» الصادر من دار العوام للطباعة والنشر بدمشق وتناولت فيه المجمع الثقافي وتأثيراته في المحيط المحلي والإقليمي والعالمي وتجربتها ومشاهداتها في الفترة التي عملت فيه ■

نظمه نادي تراث الإمارات

ملتقى «سهيل البحري» التاسع

إعداد قسم الإعلام

نظم مركز أبوظبي الشبابي التابع لنادي تراث الإمارات يوم التاسع والعشرين من شهر أكتوبر الماضي، فعاليات ملتقى «سهيل البحري» التاسع في مقر النادي في البطين بمشاركة العديد من الطلاب المنتسبين للنادي.

تعرف الطلاب خلال مشاركتهم في الملتقى إلى أهم ملامح التراث البحري وشاركوا في سلسلة من النشاطات الثقافية والفنية وورش العمل التي ركزت على أساليب الصيد التي كان يتبعها الأجداد، وأنواع ومسميات الأسماك المحلية، وطريقة تمليح الأسماك بعد صيدها لتخزينها لفترات طويلة، وتجربة الغوص على اللؤلؤ وتعرفة المشاركين على الأدوات المستخدمة لفلق المحار ومسمياتها وغيرها من المهن التقليدية المرتبطة بالتراث البحري. وأكد أحمد مرشد الرميثي، مدير مركز أبوظبي الشبابي، المنسق العام للملتقى أن نادي تراث الإمارات يحرص على ترسيخ التراث الإماراتي لدى الأجيال الجديدة وتعريفهم بالمناخ الذي عاش فيه الآباء والأجداد وذلك عبر مجموعة من الأنشطة والورش التثقيفية الهادفة، كي يبقوا على تواصل دائم ومعرفة بتراث آبائهم وأجدادهم.

وأشار بدر محمد الحسني المشرف العام على فعاليات الملتقى بأنها تجربة تعليمية وتراثية، تعمل على استكشاف الأدوات البحرية التي كانت تستخدم قديمًا، بطريقة فيها الكثير من التشويق والمتعة، وتسلط الضوء على العديد من المهن الإماراتية التي تحكي تاريخ الآباء والأجداد.

وأضاف «لقد أبدى المشاركون في الملتقى حماساً وتفاعلاً مع الأنشطة التي تعرفوا من خلالها إلى الكثير من المعلومات التراثية البحرية وكل ما يتعلق بهذه البيئة التي تمثل أحد أركان البيئات القديمة والتي تحفل باهتمام بالغ، فهي تعبر عن أهمية البحر في حياة أبناء الدولة ومدى ارتباطهم بالصيد ورحلات الغوص» ■

انطلاق احتفالات نادي تراث الإمارات بعيد الاتحاد الخمسين

خاص - قسم الإعلام

انطلقت الشهر الماضي، احتفالات نادي تراث الإمارات بعيد الاتحاد الخمسين للدولة، وتستمر حتى التاسع عشر من شهر ديسمبر الجاري.

شهد مسرح أبوظبي على كاسر الأمواج، ضربة البداية لبرنامج الاحتفال في العاشرة صباح يوم الأحد السابع والعشرين من شهر نوفمبر، بحضور سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي مدير عام النادي، وسعادة محمد جمعة المنصوري المدير التنفيذي للخدمات المساندة، وسعادة علي عبد الله الرميثي المدير التنفيذي للدراسات والإعلام.

وعزف في الاحتفال السلام الوطني، وألقى سعيد المناعي مدير إدارة الأنشطة بالنادي كلمة رفع فيها أسمى آيات التهاني والتبريكات، إلى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وإلى أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد أصحاب السمو حكام الإمارات، بمناسبة العيد الوطني الخمسين لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وجدد المناعي تعهد نادي تراث الإمارات بالعمل في المرحلة المقبلة، مستظلاً بما حملته المبادئ الواردة في وثيقة الخمسين، مشدداً على التزام النادي بالسير في طريق زايد، والالتزام بموجهات الدولة كافة، في القيام بدوره من أجل رفعة وخير الوطن.

ألقى الشاعر محمد بن يعروف المنصوري قصيدة وطنية، أعقبها عرض فيديو بعنوان «التراث في خمسين عاماً»، سلط الضوء على الإنجازات الفريدة التي حققتها الدولة في الخمسين عاماً الماضية، وعوامل نجاح نادي تراث الإمارات في القيام بدوره في حفظ التراث وصونه ونقله للأجيال. وكرّم النادي المدربين التراثيين تقديراً لجهودهم المتميزة في نقل التراث إلى الناشئة.

وفي القرية التراثية التابعة للنادي، انطلقت الرقصات والأهازيج الشعبية والعروض الحية لتعليم الحرف اليدوية وأنشطة الألعاب الشعبية والرسم والتلوين للأطفال، وعزفت موسيقى شرطة أبوظبي مقطوعات تجاوب معها الحضور، استهلالًا لاحتفالية امتدت حتى الأول من ديسمبر الجاري.

وشارك مركز زايد للدراسات والبحوث بمعرض صور يؤرخ لتأسيس الدولة وقيام الاتحاد، ومعرض لإصداراته في حقول الثقافة والتراث والتاريخ والشعر النبطي، وأعداد مجلة «تراث» التي يصدرها النادي. وشارك مركز أبوظبي الشبابي بعرض لأدوات الصيد والغوص واللؤلؤ، وقدم المدربون التراثيون شروحاً حول الصيد والصيادين وكيفية صنع الشباك وفلق المحار.

كما شارك كل من مركز السمحة الشبابي ومركز الوثبة والقرية التراثية بعرض الصقارة، الذي جذب الزوار والسياح لالتقاط الصور التذكارية مع الطيور. وشارك مركز أبوظبي النسائي بعرض لـ «زهبة العروس»، والحرف اليدوية «التلي، والغزل، والخوص»، وركن خاص للأطفال. وشارك مركز السمحة النسائي بالأشغال اليدوية النسائية والأكلات الشعبية. وقدم مركز العين النسائي مشغولات يدوية وعرضاً للأعشاب والخلطات النباتية البرية والجبلية التي تستخدم في علاج الأمراض.

ويمتد برنامج احتفالات النادي باليوم الوطني إلى التاسع عشر من الشهر الجاري، ويتضمن أنشطة ثقافية وتعليمية وفنية، وسوقًا شعبية يحتضنها مقر مركز زايد للدراسات والبحوث بالبطين، تحت عنوان «ملتقى الخمسين التراثي الثقافي» ■

بشرت لعلام بالعيد السعيد

بشرت لعلام بالعيـــد السعيد — رفرفـــت في يوم عيد الاتحاد
وانشرت لفـــراح باليوم المجيد — بشرت بفـــراح وبيوم الأسعاد
ظهـــرت الدوله بملبوس جديد — والفخر والسعـــد بالأفراح زاد
طلـــت الأفـــراح في يوم فريد — واغمـــرت بالسعد قلوب العباد
نحمـــد الله يوم قالوا اليوم عيد — رمز دولتنا ويـــا خيـــر الأعياد
والتهاني من قريب ومـــن بعيد — للرئيس اللي رفـــع صرح البلاد
زايد المغوار له باس شديد — للعروبة ذخـــر ولشعبه اسناد
له التهاني عـــد ما صيغ النشيد — وعد سيل يـــاد وبله واستياد
يوم اصـــرح بالتهاني في القصيد — سافط الأبيات من صـم الفواد
حق شيخ صاحب العليا الوحيد — له اكـــرر بالتهاني في الأنشـــاد
صاحب الطولات له المولى شهيد — في حـــما الأوطان باذل لجتهاد
واصبح العـــمران كل يوم يزيـــد — والتطـــور عـــم خيـــره بالوكاد

القصيدة للشاعر سعيد بن كلفوت بن سرور بن مهيله الشامسي وهي من إحدى القصائد التي أعدها بمناسبة العيد الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة. ولد بن كلفوت عام 1939 وتوفي في 1998، حفظ القرآن الكريم في مدارس الكتاتيب ثم التحق بمدارس الشرطة وتعلم أساسيات القراءة والكتابة. وكانت بداية حياته العملية في شركات البترول في مناطق داس وطريف بأبوظبي مع نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وكان يعمل معه العديد من الشعراء فكانت بداياته معهم عن طريق المجاريات والشكاوى. وقد برع في الشعر الغزلي واشتهر بقصائد «الرزيف» وهي القصائد التي تؤدى على لحن خاص مصحوباً بالعزف.

ملف

خمسون وخمسون.. ريادة وتفوق

14 إرهاصات الوحدة الإماراتية قبل قيام الاتحاد - د. خالد بن محمد مبارك القاسمي
22 دولة الإمارات قوادمها التألق وخوافيها الازدهار - د. هيثم الخواجة
26 مسيرة اتحاد الإمارات - موزة سيف المطوع
28 2 ديسمبر.. يوم العطاء - مريم سلطان المزروعي
32 الإمارات العربية المتحدة.. حكاية أمة لا تعرف المستحيل - عبدالعليم حريص
36 خمسون وخمسون - فاطمة المزروعي
38 عام الخمسين والعمق التاريخي لشعار إكسبو الأثري- عبدالله عبدالرحمن الحمادي
46 أهمية الاتحاد في فكر الشيخ زايد وحياته - علي كنعان
48 أمة بحجم المستقبل - عبد الفتاح صبري
52 زايد.. الشخصية الاستثنائية - د. منّي بونعامة
56 شعراء ومثقفون إماراتيون - صلاح أبو زيد
60 خمسون عامًا من الإبداع - عزت عمر
60 مشروع المواءمة بين الأصالة والمعاصرة ونجاعة المسيرة - خالد صالح ملكاوي

إرهاصات الوحدة الإماراتية قبل قيام الاتحاد

د. خالد بن محمد مبارك القاسمي

لا شك أن سياسة التعاهد البريطانية كانت سبباً رئيسياً في تمزق وتجزئة الإمارات العربية؛ حيث ظهرت تجمعات قبلية تنتمي إلى أسس إقليمية أو جغرافية، لا يربطها إلا وحدة المكان فقط، وذلك على الرغم من وحدة الجذور والدين والتاريخ، وقد حدث ذلك على أثر تفكك الاتحادين الكبيرين، القواسم وبني ياس، ذلك لأن بريطانيا كانت قد وضعت نصب أعينها - منذ اتفاقية 1820م، والتي أُطلق عليها معاهدة السلام العامة[1] - هدفاً واحداً، وهو تفكيك تلك الوحدة؛ حيث أصرت على توقيع شيوخ المنطقة على تلك الاتفاقية، كل منهم منفرداً، وليس فقط زعيم القواسم أو زعيم بني ياس. وكانت تهدف من وراء ذلك إلى توزيع قوة كل منهما على ما عداهم من الشيوخ، وذلك كي لا تواجه خطر أي قوة متحدة في المنطقة؛ فظهرت إمارة الشارقة، التي ضمت إليها لفترة إمارة رأس الخيمة، وفي نفس العام ظهرت إمارة أم القيوين، التي تولى زعامتها آل علي، كذلك ظهرت إمارة عجمان، التي تولى زعامتها الشيخ راشد بن حميد من آل النعيم، بالإضافة إلى آل نهيان في أبوظبي، والبوفلاسة في دبي[2].

وهذه التجمعات الجديدة، وإن شئنا الدقة، انقسامات الشعب الإماراتي، كان لبريطانيا اليد العليا في تدعيمها، سواء عن طريق تأجيج الصراعات، أو بتأكيدها استقلالية هذه الكيانات الصغيرة عن طريق إبرام الاتفاقات الثنائية. وإمعاناً في استمرار هذا الوضع، عمدت إنجلترا، تحت دعوى الإبقاء على الأوضاع الراهنة، على الوقوف في وجه أي محاولة للاتحاد بين الكيانات السياسية في المنطقة، كما هو الحال عندما ضربت الاتحاد الذي قام بين كل من إماراتي عجمان وأم القيوين بحجة أن هذا الاتحاد يهدف إلى إعادة القرصنة.

وفي الثلاثينيات من القرن الماضي بدأت أهمية المنطقة النفطية في الظهور، فأخذت الشركات البريطانية تعمل جاهدة من أجل الحصول على امتيازات البحث والتنقيب عن الثروة النفطية، تلك الامتيازات التي أكدت ودعمت التفرقة بين إمارات الساحل المتصالح. وقد أدى ظهور هذه الثروة إلى العمل إلى رسم حدود ثابتة بين كل إمارة وأخرى، ليس حباً في هذه الإمارات، ولكن كي لا

تثور المنازعات بين الشركات الأوربية العاملة في مجال استخراج النفط. مما كان له أكبر الأثر على تأكيد الانفصال بين المشيخات في المنطقة. ولكن، وفي ظل سياسة بريطانيا الهادفة إلى تقسيم الإمارات وتجزئتها، وفي ظل الخلافات والنزاعات الداخلية التي نشبت بين الإمارات، والتي أججتها بريطانيا، كان هناك دائما بارقة أمل لرأب صدع الخلافات والنزاعات والتفكك تمهيدا للوصول إلى الأصل، وهو وحدة هذه الإمارات، وهو ما تم على مراحل، كان لكل مرحلة ظروفها وأهدافها كما سنرى لاحقاً.

الجهود الوحدوية للشيخ زايد بن خليفة

شهدت أبوظبي في عهد الشيخ زايد بن خليفة (زايد الكبير) تطوراً سياسياً واضحاً، أهلها إلى تبوء مركز القيادة والريادة في منطقة الساحل المهادن وشرق الجزيرة العربية نصف قرن من الزمان، وتبرز هذه الحقيقة من خلال علاقات أبوظبي بباقي مشيخات الساحل؛ فالمشيخات المحلية المجاورة سلمت بتفوق أبوظبي وزعيمها الشيخ زايد بن خليفة، واعتبرته قائداً أعلى ومرجعاً يلجؤون إليه لحل خلافاتهم ومشاكلهم[3]. وهذا راجع للخبرة السياسية بأحوال الساحل، والتي اكتسبها الشيخ زايد بن خليفة خلال فترة إقامته في دبي[4].

حاول الشيخ زايد بن خليفة توحيد إمارات الساحل، وقد أقلق المسؤولين البريطانيين ما جاءهم من تقارير عن اتساع نفوذ الشيخ زايد في الظاهرة وبين البادية في داخل الإمارات. وهنا بدأت سياسة بريطانيا ضد خطط الشيخ زايد بن خليفة، وكان لها أثرها في فشل محاولته لبسط نفوذه على إمارات الساحل أواخر سنوات حكمه في بداية القرن العشرين.

وتشهد الوثائق الفرنسية بأن زايداً كان - بصفته أعظم القادة في

حدائق العين الجنة في الإمارات

عصره - يمارس قوة ونفوذاً لا مثيل لهما شرق الجزيرة العربية. وبفضل شجاعته وإقدامه، وسياسته ومؤهلاته - كرجل دولة - وصف بأنه: «شيخ عربي أصبح نموذجاً للحاكم الأسطوري في الشرق الأوسط». ولما يحظى بالاحترام لصفاته القيادية التي لا مثيل لها، فقد امتد نفوذه إلى ما وراء حدود مشيخته من الظفرة وحتى الظاهرة. ولم تكن أوامره تحظى بالطاعة والاستجابة من بني ياس في الساحل وفي المناطق الداخلية فحسب؛ بل إنه كان يحظى بالاحترام على طول الساحل العربي كأقوى شخصية في عمان المتصالح[5].

وكانت بريطانيا على علم بخطط الشيخ زايد الكبير وطموحاته الوحدوية، فحالت من دون تحقيقها بشتى السبل، مما اضطره إلى أن يتبع سياسة معادية لبريطانيا وهي في أوج قوتها وهيمنتها على الخليج، وأراد التخلص من نفوذها بالسعي لإقامة علاقات مع فرنسا، لكن هذه المحاولات لم تنجح في التخلص من السيطرة البريطانية[6]. ولقد كان من الأسباب التي أدت إلى هذا الموقف البريطاني ضد خطط الشيخ زايد بن خليفة أن محاولة توحيد الساحل تحت لوائه كانت تتعارض مع السياسة البريطانية التقليدية وهي المحافظة على الوضع الراهن من تفتت الساحل إلى إمارات مستقلة صغيرة. ولقد كشفت زيارتا كوكس، المقيم السياسي البريطاني في الخليج، للساحل المتصالح، في عام 1902 وعام 1904م، لأول مرة للمسؤولين البريطانيين مدى نمو نفوذ زايد في الإمارات والداخل، وهو أمر لم يكن يتوقعونه. ورأى كوكس أن نفوذ زايد قد أضعف مكانة الإمارات الغافرية المجاورة له. وانتهى كوكس من دراسة لأحوال الساحل في هاتين الزيارتين إلى رأي واضح عام 1905م، وهو أنه إذا لم تحافظ بريطانيا على توازن القوى في الساحل وتوقف امتداد نشاط الشيخ زايد بن خليفة، فإنه يخشى أن تطلب القبائل الغفارية ذات الميول الوهابية العون من الأمير عبدالعزيز بن سعود الذي دخل وقتذاك الرياض، وأحدث انتصاره تبدلات جذرية في الموقف السياسي في داخل الجزيرة العربية. وقال كوكس إنه إذا لن يحد من نفوذ زايد في الساحل فإن الموقف محفوف بالمخاطر بالنسبة للمصالح البريطانية[7]. ولعل أبرز حدث يشهد على ميل الشيخ زايد الكبير نحو الاتحاد، هو الاجتماع الذي دعا إليه كافة حكام الإمارات وانعقد في منطقة «الخوانيج» بدبي في إبريل 1906م، وبعد محادثات ومناقشات استمرت عدة أيام تم الاتفاق مبدئياً على حل الإشكالات التي اجتمع الحكام من أجلها[8].

جزيرة نخلة جميرا الاصطناعية على البحر . دبي . الإمارات العربية المتحدة

جبل الحفيت في العين . أبوظبي

مشروع بريطاني لتوحيد الإمارات

بعد ظهور النفط في منطقة الخليج العربي شعرت بريطانيا أن السياسة التي كانت تنتهجها، والمعروفة بـ «فرق تسد»، لم تعد صالحة لتحقيق مصالحها في منطقة إمارات الساحل المتصالح، لذا اتبعت سياسة جديدة ترتكز على خلق كيان سياسي جديد يضم إمارات هذا الساحل، ليس رغبة منها في اتحاد هذه الإمارات اتحاداً فعلياً يعود على تلك الإمارات بالنفع والتقدم، ولكن كان جل هدفها هو خلق كيان واحد جديد يدور في فلكها تستطيع التعامل معه والسيطرة عليه بدلا من أن تلهث وراء شيوخ الإمارات المتفرقة.

تبلورت لدى بريطانيا فكرة توحيد الإمارات العربية في فترة ظهور المصالح الأميركية في المنطقة في ثلاثينيات القرن الماضي؛ حيث حصلت الشركات الأمريكية على استغلال النفط في البحرين والسعودية ونصف حصص الأسهم في الكويت، ونسبة 23,75 % من أسهم شركة النفط الإنجليزية الإيرانية التي تعمل في كل من قطر وإمارات الساحل وسلطنة مسقط وعمان[9]. لذلك نشطت الدبلوماسية البريطانية في تلك الفترة وفكرت في وسيلة تؤكد استمرار المصالح البريطانية في المنطقة، لاسيما استغلال النفط. فلجأت إلى تحقيق نوع من الاتحاد بين الإمارات العربية، فظهر المشروع البريطاني لتوحيد الإمارات وكان ذلك في عام 1937م، وإن كان قد بقي من دون تنفيذ. وقد تحددت أهداف الاتحاد المقترح بما يلي[10]:

1 - توحيد مشروعات التعليم.

2 - توحيد أنظمة البريد والتلغراف.

3 - إنشاء قوة عسكرية منظمة تكون مستقلة داخل كل إمارة وتخضع لقائد عسكري واحد.

4 - توحيد الأنظمة القانونية للإمارات.

5 - تكوين مجلس أعلى يمثل فيه كل شيخ من شيوخ الإمارات.

6 - تكوين جمعية يكون أعضاؤها منتخبين أو معينين (أو الاثنين معا) من قبل كل شيخ، وتكون مهمتها اقتراح القوانين المالية، والمصادقة على مشروعات القوانين التي يوافق عليها المجلس الأعلى. ولكن هذا المشروع كان مشروعاً خيالياً لا يمت إلى الواقع بأي صلة، ذلك لأنه لم يكن هناك أي إمارة بها لا مشروع من مشروعات التعليم ولا أنظمة قانونية حتى يمكن توحيدها. كذلك لم تكن الإمارات مؤهلة بعد للأخذ بالنظام النيابي. وبالجملة فقد جاء المشروع بعيداً كل البعد عن الواقع الذي كانت تعيشه الإمارات في تلك الحقبة.

إنشاء مجلس الإمارات المتصالحة:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية دخلت السياسة البريطانية تجاه الخليج العربي مرحلة إعادة تقييم، ولاسيما تجاه الإمارات

أبوظبي

المتصالحة، حيث ركزت السياسة البريطانية، بعد الانسحاب من الهند، على حماية مصالحها في المنطقة والمتمثلة في: البترول، والخط الجوي الذي يمر بالساحل العربي من الخليج حيث قواعده الرئيسة في البحرين والشارقة. وتمثلت الإدارة في نقل المقيم السياسي البريطاني من بوشهر إلى البحرين عام 1947م، كما تم إنشاء قوة عسكرية في عام 1951م عرفت باسم قوة ساحل عمان»[11]. واتساقاً مع السياسة البريطانية السالف بيانها، حثت الحكومة البريطانية، في سنة 1952م، الإمارات الواقعة على ساحل عمان على إنشاء مجلس أُطلق عليه «مجلس الإمارات المتصالحة» Trucial states council كتنظيم سياسي يجمع بينهم ويهدف إلى تنسيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومعالجة الأمور ذات الطبيعة المشتركة للإمارات. وكان مجلس الإمارات المتصالحة يتكون من جميع حكام الإمارات المتصالحة ويجتمع دورياً مرتين في السنة إلا إذا دعت الحاجة لعقد اجتماعات استثنائية لأمور طارئة.

أما رئاسة هذا المجلس فكانت بين يدي المعتمد السياسي البريطاني. ولم تكن لهذا المجلس أي سلطات فعلية بل كانت مهامه تقتصر على تقديم المشورة فيما يتعلق بالأمور العامة مثل التعليم والصحة والتنمية، ولم يوضع لهذا المجلس دستور مكتوب وكانت بريطانيا تتعاون مع إمارة أبوظبي فيما يتعلق بتمويله. والقرارات التي كان يصدرها المجلس لم تكن ملزمة ونافذة تلقائيا داخل الإمارات وإنما كانت تنفذ بواسطة كل حاكم داخل إمارته أو بواسطة المعتمد السياسي البريطاني عندما يراها مناسبة[12]. **وينبغي علينا التأكيد على التالي:**

- إن بريطانيا لم تكن تهدف من وراء إنشاء هذا المجلس إلى قيام اتحاد عربي قومي يرعى مصالح المنطقة بقدر ما كانت تهدف إلى قيام اتحاد يحقق أهداف سياستها.
- إن استمرار هذه المحاولة كان محكومًا برغبة بريطانيا أو عدمها.
- إن مجلس الإمارات المتصالحة وإن كان مهد الطريق أمام حكام المنطقة للتشاور والتنسيق وخلق جوًا من الثقة المتبادلة إلا أنه في الواقع كان محاولة حكومية محكوم عليها بالفشل لعوامل منها افتقاره إلى السلطة التنفيذية وافتقاره إلى الموارد المالية.
- لم يستطع المجلس أن يخطو بالوضع السياسي أكثر مما رسمته بريطانيا وظل بعيدًا عن تحقيق أي خطوة وحدوية فعالة، فظلت الأنظمة والإدارة والنقد محلية متباينة من إمارة لأخرى[13].
- لمجلس الحكام المتصالحة مرحلتان حددتهما السياسة البريطانية؛ حيث كان الهدف في بداية إنشائه في خمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي يتمثل في التركيز على الهيمنة البريطانية وإدارة الأمور لدى الحكام بالتوجيهات التي تطرح عليهم بطرق غير مباشرة من قبل الساسة البريطانيين، لكن هذا الهدف تغير بعد عام 1965م؛ حيث بدأت بريطانيا بجعل المجلس كإدارة عربية محلية وبرئاسة أحد الشيوخ أعضاء المجلس. هذا بالإضافة إلى إنشاء مجلس التطوير واللجنة التشاورية-الاستشارية لدعم المجلس وجعله أداة عربية تهيئ المنطقة لمرحلة ما بعد الانسحاب البريطاني[14].
- ورغم كل هذه المآخذ إلا أن المجلس كان خطوة على طريق ظهور اتحاد الإمارات، لأن اجتماعاته عملت على بناء سياسة إدارية مشتركة بين حكام الإمارات.

مكتب تطوير الإمارات المتصالحة:

لجأت بريطانيا إلى تطوير مجلس الإمارات المتصالحة فيما بعد عام 1964م، حيث تم تشكيل مجلس استشاري Deliberative council يضم ممثلاً أو اثنين عن كل إمارة ، وتكون مهمته فحص وإعداد الاقتراحات والموضوعات التي سيبحثها مجلس الإمارات المتصالحة ، كذلك فقد جرت محاولة تمويل هذا المجلس من عوائد النفط من خلال إنشاء ما سمي بـ «مجلس تطوير الإمارات المتصالحة» الذي تشكل في مارس 1965م[15]. وكان هدفه تنمية وتطوير المشاريع الانمائية في الإمارات عن طريق مساهمات الإمارات المختلفة[16]. وقد افترضت السلطات البريطانية أن تقاسم أبوظبي الإمارات الشمالية ثروتها، وأن تفعل دبي كذلك ولو على نطاق أضيق، وبهذا نرى أن الهدف من إنشاء هذا المكتب هو تطوير الإمارات الأقل ثراءً[17].

وقد كانت فكرة إنشاء هذا المشروع تراود بريطانيا قبل سنوات من مجيء بعثة جامعة الدول العربية للمنطقة، ففي عام 1959م اقترح المعتمد السياسي في دبي «دونالد هاولي» على مجلس الإمارات المتصالحة عمل لجنة تكون مهمتها وضع الخطط التفصيلية لإنفاق الأموال المخصصة للتنمية، ثم رفع توصياتها للمجلس، وأن تمثل كل إمارة فيها بعضوين، على أن تجتمع بشكل دوري في أي عاصمة من عواصم الإمارات السبع، وفي النهاية تم إنشاء مكتب التطوير، ليكون بمنزلة الصندوق الذي تصب

فيه كل المساعدات التنموية من جهة، وليتولى مهمة التخطيط لأفضل السبل لاستغلالها من جهة أخرى[18].

وقد حدد المكتب مسارين لعمله: الأول هو توفير الخدمات ما بين الأعضاء، والثاني هو تنفيذ برامج كبيرة في الإمارات الشمالية. ولتحقيق هذين الهدفين طلب من حكام الخليج المساهمة في صندوق التنمية[19]، وقد اعتمدت بريطانيا مبلغ مليوني جنيه استرليني، ولكن الدعم الذي اعتمدت عليه مشروعات التطوير ارتبط إلى حد كبير بما قدمته كل من: قطر 250000 جنيه استرليني، والبحرين 40000 جنيه استرليني، هذا بالإضافة إلى المساهمة الكبيرة التي قدمتها أبوظبي التي ازدادت حصيلتها ابتداء من عام 1968م في صندوق التطوير إلى مليوني جنيه سنوياً[20].

وقد نجح المكتب، من خلال هذه الميزانية (المتواضعة)، في

متحف اللوفر في إمارة أبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة

وضع برامج زراعية، ومسح مصادر المياه، وإنشاء مزارع تجريبية، إضافة إلى التوسع في إنشاء الطرق لربط الإمارات بعضها ببعض، والتوسع في الخدمات الصحية والتعليمية وخاصة في الإمارات الفقيرة. واتخذ المكتب عند بداية تأسيسه من إحدى غرف دار الاعتماد البريطاني في دبي مقرًا له، وانتقل بعد ذلك إلى مكتب مستقل تحت سلطة مجلس الإمارات المتصالحة. ولم يبدأ الدور الحقيقي للمكتب إلا بعد تولي الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» حكم أبوظبي عام 1966م، حيث أنه حمل على عاتقه تزويد المكتب بالأموال اللازمة لتنفيذ خطط التنمية التي يضعها، مما ساهم بشكل واضح في تفعيل دوره على كافة الصعد[21]. فحتى عام 1968م كان المكتب قد تسلم من أبوظبي أكثر من مليون جنيه استرليني، وبحلول عام 1971م شكلت مساهمات أبوظبي أكثر من 90 % من إجمالي المساهمات التي بلغت 13 مليون جنيه استرليني[22]. ومما تجدر الإشارة إليه أيضًا أن الجامعة العربية كانت سبقت بريطانيا إلى فكرة إنشاء صندوق لتنمية إمارات الخليج واعتمدت له مبلغ خمسة ملايين من الجنيهات، ولكن بريطانيا استطاعت أن تقضي على المشروع العربي بإنشاء مكتب التطوير، وأصرت على أن تأتي المساعدات العربية عن طريق صندوق التطوير والتنمية ولكن الجامعة العربية رفضت هذا الشرط[23]. وهكذا، فمنذ تأسيس مجلس الإمارات المتصالحة عام 1952م كان واضحًا أن هدف الإنجليز الذين كانوا يديرون جلساته هو عمل النقاشات المستفيضة التي تستغرق معظم الجلسات، من دون وجود نتائج ملموسة، فالمشروعات التي تتم الموافقة عليها لم تكن تستحق وقتًا طويلًا للتداول، كما أنها كانت صغيرة ولم تحدث تغيرات جذرية أو على الأقل معقولة في مجتمع ظل يعيش حياة بدائية سنين طويلة، في الوقت الذي يشهد جيرانه يوميًا مظاهر التغيير والتطور[24].

وبالنسبة لمكتب تطوير الإمارات فقد وصفه الدكتور «سيد نوفل»، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية آنذاك، أنه مشروع وهمي، وأن هذا يتضح من خلال نصوص اللائحة الداخلية التي وضعتها بريطانيا، وأنه عمل لم يقصد به إلا تعطيل العمل العربي؛ فقد نص البرنامج الموضوعي لتطوير الإمارات المتصالحة على أن ينظر فيه عند توافر رأس المال، وتحدث في اقتضاب عن رصف الطرق وتحسين مصائد الأسماك ومسح المعادن من دون خطة تنفيذية[25]. كما نلاحظ أن النسبة التي أسهمت بها بريطانيا، كي يقوم مكتب التطوير بمهامه المنوط بها، كانت في غاية التواضع، وأن المكتب لم يقم بمهامه الحقيقية إلا بعد تولي الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» حكم أبوظبي، حيث قدم 90 % من المساهمات التي حصل عليها المكتب، وبالتالي لم تلعب بريطانيا الدور الإيجابي المؤثر في هذا الشأن. ورغم ذلك، فإن كافة المحاولات الوحدوية، السالف بيانها، كانت خطوات مهدت الطريق لإقامة وحدة حقيقية بين الإمارات، حيث قام الاتحاد الثنائي بين كل من أبوظبي ودبي في عام 1968م، ومن بعده مباحثات الاتحاد التساعي، انتهاءً بإعلان قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر عام 1971م ■

رأس الخيمة

المراجع:

1. في تفاصيل هذه الاتفاقية انظر: لوريمر: دليل الخليج. القسم التاريخي ج 2. قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. الدوحة. 1968. ص 1022 : 1025. وجون ، ب ، كيلي: بريطانيا والخليج (1795 : 1870) ج 1. سلطنة عمان. وزارة التراث القومي والثقافة. 1979. ص 258 : 276.
2. د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلد الأول، (دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول 1507م. 1840م). دار الفكر العربي. القاهرة. 1997. ص 232.
3. خالد سليمان البلوشي: أبوظبي في عهد زايد الأول (1855 - 1909)، د. ن، أبوظبي، ط1، 2006م. ص 173.
4. د. محمد مرسي عبد الله: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها. دار القلم، الكويت، 1981م. ص 137. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: أبوظبي (توحيد الإمارة وقيام الاتحاد)، ط1 مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، 2004م. ص ص 42 - 43.
5. جوبنتي مايترا (إشراف): زايد الكبير في الوثائق الفرنسية، مقتطفات وتعليقات. ترجمة: عايدة خوري، تعليق: فاطمة ناصر العبودي، ميثاء سلمان الزعابي، مجلة ليوا، إصدار الأرشيف الوطني، العدد 2، ديسمبر 2009م. ص 65.
6. سالم حميد: العمق التاريخي للفكر الاتحادي في دولة الإمارات العربية المتحدة. مركز المزماة للدراسات والبحوث، ط1، دبي، 2016م. ص 56.
7. د. محمد مرسي عبد الله، مرجع سابق، ص ص 139 - 140، عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، مرجع سابق، ص ص 42 - 43.
8. سالم حميد، مرجع سابق، ص 62.
9. للمزيد من التفاصيل حول التنافس الأمريكي - البريطاني على نفط الخليج راجع: د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. دار الفكر العربي، المجلد الثالث، القاهرة،1997. ص 438 وما بعدها. د. انطوان متى: الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حت الثورة الإيرانية. دار الجيل، ط1، بيروت،1993. ص 61 وما بعدها.
10. د. عادل الطبطبائي: النظام الاتحادي في الإمارات العربية. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق. جامعة عين شمس. القاهرة. 1978. ص 31. د. محمد حسن العيدروس: الإمارات بين الماضي والحاضر. دار الكتاب الحديث. 2002. ص 43.
11. د. سيف محمد بن عبود البدواوي: مجلس حكام الإمارات المتصالحة (1952 - 1971). مركز الدراسات والوثائق، ط1، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، 2009. ص 13.
12. د. عادل الطبطبائي، مرجع سابق، ص 31.
13. د. محمد حسن العيدروس: الإمارات بين الماضي والحاضر. دار الكتاب الحديث .2002. ص 45.
14. د. سيف محمد بن عبود البدواوي، مجلس حكام الإمارات المتصالحة، مرجع سابق، ص 14.
15. د. عادل الطبطبائي: مرجع سابق. ص 32. 33.
16. د. محمد حسن العيدروس، مرجع سابق - ص 45.
17. د. سيف محمد بن عبود البدواوي: بريطانيا والخليج العربي (سنوات الانسحاب). مكتبة الفلاح - الكويت - 2007. ص 83.
18. منى محمد الحمادي: بريطانيا والأوضاع الإدارية في الإمارات المتصالحة 1947 - 1965. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بدون تاريخ. ص 138.
19. د. سيف محمد بن عبود البدواوي، بريطانيا والخليج العربي، مرجع سابق، ص 83.
20. د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. دار الفكر العربي، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، ، القاهرة،2001. ص 155.
21. منى محمد الحمادي، مرجع سابق، ص 139.
22. د. سيف محمد بن عبود البدواوي، بريطانيا والخليج العربي، مرجع سابق، ص 83.
23. فاطمة الحاج عبد الله الحبروش: التطور التاريخي لإمارات الساحل المتصالح. مؤسسة التعاون للعلاقات العامة، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2008. ص 112.
24. محمد فارس الفارس: الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل (1862 - 1965). مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي 2000. ص 177.
25. د. سيد نوفل: الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي- دار الطليعة للطباعة والنشر- الطبعة الأولى - بيروت - 1969. ص 344.

دوار نصب البحوث - عجمان

مدينة الشارقة

بمناسبة العام الخمسين

دولة الإمارات قوادمها التألق وخوافيها الازدهار

د. هيثم الخواجة

لقد أرسى الشيخ زايد - طيب الله ثراه - والشيخ راشد - طيب الله ثراه - قواعد دولة جدلت من خيوط الشمس عقود الازدهار والتطور، فقد أدرك الشيخ زايد أن أولويات العمل لبناء الدولة هو الاهتمام بالإنسان والنهوض به، ثم تم الانطلاق إلى البنية التحتية وإلى العمران ، فأحرقت المسافات ، لتطل دولة الإمارات على العالم بهذا البهاء وهذا التطور. ولأن الشيخ زايد صاحب فكر ثاقب ورؤية معمقة، فقد وجه للارتقاء بميادين الحياة كلها.

كان الشيخ زايد - رحمه الله - مخلصاً وصادقاً في بناء الدولة، وحكيما وعادلا في حكمه، وعبقرياً فذاً في أفكاره لكي تتسنم دولته أفضل المراتب في التقدم الحضاري، وكان بناء الإنسان من أولوياته وفي مقدمة إنجازاته.

ولأنه رجل المواقف، فقد ترك علامة فارقة في مواقفه الصلبة، وفي حكمته وعدالته وإنصافه.

ولأنه رجل سلم وسلام فقد تعامل مع دول الجوار ودول العالم معاملة تقدير واحترام.. كان زايد القائد الذي يهتم بالحاضر والمستقبل، فهو لا يخشى الصعاب ولا يرضى بالفشل، وقد أثبت ذلك عمليا من خلال حكمه، ويكفي أن نشير إلى مواقفه الوطنية والقومية، وإلى إصراره على الزراعة وتحويل الصحراء إلى جنة خضراء، وإلى بناء الصروح العلمية ودفع مسيرة السياحة والعمران والتجارة والاقتصاد إلى الأمام ها هي دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم جنة خضراء وقبلة الزوار من الشرق والغرب فهي تعد اليوم في صدارة الدول التي تقف إلى جانب الإنسان في معاناته وتحقيق أهدافه وتخليصه من آلامه.

قدمت هذه المقدمة لأتحدث عن أهم احتفال وطني تقيمه دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو اليوم الوطني، ففي الثاني من ديسمبر من عام واحد وسبعين وتسعمائة وألف، أشرقت شمس دولة الإمارات العربية المتحدة على العالم تنثر نورها بخيوط ذهبية تصوغ من خلاله ألقاً من العطاء، والإنجاز والحضارة والتميز. واليوم نحتفل بهذا الحدث العظيم الذي مرَّ تحت شعار - روح الاتحاد - والذي يصادف اليوبيل الذهبي لخمسين عاماً من الانطلاقة المتميزة للاتحاد الذي بهر العالم بانطلاقة لافتة للأنظار جعلت هذا الوقت القياسي الذي تأسست فيه مجال إكبار وتقدير لصانعي هذه الدولة التي أثبتت وجودها في العالم في كل المجالات واتخذت من حرصها على تنمية الإنسان والعمل

على تقدير إنسانيته الذي عمل على رفعها إلى أعلى المستويات لإيمانها بأن الإنسان هو من يصنع المعجزات، ويسمو بالبلاد ويجعلها في أعلى مراتب التقدم والازدهار.

وبهذه المناسبة يعم الفرح الأرجاء، وتزداد مشاعر الفخر والاعتزاز معبرة عن الصدق والمصداقية وعن حرارة المشاعر في النفوس وعن وفاء أ بناء الإمارات وعن سعادة المقيمين في رحابها والزوار أيضا. في هذا اليوم المجيد يخفق علم الإمارات فوق الصروح شامخاً، وتنتشر الزينات المعبرة عن الفرحة في مختلف أنحاء الدولة.

إنه اليوم الوطني بمعانيه ودلالاته يرسم وشماً لدولة استثنائية متميزة ومتفردة في العطاء والإنجاز ومواكبة الحضارة في كل مكان في العالم، فهي تحتضن أسعد شعب، وتستقبل الإنسان بكل رحابة صدر ليعيش في أمن وأمان وسعادة واستقرار

وهي تسابق الطموحات، وتقتنص صباحات الزمن لتقبض على الحلم. وعلى الرغم من كل ما سبق فإن دولة الإمارات العربية

المتحدة تعدّ مركزاً إقليمياً للفعاليات الثقافية، كما تعتبر واحدة من أفضل الوجهات عالمياً: سياحياً، واقتصادياً، وعلمياً، وتجارياً، وصحياً، وثقافياً. كل ذلك بفضل القيادة الرشيدة لدولة الإمارات العربية المتحدة، برئاسة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، حفظه الله، خير خلف لخير سلف، فما أنجزته دولة الإمارات وتنجزه هو استثنائي ومبهر، وقد عبر عنه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في

مناسبات عديدة، ومواقف سجلها التاريخ في صفحاته المشرقة. وعندما يحتفل شعب الإمارات الوفي باليوم الوطني، ليس فقط ليعبر عن مشاعره الضافية تجاه قيادته الحكيمة، بل ليؤكد أيضاً أنه يعتز بهذه القيادة، ويفخر بها لأنه ابن الإمارات، إضافة إلى ذلك ليبرز مستوى التعاضد والتعاون، ويشير إلى العمل بروح الفريق الواحد، وإلى الانسجام الروحي في الأهداف والآمال والطموحات. فاليوم الوطني يحمل في طياته دلالات لاتعد، ويشير إلى آمال لاتحد، فهو يعكس الحب الفائض للإنسان، والتقدير الكبير للوطن، والانزياح نحو السلام والحضارة والتقدم، ونبذ كل ما يدعو إلى البغضاء والتفرقة والعنصرية والانقسام، وعليه فإن الاحتفال باليوم الوطني ما هو إلا تثمين للمنجزات الكبيرة التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة، بدءاً من بناء الإنسان وانتهاءً بالوصول إلى المريخ، وإذا أردنا أن نعدّ منجزات هذا الوطن العزيز، فإن مثل هذه المقالة لا تفي بجزء يسير مما هو واقع، لأن الشواهد كثيرة على ذلك ولا ننسى المجال الكبير الذي قدم للمرأة في سبيل نهضتها وإبراز دورها في مجتمع الإمارات، حيث لعبت دوراً فاعلاً ومميزاً في تسيير دفة التقدم والازدهار، فلم تترك مجالاً إلا وكان لها فيه بصمة مميزة فأنى نظرت ترى موطئ قدم ترك أثراً في البناء والتقدم حتى أنها احتلت مراتب عليا في الدولة فأصبحت طبيبة ومهندسة ووزيرة وممثلة لوطنها دبلوماسياً في الخارج كما شاركت في قرارات مهمة في المجالات الحيوية بالدولة .

ثم هل نتحدث عن فعل الإمارات عمرانياً، أو سياحياً، أو علمياً، أو ثقافياً وتجارياً؟! أنعم النظر معي وشاهد ثم اقرأ ولسوف تجد

إجابات لافتة، فماذا نقول عن إكسبو 2020 المنجز الأكبر والصرح الذي أصاب العالم بالدهشة؟!وهل نتحدث عن إنجازات الفضاء وما توصل إليه أبناء الإمارات في هذا المجال، وماذا عن الحكومة الذكية والقرية العالمية، وعن البعد الحضاري في البنية التحتية، والحياة الرغيدة تحت ظلال الأمن والأمان والاستقرار.

ها هي الأيام تترى وهاهم أبناء الإمارات لا يكتفون بالتحضير لليوم الوطني الخمسين، إنما يمتشقون أسلحة الفكر والتخطيط من أجل الخمسين القادمة، ولابد أن يحالفهم النجاح بما عزموا عليه، فالأدوات واضحة والثوابت مستقرة، والعمل على قدم وساق، فاندفاعهم الدائم نحو المركز الأول يؤكد على الخطى الثابتة نحو هدفهم، والقيادة الحكيمة هي الداعم الرئيس لهم لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم، عدا عن أنها عودت الشعب على اقتران القول بالعمل، وهذا التوجه هو إشراقة أمل لا تغيب في تحقيق الأهداف وتجاوز الصعوبات، وقد ساعد على ذلك على وجود استراتيجيات، وخطط، ومتابعة حازمة للتنفيذ والنجاح.

هذه هي دولة الإمارات العربية المتحدة، التي حرقت المسافات للوصول إلى مراتب متقدمة في الازدهار والتطور والنمو والتقدم ... هذه هي الإمارات التي حلم بها الآباء المؤسسون وتابع مسيرتهم. الأبناء المخلصون. هنيئاً لكم أبناء الإمارات شعباً وحكومة ما وصلتم إليه ... هنيئاً لكم بحكامكم وولاة أموركم ... هنيئاً لكم السعادة التي ترفلون بها، وزاد الله دولة الإمارات منعة ورفعة، وسمواً وحضارة ... وزادها الله قوة وتألقا وحضارة.. ووفق أبناءها لتحقيق الخطط للخمسين القادمة، وأجزم أنها ستكون نوعية ومتميزة ■

* ناقد سوري في الإمارات

مسيرة اتحاد الإمارات

موزة سيف المطوع

على مقاعد الدراسة تابعتُ مع زملائي صولاتِ وجولاتِ الشيخ زايد في محاولاته الحثيثة لإقامة اتحاد بين إمارات السّاحل المتصالح، إثر إعلان بريطانيا بدء انسحابها من المنطقة وانتهاء اتفاقية السلام بينهم، كنّا بانتظار إعلان الاتحاد بعد أن كانت قلوبنا متعلقة بالوحدة الوطنية والترابط والتلاحم العربي الذي طالما تابعنا تطوراته في البلدان العربية الشقيقة من خلال الراديو والصحف.

حكمت المنطقة عدة قوات، القوة البرية الأقوى في الدولة قوة بني ياس والتي امتدت في أبوظبي، قوة آل بو فلاسة في دبي، الشرقيون في الفجيرة، أم القيوين البرية والبحرية في أم القيوين، وقوة القواسم، القوة البحرية العظمى ذات الثُّقل السياسي والحربي في التاريخ وفي الخليج العربي والتي أرهبت بدورها الاستعمار البرتغالي ومنعت الاستعمار البريطاني من استيطان الأرض ممّا اضطر الانجليز لتوقيع اتفاقيات سلام تضمن فرض مصالحها في المنطقة والتي استمرت عقوداً عديدةً، قوى لا يستهان بها مع قوة القبائل الأخرى المتفرقة على طول الساحل وفي الداخل.

مع خمسينيات القرن العشرين وباكتشاف النفط في المنطقة سعت بريطانيا لرسم الحدود السّياسية لضمان حماية حقوقها في شركات النفط التي كانت تقوم بأعمال التنقيب في المناطق الداخليّة من الإمارات المتصالحة، وفي ستينيات القرن الماضي أعلنت بريطانيا عن نيتها بالانسحاب بسبب مشاكلها الداخلية، ومنه كان الأوان قد حان لقيام دولة جديدة تضم هذه القوى تحت جناح واحد لها حدودها السياسية وكيانها بين الدول وحضورها مع قائمة الدول العربية، لتحمي نفسها من أي استعمار آخر يحاول استغلال مواردها النفطية.

لا زلت أذكر العساكر البريطانيين بِبناطيلِهم البنية القصيرة وقمصانهم التُّرابية يتجوَّلون في المنطقة على فترات متباعدة للاطمئنان على استتباب أمورهم، وها هم يجرون أذيال خيبتهم ليخرجوا من الخليج بأكمله، ويتحرك الشيخ زايد سريعاً لتعزيز الرّوابط مع إمارات الساحل المتصالح، ونجح في مسعاه مع رفيق كفاحه الشيخ راشد في إعلان دولة الامارات العربية المتحدة، سجلُّها في المحافل الدولية دولة حديثه، إلا أن قبائلها خطوا التاريخ بأعمالهم وحضارتهم وثرواتهم التي تمتد لآلاف السنين.

كان يوما يَسطُره التاريخ يوم انتُخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله من قبل الحكّام ليكون أوّل رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم رحمه الله نائباً للرئيس، فكانا أصغر حاكمين من الاتحاد، واللذين انتُخبا من قبل باقي الحكام لتبدأ مسيرة دولة تحتاج إلى روح الشباب وقوة الرجال، وعمت الأفراح الديار واحتفل الشعب بهذا اليوم التاريخي. بعد الاعتماد على تجارة اللؤلؤ الطبيعي وتجارة الأخشاب والأقمشة والبضائع الغذائية وزراعة محاصيل مهمة، بدأت الدولة تتخذ منحى جديداً أصبح هناك تطور عمراني وتقني، بدأ بالماء الذي صار متوفراً في كل منزل وأنارت الكهرباء الدّيار، رُصفت الشوارع وانتشرت المدارس والمستشفيات، أنشئت المؤسسات الاتحادية وتنوعت فرص العمل، بات هناك جيش واحد استقطب الشباب من كل الإمارات ليحل في المرتبة

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أثناء رفع علم دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر

الرابعة في تصنيف أقوى الجيوش العربية، استثمرت العقول فبنيت الجامعات وخرجت بعثات إكمال الدراسة في الخارج، خرَّجت معلمون وأطباء ومهندسون، خريجون شباب في مختلف التخصصات. أولى الشيخ زايد اهتمامه بالقضايا العربية والإسلامية فكان عوناً لتلك الدول، جمع قلوب المتخاصمين ونشر المحبة بين الجميع، وبادر بإقامة مشاريع تسهم في تطور الدول الشقيقة التي أنهكتها الحروب والاستعمار فوقع حب القائد زايد بن سلطان في قلوب العرب والمسلمين والعالمين لما رأوا من كرمه ومآثره على مر السنين ومنه نال لقب حكيم العرب. يثلج صدري رُؤية أبناء المؤسسين يكملون مسيرة الآباء فصار للدولة تاريخ حافل بالإنجازات في مختلف الميادين، فقد تبوأ الجواز الإماراتي المركز الأول كأقوى جواز في العالم، أُطلق مسبار الأمل إلى المريخ فعانقوا مع شعبهم الفضاء، نجحوا في تطوير محطات الطاقة الشمسية والنووية لإنتاج الكهرباء على نحو آمن وصديق للبيئة لينهوا حقبة اعتمادهم على النفط، وها هي في عامها الخمسين استضافت بجهودها معرض إكسبو الدولي 2020، لتكون أول دولة عربية تستضيفه في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا وجنوب شرق آسيا، والتي تكمن أهميته في الحاجة الملحة إلى نماذج عالمية جديدة تحقق التنمية الاقتصادية المستدامة والاستقرار المالي، وإنتاج إرث من الابتكارات الجديدة، وفيه أعلنت عن استراجيتها للحياد المناخي الذي يدعو للتعامل الفعّال مع التغيرات المناخية. إنها الإمارات العربية المتحدة مدرسة تتعلم منها الأمم كيف يستثمر الانسان وكيف تُطوع الفرص والإمكانيات للنهوض بالأمة، احتوتني منذ الصغر وها أنا اليوم أرى أبنائي وأحفادي ينعمون في وطن أفديه بدمي وروحي. ■

* كاتبة من الإمارات

2 ديسمبر.. يوم العطاء

مريم سلطان المزروعي

يوم الثاني من ديسمبر من كل عام، سيظل خالداً جيلاً بعد جيل، يستمدون منه قيم الوطنية والانتماء والوفاء، هذا اليوم له ذكرى رسمت في عقول وقلوب كل من حضر هذا الحفل الجليل وعاش اللحظات الجميلة، ليكون شاهداً على ما فعله المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والآباء المؤسسون فقد حولوا الحلم إلى حقيقة ملموسة تظهر آثارها كل سنة وكل عام، بعد أن نجحت الإمارات من فض النزاعات القديمة والتخلص من كل النعرات وتجاوزت عن كل الخلافات، استطاعوا أن يغيروا خريطة التاريخ ويدخلون بكل قوة وعزم عجلة التطور وأن تسابق دولة الإمارات العربية المتحدة باقي الدول وتلحق بالدول المتطورة.

لقد أعلن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان في 15 ديسمبر 2019، بأن عام 2020 سيحمل شعار «عام الاستعداد للخمسين» في الإمارات، والذي يصادف خمسين عام على تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة تم وضع خطة استراتيجية للخمسين القادمة،الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم يؤكد «نحتفي بخمسين عاماً ونطلق مسيرة الخمسين عام المقبلة، الاستعداد سيكون في 2020،... نريد أجواء 2020 كأجواء عام 1970 عندما كان فريق المؤسسين وفريق العمل يستعدون لبدء مرحلة جديدة وحياة جديدة في هذا الوطن».

تعتبر 2020 نقطة تحول ترسم لنا طريقاً صلباً للخمسين السنة القادمة، بحيث نمشي بخطى قوية وبكل ثقة وإرادة نحوها، يقول المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس الاتحاد: «كلما طال الوقت كلما يأتي الاتحاد قوة للعمل والتصميم على الاتحاد وعلى عمل الاتحاد». «لقد علمتنا الصحراء أن نصبر طويلاً حتى ينبت الخير، ونواصل مسيرة البناء»، و«علينا أن نكافح ونحرص على دفع مسيرة العمل في هذا الوطن والدفاع عنه بنفس الروح والشجاعة التي يتحلى بها أسلافنا». لقد وهب الشيخ زايد نفسه وحياته في خدمة الوطن والمواطن ليحقق له مستوى معيشياً راقياً وبأعلى المستويات، وقد قاد سموه ملحمة البناء من مرحلة الصفر منطلقاً على صفحات ناصعة البياض نابعاً من رؤية ثاقبة ورسالة واضحة الأهداف والمعالم، أسس الاتحاد بخطوات قوية راسخة، يذكر الشاعر والأديب خليل عيلبوني - مستشار معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة: «في الثاني من ديسمبر 1971، كان لي شرف إعلان عن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة بعد أن حضرت الحدث وقمت بتسجيله للإذاعة، ويومها أتذكر إنني ذهبت إلى التلفون الموجود بالقرب من البوابة وقمت بالاتصال بإذاعتنا إذاعة أبوظبي، ونقلت الخبر على الهواء مباشرة وكان المذيع الذي قدمني ولا زالت اتذكره السيد محمد السيد الندى وأعلنت قيام دولة الإمارات العربية المتحدة وانتخاب صاحب السمو الشيخ زايد رئيساً لها، وانتخاب صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم نائب الرئيس وأيضاً اذعت بيان الاتحاد بصوت معالي الاستاذ أحمد خليفة السويدي، والبيان الذي أعلنته كان: «الآن بعد أن قرأ معالي أحمد خليفة السويدي بيان قيام الاتحاد وانتخاب رئيس الاتحاد صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وانتخاب نائبه صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وتشكيل الحكومة برئاسة الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم، الآن هنئ شعب دولة الإمارات ونقول مبروك قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، كنا دولتين في ذلك الوقت لذلك كان في سيح شعيب كان هناك مراقبون يراقبون الجوازات ويختمونها وبالفعل ذهبنا وختمت الجوازات ولكن في العودة لم نجد أحداً، وفتحت الحدود وانتهى الوضع بشكل كامل وكانت فرحة كبيرة أيضا، حتى الطريق في بداية 1971 لم يكن الطريق معبد، وعندما زار الشيخ راشد آل مكتوم الشيخ زايد اتفق الرئيسان على أن يقوم الشيخ زايد بتعبيد الطريق من أبوظبي إلى دبي».

في 2 ديسمبر من هذا العام 2021 يصادف اليوبيل الذهبي لخمسين عاماً من روح الاتحاد، ففي هذا اليوم وقبل خمسين عاماً وقع حكام الإمارات اتفاقية تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، يذكر الإعلامي محمد القدسي مراسل تلفزيون أبوظبي، وهو أحد الإعلاميين القلائل الذين شهدوا إعلان قيام الاتحاد ورفع علم الدولة في قصر الضيافة في دبي، «اعتبر تجربتي في إعلان قيام الاتحاد فريدة من نوعها، لاسيما أنني أول من اعلان الحدث الكبير بالصوت والصورة لشعب الإمارات، عبر محطة تلفزيون

أبوظبي، بعد أن قرأه أمام الحضور في قاعة الاجتماعات معالي أحمد خليفة السويدي، وزير خارجية أبوظبي آنذاك، والممثل الخاص لرئيس الدولة حالياً، وعندما سألت صاحب السمو الشيخ زايد ماذا تقول في هذا اليوم؟، قال بكلمة واحدة: «هذا يوم مبارك»، وسألت الشيخ خالد بن محمد القاسمي، وكان رده: «هذا يوم للإمارات ويوم للعرب أيضا». لقد كانت الاحتفالات كل سنة وكل عام لليوم الوطني، قد أظهرت مدى الحب والولاء الذي يكنه أبناء شعب الإمارات لمؤسسي الاتحاد وقادتهم حاكم الامارات السبع، وأن هذا الحب يتزايد من مرور الأيام وتزداد قيمته مع مرور السنوات عرفاناً للمؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس الاتحاد، الشيخ زايد لم يغب عن الذاكرة، فالمنهج الذي رسخه منهج قوي على كافة المستويات المحلية والعربية والعالمية إلى اليوم ينبع منها أبناء الامارات، يقول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي: «إن تحقيق سعادة المواطنين كان نهج الآباء المؤسسين لهذه الدولة وهو رؤية للحكومة بجميع قطاعاتها ومؤسساتها ومستوياتها ومنهج عمل يحكم جميع سياساتنا وقراراتنا». هناك ذاكرة حفرت في عقول أبناء الإمارات، ففي هذا اليوم من كل عام تقام الاحتفالات وتعم الفرحة أرجاء الدولة، يذكر سعيد المزروعي: «في هذا اليوم كنا نخرج منذ الصباح الباكر أو قبل يوم الاحتفالات بيوم من المدينة الغربية نبغي كثيراً بالألعاب النارية التي كانت تقام بالأخص عند المارينا مول وعلى الكورنيش، ولا ننسى المسيرات التي تبدأ منذ فترة الظهيرة على شاطئ الكورنيش والازدحام الذي تشهده العاصمة أبوظبي فهي تزدحم بالسيارات والدراجات، كما كانت العائلات تأخذ لها حيزاً هي الأخرى وأبنائها يفرشون الأرض بالحصران والأطفال الذين يلوحون بالأعلام في كل مكان، حتى الجنسيات الأخرى كانت تشاركنا الفرحة بالرقص في الشوارع سعيدين بالأجواء المحيطة بنا، أما الآن أصبح الوضع مختلفاً قليلا وخاصة مع أوضاع كوفيد 19، لكن الدولة بدأت بالاحتفالات قبل اليوم المحدد بخمسين يوماً». كما ذهبت أم أحمد بذكرياتها إلى البعيد وهي تتذكر الأيام السابقة وكيف كانت الاحتفالات التي تقام هنا وفي جميع ربوع دولتنا الحبيبة فقد ذكرت: «نحن ولله الحمدالله دولة واحدة، جميعا نحتفل بيوم واحد وعلى يد واحدة، الفرحة تعم جميع أثناء البلاد، بالنسبة لنا اليوم الوطني يعتبر ثالث عيد بعد عيد الفطر وعيد الأضحى، ومن الذكريات الجميلة التي كانت ولا تزال والاكبر حدثاً هي الألعاب النارية التي تقام في كل مكان، كما أن الجميع كانوا يتزينون بألوان العلم الإماراتي ويزينون سياراتهم وبيوتهم، إلى جانب الفعاليات التي كانت تقام في الفنادق والمسابقات والخيم التي كانت تنتشر في المناطق السكنية، والاكلات الشعبية الشهية التي تطبخ كالهريس واللقيمات وخبز الرقاق والاغاني

الشعبية والرزيف والعيلة». في الخمسين عاماً استطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تكون في الصدارة وفي جميع مجالات التطور والتقدم، فقد حصل الجواز الإماراتي على المركز الأول عالمياً من حيث القوة حسب التصنيف العالمي على موقع «باسبورت إندكس»، وهذه الإنجازات لم تكن وليدة اللحظة أو الصدفة، بل كانت بجهود مضنية وسهر الليالي على قدم وساق حتى استطاعت الإمارات تقديم إنجازات عظيمة وعميقة ذات أساس قوي، يسطر في التاريخ ويكتب للإمارات تاريخاً قوياً مليئاً بالإبداعات والإنجازات وفي جميع المجالات: الاقتصاد، والتعليم والسياحة والصحة. لقد بدأ العد التنازلي لاحتفالات اليوم الوطني الخمسين، وقبل خمسين يوماً من الموعد المرتقب ومع إطلاق مبادرة شعار «خمسون يوما للخمسين» وهذه عبارة عن دعوة للجميع للمشاركة باحتفالات اليوم الوطني حتى اليوم المرتقب من خلال سلسلة من الفعاليات والنشاطات التي سوف تنتشر بشكل يومي على منصات التواصل الاجتماعي، وهذه الدعوة موجهة لكل من يعتبر الإمارات أرضه ووطنه فهي موطن الحلم والإنجاز، لذلك فالخمسون عاماً القادمة نحن من نصنعها ونتطلع إلها بجميع طموحاتنا، فأجدادنا وضعوا الأساس على خطى قوية ثابتة، وجاء دورنا لنرسم السنوات القادمة لنقود الإمارات العربية المتحدة، نقود بلادنا نحو القمة وإلى الأمام، لقد

يوم الاحتفال باليوم الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة في بوليفارد محمد بن راشد، دبي

حرص المواطنون وغير المواطنين من أبناء الجنسيات الأخرى على المشاركة باحتفالات اليوم الوطني الـ50، وهذا يؤكد ما يميز الإمارات العربية المتحدة من حب الشعب لوطنه وتفانيه وإن دولتنا الحبيبة هي دولة ووطن العدل والتسامح والمساواة، ذكر معالي زكي أنور نسيبة ذات يومياً في حديثه: «قيام العالم الواحد هي الرسالة، هي رسالة لتقول للعالم نحن الحكام الآن توحدنا بهذا العلم وقلوبنا توحدت، إماراتنا دولة واحدة» ■

* باحثة من الإمارات

الإمارات العربية المتحدة.. حكاية أمة لا تعرف المستحيل

عبد العليم حريص

قدمت دولة الإمارات العربية المتحدة على مدار 50 عاماً منذ تأسيسها على يد الرعيل الأول من الآباء والأجداد المؤسسين، للبشرية ما لم تقدمه كبريات دول وممالك العالم، فقد رسمت صورة مضيئة للعالم عن المنطقة العربية بأسرها.

فصارت مثالاً يحتذى به على مر العصور، في التسامح والإخاء والتقدم، واحترام القانون، ومد يد العون للعالم، حتى صار اسم «زايد الخير» عنواناً للمنطقة العربية والإسلامية، فالإمارات حكاية شعب لا يعرف المستحيل، حول الصحراء إلى واحة غناء تستقطب أكبر العقول المفكرة والمبدعة في العالم أجمع.

وها نحن اليوم ومع احتفالات الدولة باليوبيل الذهبي لنشأة الدولة، نقطف ثمار هذا الجهد المبارك في أبهى صورة، ويضيق المقام هنا عن سوق أمثلة لما قدمته الإمارات للبشرية على مدار تاريخها المليئ بالإنجازات والعطاءات والتنوير، ولكننا سنشير لموقف الإمارات تجاه جائحة كورونا وكيف تعاملت معها من دون أن يتسرب الخوف إلى مواطنها والمقيمين على أرضها، وهذا ما لمسناه على أرض الواقع، في الوقت الذي ساد الرعب العالم كانت قيادة الإمارات تسعى جاهدة لتوفير اللقاحات لكل من تظله سماء هذه الأرض الطيبة، بل وكانت ترسل المساعدات والجرعات لدول عديدة، فلم يشعر أحد برعب هذه الجائحة، وفتحت أرضها لكل من فر هارباً من الوباء، فوجد هنا الأمن والرعاية والاهتمام. كذلك ما أقدت عليه مؤخراً من منح المبدعين العرب من إقامات ذهبية على أرضها، هذا الأمر لن أشرح كيف أعاد للكتاب الأدباء العرب روح التفاؤل بأن هناك دولة عربية تقدر الإبداع في وقت تراجعت أغلب دول المنطقة عن الاهتمام بكتابها ومبدعيها.

ولم يقف هذا الدور على هنا، بل سعت الإمارات لتكريم المبدعين في دولهم بأن سخرت كافة إمكاناتها لتصل إليهم بين أهلهم وفي

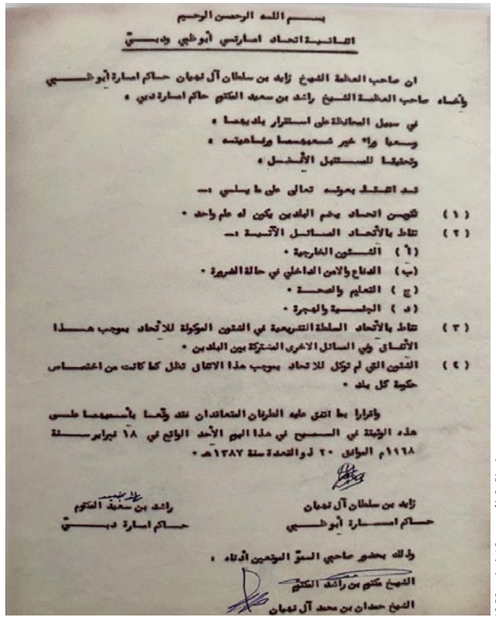

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية اتحاد امارتي أبوظبي ودبـــي

ان صاحب العظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة أبوظبي
وصاحب العظمة الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم امارة دبي ،

في سبيل المحافظة على استقرار بلديهما ،
وسعيا وراء خير شعبيهما ورفاهيته ،
وتحقيقا للمستقبل الأفضل ،

قد اتفقا بعونه تعالى على ما يلي :-

(١) تكوين اتحاد بين البلدين يكون له علم واحد .
(٢) تناط بالاتحاد المسائل الآتية :-
(أ) الشئون الخارجية .
(ب) الدفاع والأمن الداخلي في حالة الضرورة .
(ج) التعليم والصحة .
(د) الجنسية والهجرة .
(٣) تناط بالاتحاد السلطة التشريعية في الشئون الموكولة للاتحاد بموجب هـــذه الاتفاق وفي المسائل الاخرى المشتركة بين البلدين .
(٤) الشئون التي لم توكل للاتحاد بموجب هذا الاتفاق تظل كما كانت من اختصاص حكومة كل بلد .

وإقرارا بما اتفق عليه الطرفان المتعاقدان فقد وقعا بالأحرف الأولى على هذه الوثيقة في المسيح في هذا اليوم الأحد الواقع في ١٨ فبراير سنة ١٩٦٨م الموافق ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٨٧هـ .

زايد بن سلطان آل نهيان
حاكم امـــارة أبوظبـــي

راشد بن سعيد المكتوم
حاكم امارة دبـــي

وذلك بحضور صاحبي السمو الموقعين أدناه :
الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم
الشيخ حمدان بن محمد آل نهيان

اتفاقية المسيح 18 فبراير 1968

بلدانهم لتكريمهم والاحتفاء بهم، ما أشعر الكتاب بأن الأمة العربية مازالت بخير مادامت الإمارات راعية الثقافة والإبداع، لا تألوا جهداً في تكريم المبدعين العرب، من أجل إيجاد جيل عربي يؤمن بحقه في المستقبل، متدثراً بتاريخه العربي وقيمه النبيلة، النابعة من روح عربية سادت العالم في كثير من حقب الزمن الماضي، ولكن في الوقت الحالي استلمت الإمارات الراية، وشجعت ودعمت الجميع على الاستمرارية.

كما حافظت الإمارات على التراث العربي والإنساني، فكان الإنسان هو بغيتها وقصدها، ولم يحملها على ذلك سوى إيمان قيادتها الرشيدة بالدور العروبي والإسلامي المنوط بها.

وحينما يرتفع العلم الإماراتي عالياً في اليوم الوطني لقيام الاتحاد، فنحن على يقين بأن العالم كله سيردد معنا النشيد الوطني (عاشت بلادي عاش اتحاد إماراتنا). وهذا أقل ما يقدمه العالم، لهذه الدولة الفتية، التي ولدت قوية، لتعيد للأذهان مفهوم الحضارات العربية والإسلامية التي سادت العالم في يوم ما، ويقدر الله للإمارات أن تستكمل المسيرة.

في الوقت الذي وصلت فيه الإمارات للمريخ، كانت تبحث عن الفقراء والمحتاجين على مستوى العالم، لتساعدهم، وتربت على كتفهم جراء ما أصابهم من محن وتقلبات جفرافية وسياسية، في المنطقة، بعض النظر عن عرقه أو دينه أو جنسه. ولكل شيء يجري بالإمارات قصة وحكاية يجب أن تروى ونستلهم منها العبرة ونأخذ منها الدعم وأمل بأن القادم أفضل بإذن الله، في ظل وجود دولة عربية لا تفرق بين الإنسان في التعامل أو الأولويات فكل هنا سواء. فحينما فكر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مستقبل هذه الأمة العربية، وكيف يستفيد من هذه الصحراء مترامية الأطراف وتحويلها إلى مركز من الإشعاع والتنوير والعطاء وخدمة أبناء وطنه، والمنطقة بأسرها، عزم على تأسيس نواة لدولة اتحادية في شبة الجزيرة العربية لتكون لاحقاً النواة الحقيقية لتأسيس اتحاد عربي، يضم كافة الدول العربية تحت راية واحدة، هذا الحلم الذي أراده الشيخ زايد، سيتحقق في يوم ما بفضل الله ثم بفضل القيادة الرشيدة لدولة الإمارات العربية المتحدة.

فكانت خطوة تأسيس الدولة غيرت وجه التاريخ والمنطقة بأسرها، وقد بدأت الفكرة تتبلور في ذهن سموه منذ أن أعلنت

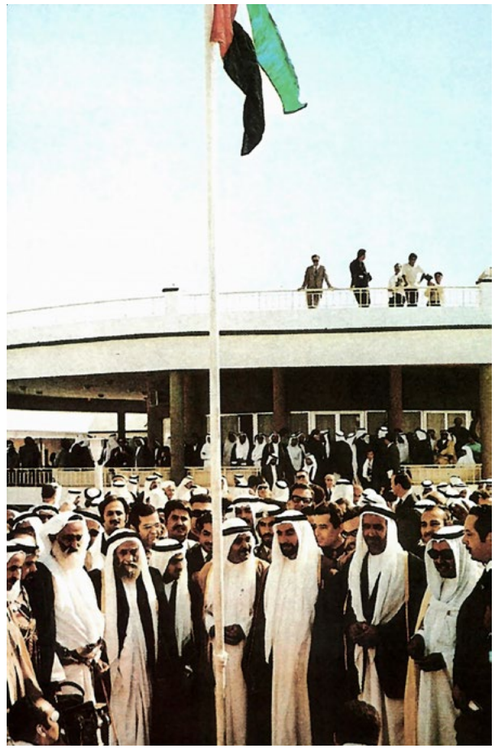

بريطانيا نية سحب قواعدها من شرق السويس، فارتأى الشيخ زايد أنه قد حان الوقت لقيام دولة اتحادية في المنطقة، فأقدم الشيخ زايد مع أخيه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي «آنذاك» ببادرة كان لها عظيم الأثر فيما جاء بعدها من أحداث؛ فكانت اتفاقية السميح التي وقّعا عليها في الـ 18 من فبراير عام 1968، التي فتحت الباب لخطوات كبيرة تلتها؛ فَجَرتْ مباحثات الاتحاد التساعي بين الإمارات السبع وبين شقيقتيها: البحرين، وقطر، وآلت الأمور في النهاية إلى قيام اتحاد الإمارات باسم «دولة الإمارات العربية المتحدة» بعد أن أعلنت البحرين وقطر استقلالهما. وفي الثاني من ديسمبر عام 1971م، قام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، وانتخب الشيخ زايد بإجماع حكام الإمارات أول رئيس للدولة الفتية لمدة خمس سنوات، وجَدَّد له المجلس الأعلى ثقته فيه بانتخابه عدة مرات، فكان هو الرئيس، وهو الباني، وهو الوالد الحاني على أبناء أمته، وانتخب الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم نائباً له. ويأتي دور اختيار علم للدولة، لما يمثله العلم، كرمز لسيادة الدولة وقوتها وكرامتها ويترجم ولاء وانتماء أبناء الوطن لدولتهم، وهنا تبدأ قصة الشاب (وقتئذٍ) عبدالله محمد المعينة، عندما يقرأ إعلاناً في صحيفة الاتحاد عن طرح مسابقة لتصميم علم خاص بالإمارات.

ويستلهم المعينة تصميمه للعلم من شعر صفي الدين الحلي حينما قال:

بيـــــض صنائعنـا خضر مرابعنـا

ســـود وقائعنـــا حمر مواضينـا

فكانت ألوان العلم مستقاة شعر عربي، ما يؤكد أن روح العروبة هي الدافع وراء تأسيس الدولة. فكانت الالوان الأحمر والأخضر والأبيض والأسود. ويجيء اليوم المشهود في الثاني من ديسمبر عام 1971، ليقوم المغفور له الشيخ زايد برفع العلم، ليعلن بذلك قيام الدولة، دولة غيرت وجه المنطقة والعالم. ولأن دستور الدولة ينص على وجود علم ونشيد وسلام وطني، فقد قام الملحن المصري الراحل سعد عبدالوهاب بتأليف مقطوعة موسيقية اعتمدت كسلام وطني للدولة. وفي العام 1986 تأتي فكرة تنفيذ نشيد وطني، لوزير التربية والتعليم (بالإنابة وقتها) سعادة أحمد حميد الطاير، ويكلف الشاعر الإماراتي عارف الشيخ، بمهمة وضع كلمات تعبر عن حب الوطن وتربط أبناء الوطن بدولتهم ودينهم وتطلعاتهم، وتحضهم على الانتماء وغرس حب الوطن في نفوسهم، ويدخل الشيخ في تحدٍ مع نفسه، وتنطلق الكلمات، لتظل خالدة ما بقيت الدنيا.

عيشي بلادي عاش اتحاد إماراتنا.

عشت لشعب دينه الإسلام هديه القرآن.

حصنتك باسم الله يا وطن.

بلادي بلادي بلادي.

حماك الإله شرور الزمان.

أقسمنا نبني نعمل نخلص نعمل نخلص.

مهما عشنا نخلص.

دام الأمان وعاش العلم، إماراتنا.

رمز العروبة.

كلنا نفديك بالدماء نرويك.

نفديك بالأرواح يا وطن.

وستبقى دولة الإمارات العربية المتحدة، منارة للإنسانية والاتحاد والتسامح بين الأديان، درة عقد الدول العربية الإسلامية الموجودة في شبه الجزيرة العربية، وإحدى أهم الدول الأكثر تطوراً من النواحي التكنولوجية والعلمية، الاقتصادية، والتعليمية، والخدماتية، والثقافية والتراثية، حاملة لواء العروبة، ما بقيت الدنيا.

خمسون وخمسون

فاطمة المزروعي

في سنة 1971 أعلن عن قيام اتحاد الإمارات العربية المتحدة، ومنذ تلك اللحظة التاريخية وحتى هذا اليوم الذي نحتفل فيها بمناسبة مرور خمسين عاماً، كانت التحولات مذهلة وكبيرة وغير مسبوقة بكل ما تعني الكلمة، فنحن أمام كيان جمع الشتات، فقد كانت كل إمارة تعيش ظروفها وواقعها بعزلة عن الإمارة الأخرى، وكان إنسان تلك الأرض مطحوناً وسط الفاقة وظروف معيشية قاسية، ظروف معيشية لم تكن مواتية ولا هي مثالية، بل على العكس كانت متعثرة، يعيش الناس في طلب الكفاف وفي كفاح يومي لتوفير لقمة العيش، الطبيعة الصحراوية والطقس الحار فضلاً عن السواحل الممتدة على البحر، لم تجعل لإنسان تلك الأرض خيارات متعددة، بل محدودة جداً وكانت الفرص شحيحة، حتى بات صبر الآباء والاجداد وتحملهم شظف العيش وقسوة الواقع مضرب مثل ومصدر اعتزاز، سجلها بكثير من التقدير عدد من الرحالة الذين زاروا تلك الأرجاء.

تتميز تضاريس وطبيعة الإمارات بمكونها الصحراوي ومجاورتها للبحر فضلاً عن التضاريس الجبلية، وتتميز كل واحدة من هذه البيئات بصعوباتها وقسوتها، ومع هذا فإن الإنسان الإماراتي عاشها وتعامل معها وتغلب عليها. في الصحراء عاش الآباء والأجداد، في الواحات وبالقرب من تجمعات المياه، واستأنسوا الحيوانات التي تساعدهم على التغلب على قسوة الطبيعة مثل الجمال، وإن كان بعضهم في تنقل مستمر طلبا للماء والمراعي، إلا أن منهم من قام ببناء القرى التي تحولت إلى تجمعات سكانية كبيرة، كانت نواة للمدن التي نراها اليوم مكتظة ومزدحمة ومشيدة بالعمران والمصانع والمدارس والمستشفيات، في الجانب الآخر نجد تلك التجمعات البشرية من السكان بجانب سواحل البحر، ومنها كان البحارة ينطلقون في رحلات الصيد المضنية والمتعبة، وكانت رحلات صيد اللؤلؤ تحديدا مصدر للتجارة والتواصل مع العالم قبل وجود اللؤلؤ الصناعي الذي بدأ في الظهور منذ نهاية العشرينيات من القرن الماضي وبداية الثلاثينيات من نفس القرن. هذا الوافد الجديد على تجارة اللؤلؤ سبب تدني في أسعار اللؤلؤ وبالتالي انخفضت تدريجياً رحلات الصيد للدرجة التي زادت مصاعب التجار والبحارة، وكما هو معروف فإن رحلات الصيد سواء أكانت للؤلؤ أو لصيد الأسماك، لم تكن سهلة فقد كان البحارة يقضون في وسط البحر عدة أشهر، ويتعرضون للعواصف والرياح والامواج العاتية، وكانت بعض من رحلات الصيد، تعود وقد فقد أحد أفرادها، فضلاً عن هذا كان هناك شح في موارد المياه ومعاناة لا تخفى من طبيعة الطقس الحارة، والحال لم يكن مثالياً لسكان المناطق الجبلية وما جاورها، والذين كانوا يعانون من شح الموارد واعتمادهم على تربية الحيوانات والزراعة، وأيضا على تقلبات الطقس طلبا لهطول الأمطار. وسط هذه الملحمة الإنسانية التي خاضها الآباء والأجداد، بكل عفوية واقتدار وصبر وتحمل، وسط هذه المعاناة، وظروف اقتصادية قاسية كان يعانيها العالم برمته، أعلن عن قيام هذه الدولة العظيمة، الإمارات العربية المتحدة، ومع نشوء هذه الدولة، بدأ قطار التطور يتحرك إلى الأمام، وإن كان ببطء لكن بخطوات ثابت وقوية. وسرعان ما انطلق هذا القطار بسرعته القصوى نحو التنمية والبناء والتعمير والتشييد، وكأن الإمارات عبارة عن ورشة عمل كبرى، التحمت على ثراها الطموحات والآمال والغايات العظيمة، فكانت هذه الجوهرة التي تضاهي دول العالم وتسبق دولاً وأمماً لها قصب السبق في مجالات الإبداع والتطور والتقدم الحضاري، مطارات الإمارات الأولى في العالم من حيث الازدحام، وباتت الإمارات التي تصدر النفط والغاز، منتجاً رائداً في الطاقة الشمسية، نشيد مشاريع في دولة كبرى مثل إنجلترا لإنتاج الطاقة الكهربائية، واليوم نتربع على هرم الاعتماد على الطاقة البدلية والمستقبل تتضح معالمه بالمزيد من الخيرات والعديد من النجاحات. فتيات الإمارات وأبناؤها، يجوبون العالم في جامعات عريقة وكليات شهيرة لأخذ آخر العلوم واكتساب المهارات التقنية والطبية والهندسية والعلوم بصفة عامة، وتشهد الإمارات مئات المئات من الجامعات، التي يلتحق بها آلاف من الطالبات والطلاب من مختلف أرجاء العالم. وتنتشر المكتبات العامة التي هي مصدر للمعرفة وإنتاج الثقافة، حراك عملي اقتصادي تجاري وفي مختلف المجالات، حراك لم يتوقف، ويتم الآن التوجه نحو الخمسين عاما القادمة بحيوية وترتيب وتنظيم وتخطيط. وجميعنا يتذكر اعلان صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله» بأن يكون عام 2021 الحالي عام الخمسين، والذي يحتفي بمناسبة مرور خمسين عاما، على تأسيس دولتنا الفتية، وسيستمر حتّى 31 مارس عام 2022. ونعيش هذه الأيام أنشطة واحتفالات تتعلق بهذا العام، ومن بينها: «دعوة أبناء الوطن إلى التأمل في قيم الماضي وإنجازاته اعتزازاً وفخراً بآبائنا المؤسسين، وإلهام الشباب لوضع تصوّراتهم حول طموحات الخمسين عامًا القادمة، ودعمهم لتحقيق انجازات وطنية نوعية تعزز مسيرة التقدم والازدهار».

والتوقف خلال هذه المناسبة والتفكير فيما كانت عليه البلاد قبل قيام هذا الاتحاد العظيم، والنظر في الواقع اليومي الذي نعيشه، يبرهن على عظمة العمل الذي تم والخطط الناجحة التي نفذت، حيث نستند على دولة قوية مسلحة بالعلم والايمان والبناء والجدية في التعمير والابتكار. وتماما كما كان الآباء والأجداد، على قدر التحدي المعيشي الذي عاشوه خلال العقود الماضية، فإن الأبناء من الآباء المؤسسين وعلى رأسهم الوالد الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله وأشقاؤه حكام الإمارات، رحمهم الله جميعاً، الذين شاركوه حلم الاتحاد، وقدموا المصلحة العامة ومصلحة شعوبهم على كل مبدأ أو على كل وجهة نظر، فالهدف كان الدولة وقيامها، وبتلك النوايا الطيبة النقية الصافية، تم التأسيس وقام الاتحاد بكل عفوية وفي هدوء وتفاهم وحوار. فكانت الإمارات، التي انطلقت في مضمار مسابقة أمم الأرض وبدأت، وتتربع الآن في مواقع الصدارة وفق أرقام تصدرها هيئات ومنظمات دولية، في الرفاه والرعاية الاجتماعية والسعادة وقوة الاقتصاد، والسفر والأمان واستقطاب الاستثمارات وغيرها الكثير. لقد أدركت القيادة الإماراتية أن عالم اليوم جديد التحول والتغير، وان هناك سعياً حثيثاً نحو التقنيات والمبتكرات، فكانت الخطط الطموحة التي تلبي الاستجابة لهذه التحديات. لذا لا غرابة أن تكون الإمارات تملك أقوى مشروع فضاء عربي، مع أن عمره الزمني قصير جدا، إلا أنها أرسلت رواد فضاء ويتم تدريب آخرين الآن على العيش في الفضاء، ولا ننسى مسبار الأمل، الذي أطلق للمريخ وبدأ بإرسال الكثير من المعلومات، أتاحتها الإمارات للباحثين والمهتمين مجاناً وخدمة للجهد البشري في غزو الفضاء وسبر اغواره، وفي مجالات الاستثمار أسست الإمارات عدة منصات استثمارية ناجحة على مستوى العالم، فلم ننتظر قدوم الدول والمستثمرين بل تم التوجه نحوهم، فضلاً عن هذا باتت الإمارات خيار الكثير من الشعوب لأنها عرفت بتسامحها وترحيبها بمختلف الثقافات والأهم انها باتت قولاً وفعلاً أرض الفرص الجديدة، فعلى ثراها حقق الكثير من المستثمرين نجاحات كبيرة ومكاسب مالية أدخلت إلى نادي المليونيرات. الإمارات لا تعيش في الحاضر، بل تعيش المستقبل، نحن نعمل في الغد، ونسابق أمم الأرض في مضمار الحضارة والتطور، والخمسين العام القادمة ستكون نجاحات وتطور، ولن تكون أقل مما فعله الأجداد، ولا أقل مما حققه الآباء ■

* كاتبة من الإمارات

عام الخمسين والعمق التاريخي لشعار إكسبو الأثري

عبدالله عبدالرحمن الحمادي

حين أعلن صاحب السّمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، حفظه الله، تسمية العام 2021 بـ «عام الخمسين»، وذلك احتفالًا بالذكرى الـ 50 على تأسيس الدولة عام 1971. كان سموه قد أكد على: «إن الاحتفال السنوي هو استثمار في بناء الإنسان أولاً، حيث يعدّ نقطة تحوّل استراتيجية للاحتفاء بالرّحلة الإنسانية الفريدة للخمسين عامًا الأولى من تاريخنا، نبدأ به في إعداد وطننا للتحوّل الفاعل والمستدام الذي ينتظرنا في الخمسين عامًا القادمة».

وفي 6 أبريل 2021 انطلق عام الخمسين رسميًا وهو مستمر حتّى 31 مارس 2022، متزامنا مع استضافة دولة الإمارات لمعرض (إكسبو دبي 2020) وبعنوان إماراتي عالمي هو(تواصل العقول وصنع المستقبل). وليبدأ في 10 أكتوبر 2021 برنامج تحديات هذا الحدث العالمي من أرض دولة الإمارات العربية المتحدة في عامها الخمسين بأحداث تفاعلية تحتضن وترعى الإبداع ويشارك فيها ألمع العقول وأفضل الكفاءات من مختلف العالم من أجل إيجاد الحلول المناسبة لبعض القضايا التي تندرج تحت مظلة الموضوعات الفرعية الثلاثة للمعرض وهي «الفرص والتنقل والاستدامة». وعلى مدى 6 أشهر سيعمل هذا الحدث الكبير على تعزيز العلاقة بين توفير الفرص، والنمو في بيئة سليمة، وتسهيل التواصل الفيزيائي والافتراضي، وضمان مستقبل مستدام للجميع». وبين الحدثين التاريخيين الحضاريين العالميين المتزامنين، بمناسبة اليوم الوطني الذهبي لقيام دولة الإمارات وتاريخها المعاصر، فإننا نشارك العالم في حمل (شعار إكسبو) المصمم من مصدر آثاري متمثل في «قطعة الذهب الدائرية النادرة» تعبيراً عن العمق التاريخي للإمارات، لتبعث لأجيال الحاضر والمستقبل وللعالم رسالة بأن «الرحلة الإنسانية الفريدة للإمارات» جعلت منها مركز تواصل ومحطة لالتقاء الحضارات وعاصمة للإبداع، هذه القطعة - النموذجية - المعنية

فندق قصر الإمارات - أبو ظبي

هي (شعار إكسبو)، الذي بات عالمياً اليوم، بعد أن كانت مدفونة في أعماق صحراء منطقة المرموم بإمارة دبي قبل اكتشاف كنوز الموقع الأثري المعروف بـ (ساروق الحديد) حيث مركز المهارات والإنجازات الرائعة لسكان الموقع في الصناعات المعدنية قبل ثلاثة آلاف سنة (العصر الحديدي). ولما كنا في محطة تاريخية وطنية تتوشح فيها دولتنا القلادة الذهبية بضخامة منجزات الخمسين سنة الماضية على قيامها ككيان سياسي واحد ذات سيادة مستقلة وإرادة حرة متحدة، فإن العمر الأثري التاريخي للقطعة الذهبية النادرة مصدر تصميم شعار إكسبو والذي يتقلد به عشرات الملايين من الزوار من مختلف دول العالم وتزين الأجنحة والمنصات العالمية المنشغلة بالحدث وفعالياته تعبيراً عن العمق التاريخي لهذه الأرض، حيث يقودنا إلى عالم المواقع والمستوطنات والمكتشفات واللقى الأثرية وإلى الشواهد والوقائع التاريخية تلك التي تثبت أن أجدادنا عاشوا على هذه الأرض وعمروها منذ آلاف السنين وعبر العصور المتلاحقة، ولتؤكد عراقة تاريخ هذا الشعب وتثبت قدرته على تعمير هذه الأرض ومساهمته في صنع الحضارة الإنسانية، وأن الاستقرار يضرب بجذوره في أعماق التاريخ القديم، وعلى العموم فإن قضية التاريخ طويلة كتسلسل الحقبة التاريخية الموغلة في القدم ذات الأثر العميق في الحضارات المتعاقبة ونحن في هذه

العجالة لن نذهب بعيداً في سرد أحداث التاريخ. ولما كانت إحدى ركائز احتفالاتنا بعام الخمسين هي «دعوة أبناء الوطن والمقيمين للتأمّل في قيم وإنجازات الماضي تكريمًا لآبائنا المؤسسين» فإن وجداننا التاريخي يستحضر إرهاصات ما قبل إعلان قيام الاتحاد، وما سبق ذلك من تسريع الخطوات وتذليل كافة العقبات وتخطي كل أنواع التحديات والمعوقات للدفع بمسار الوحدة والمضي في طريق الدولة الذي لا عودة عنه، فلقد انطلقت الخطوة الاتحادية الشجاعة من مبادرة الإتحاد الثنائي بين إمارتي أبوظبي ودبي في فبراير من العام 1968 على يد القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وأخيه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيب الله ثراهما، واضعين نصب أعينهما مصلحة البلاد والعباد، شكلت خطوتهما الأساس لقيام اتحاد الإمارات في ديسمبر 1971، بعد لقاءات واجتماعات ومفاوضات مارثونية، من أجل بناء دولة المستقبل، تجمعهما رؤية غلّبت مصلحة الأجيال الشابة على المصالح الآنية الضيقة، وبوحدهما هدف واحد ألا وهو تأسيس اتحاد يصمد في وجه التغيرات والتبدلات والتهديدات، مبرهنين بأن الإرادة والإدارة والعزيمة عناصر كفيلة بتحقيق معجزة الخمسين الماضية، وبعد ذلك بزمن قصير التقت رغبة حكام جميع الإمارات مع رغبة أبناء الإمارات الذين يكوّنون شعباً واحداً يملك أرضاً واحدة، التقت هذه الرغبة على قيام الاتحاد ليكون قادراً على الحفاظ على كيانها، تنفيذاً لبيان المجلس الأعلى لحكام الإمارات الصادر في 18 يوليو 1971، وتم بعون الله انتخاب القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه رئيساً لدولة الإمارات العربية المتحدة. وفي ذاكرة التاريخ مازالت تتردد مقولته الخالدة: «إن الاتحاد يجب أن يشمل الصغير والكبير والقوي والضعيف، وهدف الإتحاد هو أن يعتمد الصغير على الكبير، ولا خير في كبير لا يساعد الصغير، إذ ما هي الفائدة من الكبير إذا لم يأخذ بيد الضعيف؟». واليوم يؤكد لنا صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة: «إن نجاحات العقود الخمسة الماضية وإنجازاتها، التي حازت إعجاب العالم وتقديره واحترامه، تحققت بالجهد والعزيمة والتفاني.. لكننا نحتاج خلال العقود الخمسة المقبلة إلى مضاعفة هذا الجهد، ومواصلة العمل والكفاح، لأن الطموح أكبر، والتحدي أصعب، والمنافسة أشد وأقوى، والتحولات حولنا أسرع وأعمق».. «نريد بناء إمارات المستقبل كفريق واحد.. بروح الاتحاد.. بروح زايد.. بروح تعشق القمم.. بروح تعشق البناء .. معركتنا معركة بناء مستمرة وستبقى».

ومثلما تدعو قياداتنا الرشيدة أبناء الوطن والمقيمين للتأمّل في قيم وإنجازات الماضي تكريمًا لآبائنا المؤسسين، فإن الركائز الاحتفالية الرئيسة المحددة لعام الخمسين بروح احتفالية تشمل كلّ من يعتبر دولة الإمارات وطنًا له، فإن أنشطتها تستهدف إلهام الشباب لوضع تصوّراتهم حول طموحات الخمسين عامًا القادمة ودعمهم بالأدوات اللازمة لخلق المستقبل، ومن تلك الركائز أيضاً دعم المبادرات طويلة المدى والسياسات المؤثرة لتمكين أبناء الدولة والمقيمين من القيام بدورهم.

المقومات الأصيلة لوحدة شعب الإمارات

وفي السياق التاريخي جدير بنا الإلتفات إلى ما يفيدنا به بعض

مسجد الشارقة

المؤرخين والمتخصصين في شؤون المنطقة وهم يؤكدون ويتفقون في هذا الصدد على أن تأخر قيام الاتحاد حتى أواخر عام 1971 إنما يرتبط بظروف تاريخية فُرضت على المنطقة فرضاً ولا تتفق مع طبيعة الأمور، وأن هذه الحقيقة لم تلق نصيبها من عناية الباحثين وهي جديرة بأن يتفهمها شعب الإمارات وجيله الناشئ. إنهم بذلك يشيرون إلى تلك المقومات الأصيلة للوحدة الجغرافية والبشرية والتاريخية والتراثية والدينية والترابط والتجمع الشعبي في الإمارات منذ البعيد وإلى الأبد إن شاء الله، تلك التي تستدعي كثيراً من التوضيح والاهتمام وإن كانت لا تخفى على أفراد الأسرة الواحدة في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث تتجلى أولى الحقائق العاملة على الوحدة بطبيعتها الذاتية ألا وهي وحدة الرقعة، أي ذلك الاتصال الجغرافي المستمر للمنطقة من حدودها في الغرب حتى أقصى الحدود في الشرق، فليست الإمارات مجموعة من الجزر وأشباه الجزر التي تفصلها البحار ولكنها رقعة واحدة وكتلة أرضية متصلة، والجزر التي تتبعها قريبة من السواحل ولا تضم على كل حال إلاّ نسبة محدودة من مجموع السكان، هذه الحقيقة تعني أن أهل المنطقة قد أُتيحت لهم هذه الفرصة الطبيعية للاتصال البشري منذ أقدم العصور، إضافة إلى أن مظاهر السطح في منطقة الإمارات لم تكن بأي حال مما يعرقل الارتباط بين السكان.. ويجيء الموقع الجغرافي للإمارات في منطقة التقاء الخليج العربي وخليج عمان الذي ينفتح على المحيط الهندي كحقيقة طبيعية أخرى إذ انعكس هذا الموقع

متحف دبي من شارع الشيخ زايد

في نشاط السكان البحري منذ تاريخ قديم موغل في القدم بكل ما يعنيه ذلك من انفتاح على العالم ومعاملات تجارية وغير تجارية واحتكاكات حضارية وتنوع في التجربة، وحدث ذلك منذ وقت بعيد. وهكذا كان للموقع الجغرافي لمنطقة الإمارات ولسواحل الخليج العربي عامة مغزاه الحضاري إذ خلق طائفة متنوعة من الاتصالات الاقتصادية وغير الاقتصادية بالعالم الخارجي منذ عهد بعيد بكل ما يعنيه ذلك من اتساع في الأفق وصقل للمعرفة بالأخذ والعطاء ثم بكل ما يعنيه وهذا أكثر ما يهمنا في هذا المقام من وحدة التجربة التاريخية بين سكان الإقليم.

وبفضل تلك العوامل الجغرافية من ناحية وبفضل عامل بشري خطير هو ظهور الإسلام الحنيف وانتشاره بين سكان منطقة الإمارات اكتملت لهؤلاء السكان كل العناصر الأصيلة للوحدة البشرية ، ونحن إزاء منطقة تحقق فيها التجانس السلالي من حيث تقارب الملامح والسمات الطبيعية لجسم الإنسان مضافاً إليه الإحساس بالعروبة الأصيلة وشعور بالفخر والانتساب إليها.

كما تحقق لأبناء المنطقة وحدة اللغة كركن أساسي من أركان الوحدة القومية وهي أيضاً طريقة تفكير تنعكس فيها عادات الأمة وتقاليدها وتجاربها المختلفة مع بيئتها الخاصة وعبر تاريخها الخاص، وهي سجل للتراث الثقافي يتجمع فيها أدب الأجداد وسائر ألوان حياتهم الثقافية. وفوق ذلك تملك الدولة تلك الوحدة الروحية الرائعة التي يضفيها الدين الإسلامي الحنيف على طابعها الثقافي والحضاري. وغني عن البيان أن وحدة الدين إذا توفرت لأمة من الأمم كانت أدعى لتيسير تحقيق وحدتها السياسية، وأضمن لاستمرارها وبلوغ غاياتها.

هكذا تتوفر لدولة الإمارات العربية المتحدة درجة رائعة من وحدة السلالة وأصالة العروبة والوحدة الروحية وكان لا بد أن يؤدي ذلك كله وفي إطار الوحدة الجغرافية ووحدة التجربة التاريخية إلى درجة عالية من التجانس في الأسس الاجتماعية وعلى رأسها العادات والتقاليد وتشابه النظرة إلى القيم الخلقية وكيفية الاستجابة للمؤثرات الخارجية وهذا ما تملكه الدولة عند كل من يستخدم النظرة الشاملة التي لا تقف عند حد التفصيلات.. فهو يتجلى في سيادة القيم العربية المشهورة من كرم ومروءة ووفاء وتماسك عائلي وصلة للرحم ومن نظرة محددة للعرض والشرف، كما يتجلى في معظم العادات المرتبطة بالزواج والأفراح والتراث المادي والثقافة الشعبية وغير ذلك من العادات والقيم الاجتماعية الراسخة. وبالإضافة إلى تلك المقومات الجغرافية والبشرية لوحدة شعب الإمارات يسترعي الانتباه أيضاً أنه على الرغم من التركيب القبلي المعقد في المنطقة، إلاّ أنه

منذ أوائل القرن الثامن عشر بدأت القبائل العربية تأخذ نوعاً من الترابط والتجمع فيما بينها ولا نكاد نصل إلى منتصف القرن الثامن عشر حتى يطالعنا تنظيمان قبليان كبيران هما اتحاد بني ياس سكان القسم الجنوبي من المنطقة التي تقوم عليها دولة الإمارات، واتحاد القواسم سكان القسم الشمالي، وقد تقاسم هذان الحلفان الكبيران السلطة السياسية في المنطقة وكان من المتوقع لهذين الحلفين النمو والإتحاد فيما بينهما لو أُتيح لهما الظرف المناسب من دون ضغوط خارجية.

وتجدر الإشارة على كل حال إلى أن قبيلة القواسم قد أقامت منذ القدم علاقات جوار طيبة مع قبائل بني ياس وتعاونت معها في صد الغزاة من البرتغاليين الذين حاولوا استعمار المنطقة. وقد أنشأ الحكام عام 1952 مجلس الرمارات المتصالحة وهو مجلس استشاري يتألف من حكام الإمارات السبع لدفع فكرة الاتحاد بينهم ليصبح في عام 1965 «مجلس الإمارات المتصالحة التطويري» وقد وسع المجلس نشاطاته لتشمل المصالح الداخلية وعملية التطوير في المنطقة. وترجع بداية إنشاء بعض الدوائر الحكومية الأساسية كالجمارك والشرطة والجوازات والمعارف والمحاكم في بعض الإمارات الأكثر تقدماً مثل أبوظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة إلى منتصف الخمسينيات والستينيات، وكما أوضحنا سلفاً فلقد كانت الخطوة التي قام بها القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وأخوه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم - طيب الله ثراهما - في اجتماعهما المفاجئ في دبي من أولى الخطوات في سبيل ميلاد اتحاد الإمارات العربية. ومن المنظور التاريخي والتوثيقي تستوقفنا في هذه المناسبة الوطنية الغالية مقولة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي حفظه الله في بدايات الاستعدادات لأجواء هذه الاحتفالات بين الخمسينين: «في عام الخمسين نريد أن نعمل سوياً في كافة القطاعات..مواطنين ومقيمين.. لأننا متحدون نستطيع تغيير المعادلات.. نستطيع رفع التوقعات.. أجواء يوبيلنا الذهبي في 2021.. نريدها كأجواء 1970 عندما كان الآباء المؤسسون وفريق العمل يستعدون لبدء مرحلة وحياة جديدة لهذا الوطن».

العلم وتدوين التاريخ للأجيال

ويتردد في آفاق الحاضر والمستقبل بين (الخمسينين) - كمحطة تاريخية من عمر الدولة صدى مقولة القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه - وليشمل الأعماق التاريخية المبكرة والحديثة للأرض والإنسان: «إن العلم والتاريخ يسيران جنباً إلى جنب.. فبالعلم يستطيع الإنسان أن يسطر تاريخه،

إطلالة بانورامية على الداخل لمول الإمارات الرائع ، مزينة للاحتفال باليوم الوطني

ويدونه للأجيال؛ ليطلعوا عليه، ويعرفوا ما قام به الأجداد والآباء». وفي هذا السياق يقول الدكتور المؤرخ قسطنطين رزيق - رحمه الله - في كتابه (نحن والتاريخ): «الحاصل هو أن الإنسان (لب التاريخ، وموضوع التاريخ، فهو الكائن الذي يملأ الدنيا بعقله وحركته». إذا ما اتفقنا مع هذه المقولة فإنها ستكون خلاصة موجزة متخصصة نابضة بالمصداقية الملموسة خلال مسيرة رحلتنا مع ذاكرة الزمن ومصادر التاريخ المبكر والحديث والمعاصر حصيلة العلم والعمل الجمع والتوثيق والتدوين والحفظ خلال الخمسين سنة الماضية من عمر دولة الإمارات كلمة ووثيقة ومقتنيات ومكتشفات آثارية وصولاً إلى الروايات الشفهية، وكثيرة هي منجزات الجهود المؤسسية الرسمية والأهلية والبحثية والأكاديمية والفردية والتطوعية المعنية بالآثار والتاريخ والتراث والثقافة الشعبية، وبها تتأكد مقولة (زايد) حول علاقة العلم بالتاريخ وتدوينه. وعموماً، فإن ولع الإنسان وشغفه بمعرفة خبايا كنوز بشريته إنما هو جزء جوهري من تكوينه، وقد كان هذا الولع بمحاولة استجلاء وحصر ما يسعه فعله، واستطلاع ما يمكن أن ينتج عن كل فعل أو شعور أو اتجاه من آثار على صفحات الواقع المعاش دافعا له، ومنذ ما قبل الكتابة، لمحاولة البحث في سير الماضين من الأسلاف وتتبع الخيوط المؤدية إلى معرفة ما خفي عنه مما أنتج ما يعيشه من ظروف سياسية كانت أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية، فعملية التأريخ بحد ذاتها هي عملية فطرية تجمع بين معرفة القصة ووصفها بالشكل الأدق، ومن ثم ربط تلك التفاصيل ببعضها واستخلاص الآلية السننية التي تجري من خلالها الأحداث وتتكون عبرها الكائنات الزمانية عبر أطوارها. ولعل المؤرخ في موقعه المميز المطل على الماضي والمستشرف للمستقبل عن علم وبصيرة يعد بشكل كبير من تلكم الشخصيات التي تجمع في مضمونها بين العلم والأدب في آن وبين الحقيقة والتصور، فالمؤرخ المتجرد من الشروط المدرسية لـ (علم التأريخ) هو فنان تشكيلي قادر على النفاذ من الوصف الظاهري لما حدث، إلى رسم صورة لماذا حدث؟ ومحاولة الاستخلاص لتلك المعاني والقيم والعبر التي يمكن استخراجها كلآلئ البحر التي تشكل ببريقها مصابيح استرشاد لأجيال قادمة من بني الإنسان في معرفة الأنماط السلوكية والدوافع الخفية ومكامن القوة والضعف والقوانين الحاكمة للتفاعل البشري.

ومع التسارع المضطرد في تطور وسائل البحث التاريخي مدعمة بالمكتشفات الأثرية ووفرة المصادر وتنوع مشارب المعارف، فإن مؤرخ اليوم هو أقدر على أداء ذلك الدور الرسالي من أي وقت مضى، فشتان بين من لم يملك إلا خبراً ظنياً ومصادر محدودة ومدونات قد كتبت لتخدم هدفا وقتيا، وبين من يملك الوصول إلى كل ما دون وكتب في فنه بضغطة زر، ويمكنه الانتقال إلى مصدره البشري بأسرع السبل والوسائل، فمؤرخ اليوم هو في موضع أكثر تمكيناً لإعمال الفكر والإبداع في نقل وتمحيص الحقائق والوصول من خلالها إلى الهدف الأسمى للتاريخ، ألا وهو صناعة أدوات تنفع العالم أجمع في صياغة مستقبله. ولعالمية التوجه وكونية المخاطبة تبعاتها ومسؤولياتها، فالإنسانية اليوم أحوج إلى المؤرخ الموضوعي المتجرد من دوافع الفخر أو التأصيل للتفوق من أي وقت مضى، حيث أن المطّلع العالمي لا يكترث بسجل الانتصارات أو الهزائم أو الأمجاد بقدر اهتمامه بمعرفة الكيفية والأسس التي تمت عبرها تلك الأحداث، كما أنه، ونظراً للمحدوديات والصعوبات اللوجستية واقتصار فن التاريخ على فئة محددة من المشتغلين عبر العصور، فقد تركز اهتمام هؤلاء المدونين على التاريخ السياسي وما يحيط به واعتمد كل محدث منهم على وصف من سبقه، ولعل هذا العصر فرصة ذهبية للمؤرخين للغوص في ثنايا البقية الأعظم من مآثر الجنس البشري، متسائلين عما عاشه عامة الناس من ظروف، وكيف أبدع هذا الإنسان في التكيف مع تقلبات الزمان سياسية كانت أو طبيعية أو اقتصادية، فهنا تكمن أحسن القصص وتستلهم العبر اللامحدودة. وعلى عكس المنهجية العلمية المؤصلة والمقيدة التي تمليها العلوم التجريبية، فإن حاجة المؤرخ إلى استقراء طبيعة حياة الناس من خلال ما يتناقلونه من تراث معنوي متمثل في الروايات الشفهية والأمثال والشعر والأساطير وغير ذلك من ضروب الفولوكلور تعادل إن لم تفق حاجته إلى المصادر المدونة أو الدلائل التاريخية المثبتة، إذ أن تلك المرويات المتناثرة والمخفية في صدور الرجال، وإن شابتها الشوائب الشخصية وقلت قابلية تطبيق الضوابط المنهجية عليها، تمثل بحق ما عاشه الإنسان وعايشه، وتصوغ ذلك السياق المتنوع والمستمر كالنهر الذي تنتقل عبره المعارف وتبنى عبره الأنماط والبنى الثقافية التي تشكل في مجملها نسق الحياة. إن السمة الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها ذلك الشخص الذي أراد خوض غمار التاريخ هي عدسة الفنان وقلم الأديب القادر على دمج كل ما يراه أو يقرأه أو يسمعه في قالب يناسب ما تمر به الإنسانية من مراحل، مستخرجا ما يعين الإنسان على إكمال مسيرة ارتقائه على أرضية صلبة من الوعي الشامل المدرك بأن الحياة وإن تطورت أشكالها ووسائلها قائمة على سنن ودورات يمكن استيعابها من خلال إدراكنا للتاريخ ■

* إعلامي وباحث من الإمارات

أهمية الاتحاد في فكر الشيخ زايد وحياته

علي كنعان

يقول المثل «إن الاتحاد قوة»، وهذه القوة لحماية الديار وردع أي اعتداء، كما أنها للبناء ودفع عجلة التطور نحو الخير والكفاية والاستقرار. ولقد مرت على البلاد العربية، وعلى دول عديدة في الشرق والغرب، تجارب للوحدة لم تستطع الاستمرار وسرعان ما عصفت بها رياح الاختلاف والانقسام. لكن كثيرا من المثقفين ورجال الفكر في البلاد العربية وفي العالم يتساءلون بإعجاب واهتمام: كيف استطاعت حكمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أن تؤسس هذا الاتحاد الراسخ في الإمارات ليكون مثلا وقدوة للآخرين، في حين آلت جميع المشاريع الأخرى إلى الفشل والإخفاق. ويلوح اليوم في الأفق وعلى أرض الواقع أخطار وصراعات تهدد بعض الدول العربية وغير العربية بالانقسام والتمزق، من دون أن ننسى كوارث التهجير والتشريد والمذلة في أكواخ اللجوء والهلاك على شواطئ البحار.

ولعلنا نتذكر في هذا السياق أن المشاريع الاتحادية السابقة في أكثر من إقليم لم يكتب لها النجاح. وفي التاريخ المعاصر أمثلة عديدة وتجارب أضاءت فجأة وانطفأت. إن الآراء والاجتهادات كثيرة في هذا الشأن، لكن التفكير المنطقي السليم يدعونا إلى استحضار حكمة الشيخ زايد الذي حقق هذه التجربة الرائدة في بناء الاتحاد بالتعاون مع إخوانه من حكام الإمارات، حتى أصبح هذا الاتحاد قدوة عليا ومثالا حاضرا ينبغي الاقتداء به وتدريسه في الجامعات، لتستنير أجيال الشباب العربي بحكمة القائد الذي حقق هذا الإنجاز الكبير، وتسهم في بناء حضارة المستقبل المتطلعة إلى الفضاء واستكشاف ما حولها من كواكب وأجرام فضائية مجاورة.

وفي كتاب موسوعي ضخم عنوانه «زايد بن سلطان آل نهيان: سيرة التحوُّل والنُّهوض» تقديم سمو الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان، واشترك في تأليفه كل من: د. خليل الشيخ، ود. علي بن تميم، نطالع المنطلقات الفكرية والمرتكزات الأساسية التي اعتمد عليها الشيخ زايد، نضّر الله ثراه، حتى تم إنجاز الاتحاد وأصبح دولة عربية راسخة البنيان، يعتز بها جميع أبنائها والمقيمين فيها وتشكل في عصرنا منارة عالمية على شاطئ الخليج العربي تتطلع إليها ملايين القلوب في العالم. يقول سمو الشيخ هزاع في مستهل تقديمه للكتاب: «تتباهى الأمم بعظمائها، والحضارات بصنّاعها، فتدرس سير هؤلاء العظماء، وتخلّد ذكراهم العطرة وإنجازاتهم الباهرة، وتنقشها على صفحات تاريخها بأحرف من نور». ويضيف سموه: «في مدرسة زايد تعلمنا كيف نبني جسور العلاقات مع العالم، وكيف نصوغ هويتنا، ونصنع ثقافتنا، ونكتب تاريخنا، وأصبحت إنجازاتنا في مختلف المجالات تتحدث بلغة يصغي إليها الجميع».

ونتأمل الدروس المضيئة التي تركها لأجيال الأمة عسى أن تحفظها وتقتدي بها وتسفيد. الفطرة السليمة ينبوع الحكمة، وإلى جانب الحكمة التي امتاز بها الشيخ زايد تأتي محبة الشعب له والعمل بكل ما يقول ومساندته في كل إنجاز، وهذا ما يعزز نجاح الاتحاد. وفي سبيل هذا الهدف العزيز يقول الشيخ زايد: «إن الاتحاد يعيش في نفسي، وفي قلبي، وأعز ما في وجودي، ولا يمكن أن أتصور في يوم من الأيام أن أسمح بالتفريط به، أو التهاون بمستقبله». هذه كلمات حكيم العرب التي ينبغي أن تظل ساكنة في قلب كل عربي. وتتجلى محبة الشيخ زايد لشعبه في قوله: «إن الأساس في النظام هو الصدق، والإخلاص، والعمل لمصلحة الشعب والبلاد». وبهذه المبادئ السامية والمثل العليا تم تأسيس دولة الإمارات والمحافظة على اتحادها ونحن على أبواب الاحتفالات باليوبيل الذهبي من ذلك اليوم المجيد. وحين نتأمل في هاجس الوحدة عند الشيخ زايد ونطالع كلماته نرى أنه يؤكد على أن جميع الإمارات هي أعضاء في أسرة واحدة، ومن المهم إقامة علاقات طيبة بين أبناء هذه الأسرة الواحدة، ويقول: «إن مصالحنا متشابهة... وإن أهم المشاريع التي سنولها اهتمامنا هي إنشاء مرفأ عميق، ومطار دولي، ومستشفيات، وطرق، وبناء جسور لربط مدينة أبوظبي بالبرّ، وتخطيط المدن، وبناء سوق عصرية». ولا شك أن وعي القائد بالتاريخ والدروس المستخلصة من أحداثه كان لها آثارها الجليلة في نظرته الحكيمة للأمور، إذ يقول: «إن التاريخ سلسلة متصلة من الأحداث، وما الحاضر إلا امتدادا للماضي، ومن لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره ومستقبله... فمن الماضي نتعلم، ونكسب الخبرة، ونستفيد من الدروس والنتائج، ونأخذ الأفضل وما يناسب احتياجاتنا المعاصرة، ونتجنب الأخطاء التي وقع فيها الآباء والأجداد».

ويستنتج قارئ الكتاب من حياة الشيخ زايد وتصريحاته أن حماسته للاتحاد وسعيه الميمون لتحقيقه أمر منطقي يتسق مع خبرته الواسعة بتاريخ البلاد وجغرافيتها وقبائلها، ومعرفته بتراثها وتقاليدها... ولأن التاريخ علم المستقبل - كما يؤكد الحكماء - نستمع للشيخ زايد يقول في أحد تصريحاته: «التفرقة ضعف، والاتحاد قوة، وقوة العرب في وحدتهم؛ لأن فيها خلاصهم ورفع شأنهم، وليأخذوا مكانهم الطبيعي بين الأمم...» وكان يؤكد على التاريخ المشترك قائلا: «أريد أن أعود إلى التاريخ... في كافة العصور التي اتحد فيها العرب لم يتمكن جسم غريب من الدخول بينهم... كل الذين حاولوا غزونا دحرناهم بالوحدة والتماسك... الفترات التي تمكن الأعداء فيها من رقابنا كانت فترات التفكك والانقسام... لكننا كنا نعود دائما إلى جمع الكلمة ولمّ الشمل لنطرد الغزاة... والأمثلة كثيرة في التاريخ». يشار إلى أن الكتاب صادر عن «وزارة الثقافة والسياحة - شركة أبوظبي للإعلام» 1440هـ- 2019م، ويقع في 300 صفحة من القطع الكبير، وهو مزود بالصور الوثائقية المهمة ■

* شاعر سوري مقيم في الإمارات

أمة بحجم المستقبل

عبد الفتاح صبري

التاريخ يقاس بالآف السنين وحضارة الأمم تقاس بحقب طويلة من الازدهار، لكن هناك تجارب وأمماً استثناء لأنها ولدت عصية على الناموس والتواتر المعهود، ودولة الإمارات كانت خارج قياس التاريخ لأنها ولدت من رحم مستقبلها وبحجم حلمها الذي تحقق ساعة أن تجمعت إرادة شعب، ويقين قائد وزعيم آمن بحلمه وآمن بمستقبل واعد لأمته، حمل عزمه وثقته ووهب حلمه روح الأمة وعقد اللواء نحو الغد الآتي المأمول.. وبعزم الرجال وبإيمان الشعب والناس بقائد جاء لموعده مع القدر ليصنع دولة ويحقق الطموحات، وها نحن الآن وفي عمر وجيز نصير أمة في مقدمة الحراك الإقليمي والدولي تؤثث لحضارة الإنسان، وتبني من قلب ميلادها حضارة ودولة تؤثر وبهفو إليها العالم، تقدم له ومعه تجربة إنسانية فريدة.

وكانت ركيزة هذه النهضة التي تمت في عمر لا يعدّ في حياة الشعوب إلا يسيراً، هي الثقافة ركيزة لبناء الإنسان والوطن، وأساساً متيناً للدولة الناشئة، وتعدى بناء المؤسسة الثقافية الحديثة ليتسع نطاقها ليشمل حماية التراث، تراث هذه الأمة التي ولدت كبيرة، وتعزيز قيمها الثقافية ليظل مورداً للبناء تنهل منه أجيال إلى آماد المستقبل الزاهر والواعد والمنشود، ومن هذا المنطلق ترسخ الهدف المؤسس للثقافة وللمؤسسة لإحياء المواهب واكتشاف النبوغ وتحفيز كل ما هو مؤثر مهم للبناء من أجل نهضة تشع على ربوع الدولة وكل رقعة فيها، وليبزغ الأثر ويرتفع علم الإمارات العربية المتحدة خفاقاً في أرجاء العالم، وعلى كل هامات المؤسسات الأممية والعالمية بأن هناك دولة تمتلك روح البناء المستقبلي، وتهندس لتبلغ زرى الحداثة والعلم متجاورة، بل وسابقة دولاً وأمماً تمتلك إرثاً حضارياً بآلاف السنين.

وإذا كنا الآن في ساعة الاحتفاء بمرور خمسين عاماً على بداية الانطلاق لأمة، وعلى منصة الشهادة والفرح والسعادة والاندهاش لما تم وأنجز.. فإننا سنرى أقنية أشيدت لتحمل رسالة القائد وفكره نحو تعميم الثقافة والعلوم والتعليم، فكانت مثابات الفكر والثقافة لانطلاقة الأهم منها المجمع الثقافي، فكان صرحاً عالمياً للثقافة والفنون، وسجل كأحد مصادر التراث الثقافي، وقد منح قيمة للتراث الثقافي والفني الخالد لأنه كان حاضناً ومركزاً للحفاظ على الموروث، ونقطة إشعاع ثقافي عظيمة أسهمت في إثراء المشهد نحو البناء، بناء الإنسان والحفاظ على وجدانه ثرياً عامراً بالقيم والموروث الجمعي الأصيل.

ومن قبل هذا الصرح، شيّد المغفور له الشيخ زايد راعي البناء وحاديه جامعة الإمارات الحاضنة الأولى لبراعم المستقبل وصنّاع الحياة القادمين بأمل وطموح الدولة المنطلقة للمستقبل بشغف وعزم، ومنها تخرج الرعيل الأول من كوادر المؤسسات الوطنية والرسمية الذين تحمل تبعات البناء الأولى، وتنفيذ طموح القائد المؤسس، وكان هو نفس الجيل الذي أسس لثقافة ما بعد مرحلة الثقافة الشفاهية فكان منهم الأدباء والإعلاميين والكتّاب والمؤلفين وفناني ومخرجي المسرح الإماراتي الذين حملوا لواء التجديد والبناء الثقافي والإعلامي والصحفي في فترة البناء الأولى، توالت بناء المؤسسات التي تهتم بالعلوم والثقافة، وبناء الإنسان، ومنها وزارة التربية والتعليم، ووزارة الإعلام والثقافة، والأندية الرياضية، وجمعيات النفع العام المهتمة بالثقافة، والفنون الشعبية التي هدفت إلى حمل راية التأسيس للإنسان بالتجاور مع المؤسسات الرسمية التعليمية والثقافية التي تؤكد على أن دولة الإمارات اهتمت بالجانب الحداثي العمراني، متوافقاً مع نهضة متوازية لبناء الإنسان ثقافةً وعلماً وفكراً، هذه النهضة التي بدأت مترافقة مع انطلاقة الدولة المباركة في ديسمبر من العام 1971، بلغت أوجها الثقافي بعد عقد من الزمن، حيث شكلت الثمانينيات للباحثين والرائين والدارسين محطة من الوهج الثقافي الباذخ، حيث بدأ غرس زايد في الظهور والبروز، فتألق المشهد بكتّاب وأدباء من خريجي الجامعة وفنانين مسرحيين وتشكيليين وبنائين ومهندسين وإعلاميين، فازدهت ساحة الفعل والتألق والازدهار، وبرز إلى ساحة الفعل إماراتيون أثروا المشهد الثقافي وأناروا دربه للآتين من بعدهم، وأخذوا بأيدي أجيال أخرى على درب النماء والاعتمار الثقافي والفني، وأجيال تواصلت لتصل اليوم إلى ذروة النهضة وعظمة البنيان، أسهمت فيه جهود كبيرة

متحف الحضارة الإسلامية بالشارقة

ممن آمنوا بدرب الثقافة طريقاً للنهضة وبناء الحضارة والإنسان، ولقد كانت تجربة الإمارات المختلفة مساهمة ومعضدة للاكتمال وسمو البناء الحضاري والنهضوي الذي بدأ بميلاد الدولة، وما زال طامحاً نحو العلا.. ومثالاً فإن تجربة الشارقة الذي حمل لوائها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، إلا دليلاً على تجربة مهمة أغنت وأثرت المشهد الإماراتي بمشروع ثقافي نهضوي بلغ ذروته حينما اكتملت أدواته وبناه التحتية من متاحف ومسارح ومراكز علمية وجامعات ومؤسسات تهتم بثقافة الطفل واليافع، وتهتم بالإنسان في كافة مجالات ودروب الثقافة والفنون والآداب، حتى أصبحت الشارقة موئلاً مهماً وطنياً مساهماً وفاعلاً في إثراء المشهد الثقافي الإماراتي، بالإضافة إلى المشهد المشع في كافة أرجاء الدولة ومدنها، والذي يكتنز بمؤسسات ومبادرات ومشروعات تضخ الثقافة وتأخذ بيد الإنسان لتنميته وتثقيفه وتعليمه، هذه المراكز التي باتت منتشرة في مدن أبوظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة والفجيرة وغيرها.

ولقد أسهم مشروع الشارقة في أن منح الدولة سبق الريادة الثقافية في المنطقة العربية والإقليم، وأسهم في حوار الحضارات مع الشعوب الأخرى في آسيا وأوروبا وإفريقيا، ومُنحت الشارقة ألقاباً إقليمية ودولية في البناء الثقافي والنهضوي كلقب عاصمة ثقافية عربية في العام 1998، وعاصمة للثقافة الإسلامية في العام 2014، وعاصمة عالمية للكتاب 2019، وأصبح معرض

متحف تاريخي في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة

قلعة الجاهلي الشهيرة في واحة العين

معرض الشيخ زايد

قلعة ومتحف البثة بالفجيرة

الشارقة الدولي للكتاب الأول في العالم. دولة الإمارات الآن تحتضن على أرضها عشرات الفعاليات الفنية والثقافية والأدبية طول العام ومن مختلف مراكز إشعاع مدنها المختلفة، فجعل منها مركزاً ثقافياً بارزاً ومهماً ومؤثراً في المنطقة والعالم. كما تضم مدنها المتاحف ومعارض الفن التشكيلي العالمية مثل بينالي الشارقة الدولي، ومثل متحف اللوفر في أبوظبي، وما وصلت إليه الإمارات الآن كان بفضل ما رسخه بانيها ومؤسسها وراعي نهضتها الأولى المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حتى وصلت الآن في كل مدن وإمارات الدولة إلى هذه الثمرة اليانعة من الثقافة والإبداع والفن وزهو البناء في المعمار والإنسان، حتى أصبحت الثقافة ركيزة للحفاظ على التراث والهوية الإماراتية. إن ما تم استثماره في التعليم والثقافة منذ التأسيس أسهم في الوصول إلى كمال المشروع واكتمال المعمار النهضوي، حتى أصبحت الإمارات مركزاً ثقافياً عربياً وإقليميا، لما تم على أرضها من إنجازات وحراك ثقافي وفني ناهض أسهم في أن تكون مركزاً للتنوير في الإقليم والمنطقة العربية ومنارة للتسامح وجسراً لحوار الحضارات.

الثقافة كمشروع نهضوي جعل من الإمارات بلداً يهفو إليه صنّاع المعرفة والعلم والثقافة من الإقليم والوطن العربي، ليصنعوا هنا مشروعهم وواالتواصل مع مبادراتها الثقافية ومشاريعها العلمية والنهضوية لرفعة الفنون والآداب والثقافة وإفشاء القراءة والمعرفة.

كما أن هذه النهضة الثقافية العظيمة أسهمت في خلق مجتمع إماراتي متسلح بالعلم والمعرفة والقدرة على قيادة مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتطلع نحو المستقبل وعلوم التكنولوجيا، التحدي القادم للمستقبل والصعود للفضاء كجزء من مشروع ما زال بحلم يتحدى المستقبل من أجل الإنسان ونهضته في الإمارات. بعد أن تم صنع تراكم ثقافي وبنية أهّلت الشباب والأجيال واستوعبت طاقاته الإبداعية، أهله لأن يضيف إلى البناء في مجالات متعددة، وترجم طموحه في مشروعات تهتم بالمستقبل، وتعدّ لبنة مهمة في استمرار البناء النهضوي والثقافي الذي يضم مجالات الإبداع كافة من فنون تشكيلية تتوازى مع الحراك العالمي في السياق، ومعارض كتب وصناعة مجلات ثقافية ومبادرات ثقافية في المسرح، وصناعة الكتاب وتعزيز أطر البناء الثقافي للإنساني ■

* كاتب مصري مقيم في الإمارات

على عتبات الخمسين

زايد.. الشخصية الاستثنائية

د. منّي بونعامة

حظيت شخصية المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيّب الله ثراه بما لم تحظ به شخصية زعيم عربي على الإطلاق، لما اتّصف به من صفات وشمائل عزّ نظيرها في أوانه، وحارت بحصر خصاله الأفهام وتعثرت في وصفها الأقلام، وكانت محط إعجاب كبير من لدن كل من قابله وجالسه أو سمع عنه، ولا يخلو كتاب أو دراسة عن دولة الإمارات العربية المتحدة من ذكره وعرض شهادة تحتفي به، وتبرز مكانته في قلوب محبيه من الإماراتيين والعرب والمسلمين والعالم، واحترام الساسة والزعماء له، وتقديرهم للمجهود الكبير الذي قام به في سبيل تكوين الشخصية الإماراتية وبناء دولة الاتحاد التي كانت، وما تزال، تجربة فريدة من نوعها في سياقها العربي والإقليمي والعالمي.

وقد عكف الكتاب والمفكرون والباحثون على دراسة شخصية زايد طيب الله ثراه، والغوص في جوانبها الإنسانية والخيرية والاجتماعية والسياسية، والثقافية، فلم يستطيعوا الإحاطة بكنهها، وإن لامسوا بعضها، ووثقوا مراحل منها. وكانت الكتابات الأجنبية وبخاصة كتابات الرحالة والإداريين البريطانيين من طلائع الأقلام التي اهتمت بزايد وراقبت وتابعت وقيّمت أعماله ومواقفه وإنجازاته التي قدّمها منذ كان حاكماً للعين نيابة عن أخيه الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان، لما ظهر عليه من سمات وامتاز به من صفات فاقت كل أقرانه وأهل زمانه وتركت انطباعاً إيجابياً وصورة مشرقة عن الرجل البدويّ الأصيل المتسامح مع الآخر أياً كان، وذلك ما عكسته الانطباعات والملاحظات التي تركها لنا الرحالة والإداريون البريطانيون ممن تعرفوا عن قرب على الشيخ زايد من أمثال: ويلفرد ثيسجر، إدوارد هندرسون، مارتن بكماستر، كلود موريس، بالإضافة إلى تقارير متفرقة كتبها وكلاء ومعتمدون سياسيون سابقون، والأجمل في تلك الانطباعات أنها كانت سرية ومع ذلك فقد حملت بين طياتها الكثير من السمات والصفات التي عكست شخصية الشيخ زايد وما عرف به من طيب وتسامح وتواضع وذكاء وخبرة وقدرة جعلت كل أولئك الرحالة والإداريين متلهفون إلى رؤيته ومجالسته، وذلك ما يكشف عنه ثيسجر في كتابه الرمال العربية، حيث يقول: «لقد كنت متشوقاً الى لقاء زايد، إذ إن له شهرة واسعة في أوساط البدو الذين أحبوه لأسلوبه السهل وغير الرسمي في معاملته لهم، ولعلاقاته الودوة بهم، واحترموا فيه قوة شخصيته وذكاءه وقوته البدنية، وكانوا يعبرون عن إعجابهم به بقولهم: زايد رجل بدوي، فهو يعرف الكثير عن الإبل، ويركبها مثلنا، وهو ماهر في الرماية ويجيد القتال».

ويقول فينلاي عن زايد : «كانت لديه القدرة على التكيف لا سيما مع البريطانيين الذين لا يداني أحد الشيخ في إلمامه بأساليبهم، وخبر المسالك في التعامل معهم... إنه يتحلى بفراسة لا تخطئ فهو بارع جداً في سبر أغوار شخصيات من حوله والإنصاف في حكمه عليها.. ويتمتع بذاكرة مدهشة خاصة في ما يتعلق بأسماء الأشخاص والأماكن.. كما يتمتع بالحنكة، فضلاً عما حباه الله به من فكر ثاقب وموهبة تنظيمية، لقد جمع المقومات والعناصر التي تصوغ شخصية القائد».

ويؤكد لامب، المعتمد البريطاني في أبوظبي 1966، تلك الصورة لملامح شخصية الشيخ زايد، حيث يقول: «لربما كان الشيخ زايد المثل الأوروبي الأعلى للشيخ العربي، فهو لا يزال فتيا، يتمتع بروح الشباب، تزينه وسامة لا تخطئها العين على النمط البدوي، كما أنه بشوش، دمث، وسخي كريم، شهم، يتحلى بروح الفروسية، شجاع، يتمتع بأريحية عالية... إضافة إلى ذلك فهو فارس لا يشق له غبار، وبارع في الصيد والقنص».

كما أجمعت التقارير البريطانية آنذاك على أن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، هو المؤهل لحكم إمارة أبوظبي بسبب ميوله الإصلاحية ومحبة شيوخ وأبناء إمارة أبوظبي له. كما كان لتطلع أبناء الإمارات نحو الشيخ زايد سبباً لتلقيبه قائد مسيرة الاتحاد، لذلك نجد فينلاي يكتب عن التأثيرات المحتملة لتولي الشيخ زايد بن سلطان السلطة في أبوظبي، قبل الاتحاد، منهراً بشخصية الشيخ زايد، الذي كان «يوصف بأنه الأكثر ذكاء، والأشد جاذبية، والأوسع شعبية من بين أفراد الأسرة الحاكمة في أبوظبي.. إنه يجسّد فكرة كل امرئ عن شيخ من شيوخ الصحراء، فسخاؤه أسطوري، وعلى امتداد ساحل عمان المتصالح، ليس هناك من شيخ يفوق زايد في دماثة أخلاقه، ولطفه، وانفتاحه، وبذله العون لمحتاجه ومرونته»، لذلك «قوبل تولي زايد الحكم بالارتياح والرضا في مدينة أبوظبي، وبابتهاج عارم في البوادي ومناطق القبائل، ويمكن أن يتوقع المرء من زايد أن يبث الثقة في القيادة في أوساط المجتمع بجميع قطاعاته».

وكتب دونالد.إف. هاولي، المعتمد السياسي البريطاني في دبي في الفترة ما بين 1958 1961، حينما زار «الإمارات المتصالحة» (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً) في الفترة ما بين 28 ديسمبر/كانون الأول 1968 إلى 2 يناير/كانون الثاني 1969: «إن

التحوّل في أبوظبي ضرب من الذهول.. هنا كل شيء يمشي على قدم وساق، ومعدّل التنمية الحالية هائل.. إن النمو في الزراعة عظيم جداً، ولقد كان مثلجاً للصدر رؤية هذا القدر من الاهتمام منصباً عليها».

هذه الشهادة تعتبر اعترافاً صريحاً من هاولي بمكانة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، ودوره في تنمية إمارة أبوظبي وتحضرها، وقد سار إدوارد هندرسون،

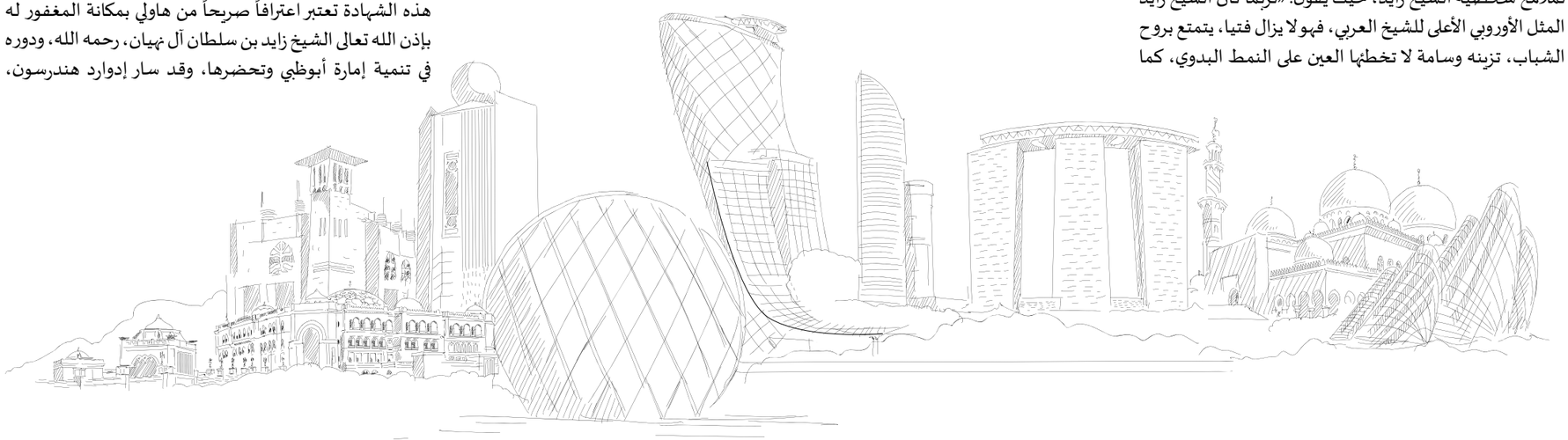

الوكيل السياسي البريطاني في أبوظبي(1959 - 1961) على منوال سابقه، كما اعتبر الكاتب البريطاني كلود موريس في كتابه «صقر الصحراء» أن نشأة الشيخ زايد رحمه الله لا تقل عن المعجزة، كما تزخر الكتابات الأخرى، وخاصة الأجنبية، التي سطّرت حول زايد، بصورة مشرقة لرجل أضاء ظلمة المكان المعتمة وأنار دروب الحياة بنور العلم والمعرفة.

فضلاً عن ذلك فإن هناك صفات أخرى تميّز زايداً تتوارى خلف مظهره الخارجي البسيط، فهو ألمعي يتقد بالذكاء، صبور، حليم، يتسم نفاشه بالحكمة والموضوعية، وهو يعرف ما يريد فعله.. وهو على العموم يتمتع بسجايا البدو ووصفاتهم الفطرية التي جبلوا عليها بما فيها نزعته إلى ألا يكون مغبونا أو مستغفلا»، وبالتالي فقد كان يمتلك مقومات القيادة، ويتميز بالكفاءة والقدرة على إدارة الإمارة التي تحتاج إلى شخص كفؤ لانتشالها من حياة البؤس والفقر المدقع. كما امتاز مجلسه، وهو القائد الرائد، بالبساطة كما وصفه جوليان ووكر، مساعد المعتمد البريطاني في دبي في خمسينيات القرن المنصرم، حيث يقول: «.. لم يكن هناك ثمة سحر شرقي أو أبهة وفخامة، كان مجلس زايد غاية في البساطة،

إلا أن ما يميزه هو اللطف والكياسة وحرارة الحفاوة، وحميمية العلاقات، وعزز هذا الانطباع مشهد رجل فقير يبدو عليه الحياء الشديد، وكان يسعى للمشاركة في الحديث طلباً للعون من شيخه الذي لم يكن يخذل أحداً، وفيما كنت أجلس بقرب الموقد أتدفأ عند المساء، وارتشف الشاي حين يستغرق الناس في الحديث، أدركت سر امتلاك زايد لقلوب هؤلاء الناس، وسر احترام القوم له، ليس فقد في صفوف أتباعه، بل وفي أوساط القبائل في المنطقة الواسعة حول البريمي. كان حسن معشره ولطفه وكياسته وبعده عن التكلف والرسميات، ونزوعه الشديد إلى العدل، كانت هذه الشمائل الحميدة كلها هي ما يحتاجه العرب في هذه المنطقة».

لقد شهد بريادة زايد وبراعته ونظرته المستقبلية الثاقبة، وشخصيته الاستثنائية، الأجانب قبل الأقارب، وجاءت شهاداتهم متواترة وصفاً وتوصيفاً لقائد فذ كان، ولايزال، حاضراً بيننا حتى في تفاصيل حياتنا اليومية.

ولم يكن الشيخ زايد، رحمه الله، رجل سياسة وحكمة وحزم وتدبير حاز قصب السبق على أقرانه وفاق أهل عصره وأوانه فحسب، بل كان صاحب فكر ونظر ورؤية مستقبلية لمسها كل من جالسه أوقابله، وحمل على عاتقه النهوض بالدولة والمجتمع الإماراتيين ثقافياً وتعليمياً وأرسى صروح العلم والمعرفة وشيّد الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث.

ستة عشر عاماً مضت على رحيل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، وكأنها لم تكن سوى إغفاءة سريعة، ولا يزال لاسمه ورسمه وقع خاص في مسامع كل الناس، ولا يخلو مجلس من ذكره، أو حديث من استحضار

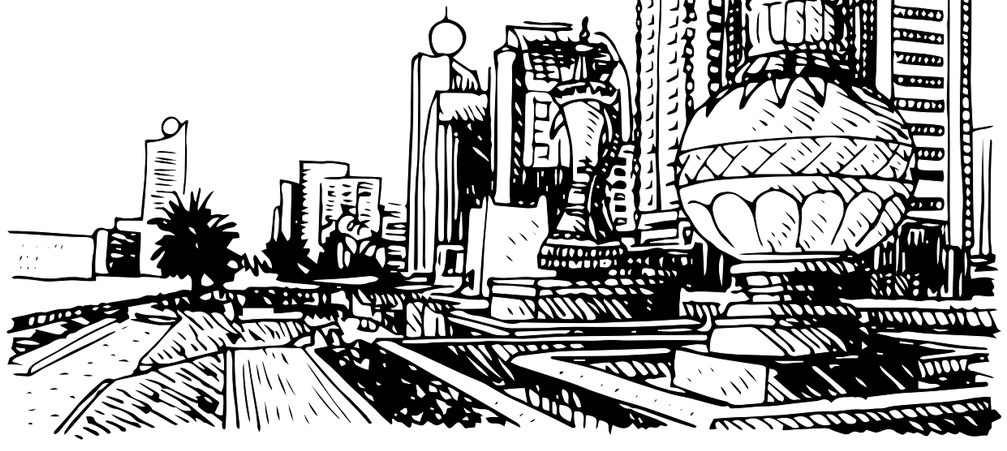

حظيت شخصية المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيّب الله ثراه بما لم تحظ به شخصية زعيم عربي على الإطلاق، لما اتّصف به من صفات وشمائل عزّ نظيرها في أوانه، وحارت بحصر خصاله الأفهام وتعثرت في وصفها الأقلام، وكانت محط إعجاب كبير من لدن كل من قابله وجالسه أو سمع عنه، ولا يخلو كتاب أو دراسة عن دولة الإمارات العربية المتحدة من ذكره وعرض شهادة تحتفي به

شذرات من سيرته ومواقفه وإنجازاته، محلياً، وعربياً وعالمياً، من دون كلل أو ملل. ستة عشر عاماً مرت على رحيل رجل السياسة والدولة والاقتصاد والتنمية والشعر والتراث والثقافة والبيئة والزراعة، والعدل والاعتدال والتسامح، والتضامن، والإنسانية، ولا تزال الأنفس تلهج له بالدعاء والشكر والإطراء، وهو جدير بذلك بلا ريب. هكذا ترجل زايد القائد الرائد المبدع.. حكيم العرب وصقر الصحراء وفارس الإمارات، بعد أن أسس كياناً موّحداً ناهضاً غدا أنموذجاً يحتفى به في المحافل الدولية، وعم فيض عطائه الإنسانية في كل قِطْر ومصر، حتى غدا دولة الإمارات تعانق عناء السماء، وتغازل الفضاء وتستشرف المستقبل بعد خمسين عاماً من الاتحاد والوحدة، تحقيقاً لرؤية زايد وتجسيداً لفكرته؛ فالاتحاد، كما يقول زايد، رحمه الله، هو «.. أغلى الأشياء، وهو المطلب الأول والأخير، هو مصلحة وغاية كبرى للمنطقة وللوطن العربي، إنه يجسّد أنموذجاً من نماذج الوحدة الشاملة التي يسعى إليها الوطن الكبير، وأعتقد. بل أؤمن. أن المستقبل الزاهر والرخاء سيكون من نصيب هذه الدولة» ■

* كاتب وباحث أكاديمي

شعراء ومثقفون إماراتيون:

نمضي قُدماً على خطى قيادتنا الرشيدة

صلاح أبوزيد

استطاعت الإمارات إثبات قدرتها على تحقيق الإنجازات والتفوق والتميز والريادة خلال الخمسين عاماً الماضية، لتواصل ما بدأه الآباء المؤسسون الذين وقفوا بجانب الوالد المؤسس المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، عند تأسيس الدولة والإعلان عن قيامها في الثاني من ديسمبر 1971، إذ استطاع الوالد المؤسس-رحمه الله- بحكمته وتسامحه توحيد الصفوف وقلوب المواطنين والمقيمين، وعمل جاهداً على نصرة المظلوم ومساعدة الدول الصديقة والشعوب المنكوبة في كافة بقاع الأرض. إننا نلمس في كل عامٍ نحتفلُ فيه باليوم الوطني، ما حققه الوطن من إنجازات تنموية كبيرة في إطار رؤية تنموية شاملة لا ترضى إلا بالصدارة وتهتم بالمستقبل كما تهتم بالحاضر وتخوض غمار المنافسة في مضمار التنمية بكل ثقة اعتماداً على التخطيط السليم والتسلح بالعلم والمعرفة وبدعم كوادرنا الوطنية وهم عماد المستقبل لدولتنا الحبيبة.. مجلة «تراث» استطلعت آراء عدد من الكتَّاب والمثقفين الإماراتيين لإلقاء المزيد من الأضواء الكاشفة على قيمة وأهمية هذه المناسبة التاريخية، والذين عبروا فيها عن سعادتهم البالغة وعشقهم لوطنهم بكلمات صادقة نابعة من القلب.

مواصلة المسيرة

قال الشاعر عيضه بن مسعود: «نحن لسنا إمارات، نحن دولة الإمارات».. عبارة قالها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله»، حين توشحت أكتاف بيوتنا وهامات مدننا بعلم الاتحاد والعزة، قالها وهو يعلم بأنها تسكننا أفعالاً وحكايات.. فمنذ اتفاق القلوب السبعة ونحن نعيشُ في قلبٍ واحدٍ، يجمعنا مصيرٌ واحدٌ وهدفٌ واحدٌ، هو رفعة هذا البلد ومواصلة المسيرة التي بدأها مؤسس المجد المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه». وأضاف: «الاتحاد قوة»، ولكنها تجاوزت ذلك المعنى في قاموس شعب الإمارات، فاتحادنا ترابط ومحبة، قوة وتلاحم، ويتجلى كل ذلك في علاقة القيادة بالمواطن والعكس، فلم يعد غريباً أن نرى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم يتجاذب أطراف الحديث مع مسنٍ قابله في أحد طرقات قرية نائية، أو نسمع قصة الطفلة التي شاركها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة حينما كانت بانتظار أهلها في الشارع بمفردها. وأكد بن مسعود أن الإمارات قدمت أنموذجاً فريداً في مفهوم الوحدة وبناء الإنسان، فخلال خمسين عاماً تحوّل الرمل إلى ناطحات سحاب، وتطرز البحر بأبيات شعرٍ وجزرٍ صناعية، بل خلال خمسين عاماً تحقق حلم زايد فوصلت الإمارات إلى الفضاء وأصبحت قبلة للعالم أجمع. فما قدمته الإمارات لكل من يقيم على أرضها لا يُعدُّ ولا يُحصى فلم تفرق بين المواطن والمقيم وخاصة في النواحي الأساسية كالدواء والغذاء والتعليم، فخلال جائحة كوفيد 19 بذلت الدولة الغالي والنفيس للحفاظ على الجميع داخل الدولة ودعمت الكثير خارجها.

الاستثمار في العنصر البشري

وقال الشاعر ناصر بن يروان النيادي: «خمسون عاماً ونحن في قمة الريادة.. خمسون عاماً ونحن في المقدمة.. خمسون عاماً تجاوزنا الطموح وحققنا فوق ما توقعه العالم منا.. خمسون عاماً وها هي دولة الإمارات من قمةٍ إلى قمة.. خمسون عاماً وتألق قيادتنا مشهودٌ في جميع الميادين بشهادة العالم والمجتمع الدولي.. خمسون عاماً في نجاحٍ وريادة في إدارة الأحداث العالمية من جائحة كورونا إلى «إكسبو 2020 دبي».

وأوضح أن كل حدث تشهده الإمارات تبرهن قيادتنا للعالم أن النجاح والتميز والريادة والقوة تكمن في الاستثمار في العنصر البشري، هنا مفاعل براكة النووي السلمي، وهناك مسبار الأمل فوق المريخ، وهنا رائد فضاء في المحطة الدولية الفضائية، وهنا مشاريع رأت النور وأخرى يتلهف لها العالم لأنه يعلم أن هذا الوطن مميزٌ بقيادته رائدٌ بإنجازاته متألقٌ بطموحاته.. هذه الإمارات، يدٌ واحدة في أعمال الخير وأخرى لرد حقوق

عيضه بن مسعود

هزاع أبو الريش

ناصر الشفيري

عادل الجهوري

المستضعفين.. هذه هي الإمارات تقدم أنموذجاً للسلام والوئام، والتي تبهر العالم بالكفاءات الوطنية، وتدخل الصناعة من أوسع أبوابها. وتابع النيادي: كل هذا لم يأتِ من فراغ ولكن هناك من خطت عصاه على الثرى بهندسة الفطرة ورؤية الحكمة والنظرة الثاقبة وحنان الأبوة ودفء العاطفة ونقاء السريرة فكان ابنه المواطن وابنه المقيم وابنه الوطن وكان أباً للعالم والقلب النابض وباني حضارتنا ومستقبلنا المؤسس الوالد الراحل الخالد في قلوبنا زايد الخير والعطاء الشيخ زايد بن سلطان «طيب الله ثراه» والرعيل الأول من المؤسسين رحمهم الله وطيب الله ثراهم.

خمســـون عـــام ومجْدنا فاق الأحـــلام
خمســـون عام ودارنـــا خيروانعـــام
ليتك يبونـــا زايـــد العـــود ترجـــع
وتشوف غرســـك أثمـــر بْزرْعك وقام

إمارات التسامح

وعبر الشاعر والكاتب هزاع أبو الريش عن حبه للإمارات قائلاً: «حب الإمارات قصيدة تعيشُ في أعماق كلٍ منا، من إماراتيين أو مقيمين، بأطيافهم ومذاهبهم كافة، فإن أمانة الكلمة وصدق الخطاب يتوجب على كلٍ منا أن يُعنون الكلمة ببسملةٍ يترحم فيها على باني ومؤسس هذا الوطن الغالي، ذلك الرجل الذي أحبنا فأحببناه، والذي كان أباً لنا قبل أن يكون قائداً، فأسس دولة قائمة على الحب والتسامح وتحتضن أكثر من 200 جنسية من أديانٍ سماوية متنوعة، ومن كل الجنسيات والطوائف والمذاهب والأفكار ويتساوون في الحقوق والواجبات».

وأشار إلى أن الأمانة تقتضي أن نرفع الأيدي متضرعين إلى الله عز وجل أن يحفظ قيادتنا الرشيدة التي تُعد رمزاً للوفاءِ، والعطاءِ، والسخاءِ، والتسامح.. فحب الإمارات في ضميروقلب كل وافد، فلو تصفحنا هاتفاً ذكياً لأي مقيم في الدولة سنجد فيه صورة الشيخ زايد أو أحد أبنائه وهذا دليل وافٍ وكافٍ على أن الكل في هذه الأرض الطيّبة يعيشُ متصالحاً مع نفسه، يعيش في دولة تتساوى فيها كل الأطياف والأديان، يتساوى فيها الجميع، دولة فاضت بمياه العدل وباتت البشرية تنهل من معينها عذوبة التسامح وشفافية التعايش. وتابع أبو الريش: حب الإمارات لم ينبع من موقفٍ عاطفيٍ فحسب، بل من الشعور بأقصى معاني السعادة، الشعور بالمعنى الحقيقي للأمن والأمان، الشعور بقيمة العدل، فالجميع اليوم في هذه الدولة الأبيّة أصبحوا جزءاً من هذا الكيان النظيف، هذا الكيان العادل، إنهم جزء من تنميته، حتى أصبح الزمن شيئاً فطرياً مشتركاً نتقاسمه فيما بيننا، تحت سقفٍ واحد متشاركين في الحب ومتضامنين في العطاء، والهم، والفرح، والحياة.. فقيادتنا الرشيدة أعطتنا وأعطت العالم أجمع درساً مُلهماً، ناقوساً يضرب أسماع البشرية، أن الضميروالواجب الأخلاقي يحتم علينا التضامن، لأن نكون قلباً واحداً نابضاً بالحياة والحب من أجل الإنسانية وقيمتها الرفيعة.

رؤية استباقية

وأكد الشاعر عادل الجهوري أن الأعوام الماضية من عمر الاتحاد على الرغم من أنها ليست فترة طويلة في عمر الشعوب، إلا أنها شهدت في الواقع نقلة نوعية وكمية، تنموية وحضارية في مختلف مجالات الحياة على امتداد أرض الإمارات، وعلى نحو يحقق ما تمنته وخططت له قيادتنا الرشيدة، مرحلة تلو الأخرى لبناء دولة طموحها الفضاء ولا تعرف المستحيل، بل تقوم على مبادئ وقيم المساواة والمواطنة وحكم القانون وتعاون وتكامل المؤسسات ومشاركة المواطنين في صياغة أهداف التنمية الوطنية وتنفيذ برامجها في كل المجالات. وأضاف أن الإمارات تمضي قدماً على طريق الإنجازات بتكاتف قيادتها الرشيدة ومؤسساتها ومجتمعها، لصياغة استراتيجية شاملة ومدروسة للخمسين عاماً المقبلة، هو عمل استثنائي غير مسبوق عالمياً، يدفعنا جميعاً للمشاركة بجدٍ في رسم ملامح المستقبل برؤية استباقية وسواعد إماراتية على كافة المستويات الاتحادية والمحلية وفي جميع المجالات

الحيوية وعلى مختلف الصُّعد. وتقدم الجهوري بأسمى آيات التهاني والتبريكات إلى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله»، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله»، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وإلى أصحاب السمو الشيوخ حكام الإمارات وسمو أولياء العهود والشيوخ ومعالي الوزراء والمسؤولين والمواطنين والمقيمين، بمناسبة اليوم الوطني الخمسين، أعاده الله علينا جميعاً بمزيد من التقدم والازدهار.

قصة مطرزة بالنجاح

وحول ما يمثله اليوم الوطني من مناسبة تفخر بها بالأجيال، قال الشاعر ناصر الشفيري: «أن اليوم الوطني يروي في كلّ سنةٍ من سنواته قصّة مطرّزةً بالنجاح والطموح والإنجازوتواصل العطاء، والرؤية الأصيلة الوطنيّة التي تحققت اليوم سجلاً ناصعاً من نور.. ففي مثل هذا اليوم، تكتمل الرؤية، وتتسابق الأقلام المعبّرةُ، لتحمل ما يجيش في صدورنا من ذكريات وفرحةٍ عامرةٍ تملأ النفوس بهذه الدولة الواثقة التي شقّت طريقها بكلّ عزمٍ وتكاملت أهدافها بما يجعلها مثالاً يحتذى في العزم والتصميم، ليس فقط في الاتحاد بما فيه من قوّة، وإنّما في البناء على الفكرة الجديرة بالاحترام وشدّ جوانبها بالتخطيط، والمتابعة، والمواكبة، والريادة. وأضاف: أن الإمارات أصبحت اليوم وجهةً لكلّ باحثٍ عن الآفاق ومتطلّعٍ نحو النجاح؛ تشهد بذلك الأرقام والنِّسبُ والمعطيات التي اجتازت بها الدولة كلّ صعب، وقدّمت أنموذجاً رفيعاً على المستويات العربيّة والعالميّة، في مجالات الاقتصاد والإدارة وفي النهضة الشاملة التي كان عمادها الإنسان الواثق بقيادته الرشيدة واستشرافها الحكيم لكلّ ما ينفع الناس ويمكث في الأرض. وأشار الشفيري أن هذه المناسبة العطرة على قلب كلّ عربي تشعرنا بالفخروالاعتزاز، بحضور النهضة الثقافيّة العامرة التي راهنت على وعي الشعب والمحافظة على الأصالة والمعاصرة، فكان العيد الخمسون إكليلاً ثقافيّاً وفكريّاً لكلّ قطاعات المجتمع، حيث «مسبار الأمل»، و«إكسبو 2020»، وحيث تتعانق الفنون والآداب والثقافات الإنسانيّة في معارض الكتاب ومسارح الدولة وفي كلّ مساحتها المضيئة بقناديل الفرح والمودّة والعطاء.

سـلام يـــا دارٍ تهلّ التراحـــيب
بْضيفهـــا ومقيمهـــا ما تعيفـــه
غيرك تجيـــه الشمس لحظات وتغيب
والبعض في ظلمـــا وعيشـه مخيفـــه
وانتي تعيـشي طـيب في طيب في طـيب
ولْك الفخـــرمادام شيخك خليفـــه

تجربة وحدوية

وقال جمعه عبيد الليم: «إن الإمارات في يوبيلها الذهبي تزهو بالفرح وتستريح على أريكة المجد والنجاح.. فمن المهم التوقف عند المسيرة التاريخية، للاتحاد الذي شكل نقطة تحوّل كبير ليس بالنسبة للشعب الإماراتي، بل وللمنطقة بأسرها، إذ جسد قيامه الآمال العريضة لشعبنا، ونقطة الارتكاز لمسيرتنا الحضارية التي أرسى دعائمها الآباء المؤسسون، ولا سيما الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه». وأوضح أن الحقيقة التي يجب التذكير علها دائماً هي أن الرغبة في الاتحاد، والتي تحوّلت إلى واقع، لم تكن قفزة في الفراغ، أو خطوة سياسية أملتها ظروف محددة وإنما ترجمة لتاريخ طويل من التآخي والعادات والثقافة الوحدوية الناشئة في الواقع من حاجة أبناء هذه الإمارات لمواجهة المستقبل وتحدياته معاً.. فهذه التجربة الوحدوية التي تُعد أهم التجارب العربية الوحدوية في العصر الحديث، جاءت نتاج جهود مخلصة ومضنية قام الآباء المؤسسون. وأشار الليم إلى أن الحديث عن التجربة الإماراتية الحضارية طويل، لكننا نقول إن الإمارات استطاعت أن تحقق بزمنٍ قياسيٍ ملحمة حضارية بامتياز، ليس على مستوى المنطقة وحسب وإنما على مستوى العالم كله، ومع احتفال دولتنا باليوبيل الذهبي للاتحاد تثبت أن المستقبل لا تصنعه الأمنيات وحسب وإنما العمل الجاد والمخلص.

إرادة قوية

وتقدمت الشاعرة والإعلامية برديس فرسان خليفة بخالص التهاني والتبريكات إلى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله»، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله»، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وإلى أصحاب السمو الشيوخ حكام الإمارات، وسمو أولياء العهود والشيوخ والمواطنين والمقيمين، بمناسبة اليوم الوطني الخمسين واليوبيل الذهبي لقيام الاتحاد.. أعاده الله علينا جميعاً بمزيد من التقدم والازدهار. وتابعت: قيل في الأمثال

بثينة

برديس فرسان خليفة

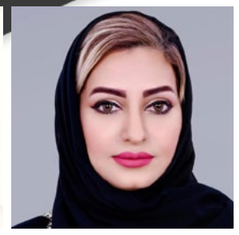
عائشة الكعبي

جمعة عبيد

إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة، وأن الإرادة القوية لا يمكن أن تستسلم لليأس أو تلين، وهذا ما تعلمناه ولازلنا نتعلمه من أول خطوة في رحلة الاتحاد والتي بدأت بمبادرة من المغفور لهما بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم «طيب الله ثراهما»، وهذه الإرادة بنت دولة ورجالاً، وبعد خمسين عاماً من الاتحاد تصل الرحلة إلى الفضاء وبالتحديد الزهرة والمريخ لتكمل الطريق إلى طموحات وأفكاروومبادرات تفاجئ العالم وتبهر الكون بعظمة الفكر، وحكمة القيادة، وكل عامٍ وإمارات الخيرفي تقدم وريادة وطموح .

عرس وطني

وعبرت الكاتبة بثينة أحمد شريف عن سعادتها باحتفال الإمارات باليوم الوطني الخمسين قائلة: «إنه العرس الوطني الأجمل في تاريخ دولتنا الفتية الإمارات، حيث نحتفل حكومة وشعباً بالذكرى الخمسين على تأسيسها، إذ التقت إرادة قادة آمنوا بالله وبالشعب على إقامة دولة قوية الأركان شامخة البنيان، هذه المسيرة التي أرسى قواعدها الأب المؤسس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وإخوانه أصحاب السمو الشيوخ أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات، وهي تمضي اليوم بخطى راسخة وقوية وبسواعدِ أبنائها المخلصين لبناء دولة عصرية ومكانة رفيعة بين الأمم».

وأوضحت: أن ما يميز تجربة الإمارات هو نجاحها في تحقيق التوازن بين أصالتها وتقاليدها وأعرافها وتاريخها وثقافتها، وبين الأخذ بكافة وسائل التقدم والرقي والتواصل الحضاري بين الأمم، مشيرة إلى أن الإمارات سعت منذ قيامها إلى تمكين العنصر البشري بوصفه أهم ثرواتها الحقيقية في سبيل تعزيز مسيرة الوطن. ولعلَّ تمكين المرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية يُعد إنجازاً حقيقياً ومهماً كشريك في البناء والتنمية. وتابعت: أن الإمارات ناصرت القضايا العربيةَ والإسلاميةَ، وحاربت الإرهاب فكراً وعملاً، وقدمت المساعدات الإنسانية للشعوب الفقيرة وهي اليوم حاضنة لقيم التسامح والسلم والتعددية الثقافية بين الأديان والشعوب حتى باتت نموذجاً في التسامح والتعايش والانفتاح.. فالزائر للإمارات اليوم سيدهش حقاً مما تحقق؛ فالصحراء المقفرة تحولت إلى حدائق غناء، وبيوت السعف والنخيلِ تحولت إلى مبانٍ شامخةٍ تناطح السحاب.

اتحاد راسخ

وقالت الأديبة والإعلامية والفنانة التشكيلية عائشة الكعبي: «من الطبيعي أن نجد منا من ينسى تاريخ ميلاد شريك حياته أو أحد أبنائه أو حتى يغفل عن تذكر يوم ميلاده الشخصي فيمر اليوم دون أن يلتفت إلى ذلك. لكنني على يقين أن هذا الأمر لا يمكن أن يحدث مع أي مواطن أو مواطنة حين يكون التاريخ هو الثاني من ديسمبر.. فهو الميلاد الحقيقي للنعم التي ننعم بها اليوم في هذا البلد المعطاء.. هو يوم لتقديم الشكر الخالص لله على هذه النعمة التي تتمثل في قيام دولة يشيد بها القاصي والداني.. دولة قامت على الحق فرعاها الرحمن بأن بارك في قيادتها وشعبها وطرح الوئام والتلاحم في بنيانها حتى غدت المعيشة بها حلماً لكل من ينشد السلام والحرية والعزة».

وأشارت إلى أن إنجازات الإمارات رغم حداثة نشأتها كدولة تتخطى إنجازات بعض أعرق الدول نشأة في عالمنا الحديث. وما الأزمة التي لا تزال بعض الدول تتخبط وتتردى فيها إلا شهادة للإمارات على رسوخ سياستها في تجاوز المحن وحث المسير قدماً مهما كانت الصعوبات التي نواجهها. واختتمت الكعبي حديثها بأن بعضهم قد يجهل أن في فترة الثمانينيات والتسعينيات كان يطلق على الثاني من ديسمبر «عيد الاتحاد» وأنه من البديهي أن يتغير المسمى إلى اليوم الوطني.. فقد تطلبت تلك الفترة التركيز على فكرة الاتحاد كونه تجربة جديدة على العالم العربي والدولي بصفة عامة لكنا ولله الحمد تخطينا تلك المرحلة وقد غدا الاتحاد راسخاً رسوخ الإيمان ■

خمسون عامًا من الإبداع

تجربة السرد الإماراتي في ظلّ دولة الاتحاد

عزت عمر

مع قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر عام 1971 وحتى يومنا هذا، قطعت الدولة شوطاً حضارياً مهمّاً على صعيدي الإنسان والمكان، وقد تمثّل هذا التطوّر في البنية المدينية والطفرة العمرانية المدهشة التي طالت المدن الرئيسة فنافست كبريات المدن العالمية، وهذه الحياة المدينية رافقها حراك ثقافي مع مرور الزمن، ولاسيما بعد توافد أعداد كبيرة من المؤسسات والشركات العالمية التي جلبت معها العمالة المختلفة من مختلف أصقاع العالم، مما خلق تنوّعاً ديموغرافياً وثقافياً مهماً، انعكس بشكل واضح من خلال السلوك العام الذي يمكننا وصفه بتقبّل الآخر إنسانياً وتقبّل ثقافته والتفاعل معها وفق هذا الأساس.

ومن هنا فإنه يمكننا اعتبار عام قيام دولة الاتحاد 1971 عاماً مفصلياً في حياة المجتمع الإماراتي والعربي، وفي انطلاقة عصر السرد القصصي والروائي كوعي يعبر عن الفكر الجديد، علماً أن بعض الدارسين كان قد أشار إلى وجود مقدّمات أولية سبقت قيام الدولة بعامين أو أكثر في بعض المؤسسات الثقافية الموجودة في مراكز المدن الرئيسة من مثل أبوظبي ودبي والشارقة، بيد أن القاص عبد الحميد أحمد، وهو أحد رواد الحركة القصصية في الدولة، أشار إلى أن «الإمارات ظلّت حبيسة العزلة الحضارية زمناً طويلاً، ولم تشهد أياً من أشكال الفنون الحديثة إلاّ بعض الرقصات الشعبية والمواويل البحرية والشعر الشعبي.. أما أشكال الفنون الأخرى كالمسرح والقصة والرواية فلم تظهر منها إلاّ أعمال نادرة ومتقطّعة وبجهود الاتصالات الفردية مع الخارج[1]». ويتّضح من هذا الاقتباس أن ثمة جهوداً قصصية سبقت قيام دولة الاتحاد ولكنها جهود فردية، وفي موضع آخر من بحثه أشار إلى أن هذه الجهود تطوّرت فيما بعد مع تأسيس الأندية الراضية أواخر الستينيات في دبي خاصة، ومن هنا فإن محاولات كتابة القصة في الإمارات بدأت في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات[2]» وهذا بدوره يؤكّد أن الانطلاقة القصصية والروائية كانت مع نشوء الدولة وقيام مؤسساتها الثقافية والتعليمية، ومع نشوء الصحافة اليومية لا سيما صحيفة الاتحاد التي كانت قد صدرت عام 1969 ولعبت دوراً مهماً في تنمية الوعي الفكري وتطوّر فنون السرد.

البدايات السردية

الدراسات التي تناولت نشوء الكتابات القصصية والروائية في دولة الإمارات العربية ذهبت في غالبيتها إلى أن عبد الله صقركان أوّل من دشّن هذا الفن في قصّته «قلوب لا ترحم» وكان قد نشرها في أواخر الستينيات، وهو أيضاً أوّل من أصدر مجموعة قصصية بعنوان «الخشبة» التي نشرت عام 1974، وبحسب عبد الحميد أحمد في المرجع السابق، فإن مجموعة من الكتاب بدأوا محاولاتهم الكتابية إلى جانبه من مثل: مريم جمعة فرج وشيخة الناخي وسلمى مطر سيف وناصر جبران وأمينة أبو شهاب وغيرهم[3] . لفد شهد عقد السبعينيات انطلاقة الحركة السردية سواء في القصّة أو الرواية التي دشّنت عهدها مع رواية «شاهنده» لراشد عبد الله النعيمي عام 1974، في ظلّ هيمنة قويّة للشعر المتجذّر في المجتمع ونخبه، وعلى الرغم من ذلك شهدت حقبة السبعينيات طفرة حقيقية في النشاط الثقافي والإبداعي، حيث سعى الكتاب والمثقفون الإماراتيون بكلّ حماسة لتكريس حضورهم في المشهد الثقافي العربي، مما أدّى إلى تطوّر الأساليب القصصية، من مرحلة البدايات الصعبة تقنياً إلى القصّة الفنية المتطوّرة، ومعها بدأت الرواية بالظهور مع تجارب علي أبو الريش حتى أوائل الثمانينيات، وفي الوقت نفسه سجلت القصة القصيرة حضوراً قوياً مع مشاركة المرأة المتعلّمة في الكتابة السردية بالرغم من البيئة الاجتماعية المحافظة. وفي هذا الصدد أكّد النقاد والباحثون أن مشاركة المرأة كانت ندية سواء في إطار الطروحات الفكرية أو الجمالية إذ اتّسمت كتاباتهنّ بالكثافة الدلالية والرمزية التي تصل بالقصص إلى مستويات متقدمة. وجاء ذلك في أساليب الرائدات اللاتي اشتغلن بدأب على التكثيف السردي وتوظيف الرموز المحلية والفكرية في الكثير من أعمالهن القصصية، ليسجلن بذلك حضوراً مهماً لفت أنظار الباحثين والنقّاد كما في كتابات كلّ من سلمى مطرسيف، أمينة أبو شهاب، سارة النواف، سعاد العريمي، فاطمة محمد، وغيرهنّ ممن تناولنا

مريم الساعدي

محمد حسن الحربي

علي أبو الريش.

نادية النجار

أعمالهنّ بالدرس والتحليل سابقاً. كان عام 1979 عاماً حاسماً، ليس بالنسبة لفنون السرد فحسب، بل بالنسبة لشعر الحداثة والمسرح والتشكيل. وبشكل عام فإن هذا العام كان بداية مرحلة ثقافية واجتماعية جديدة نشأت بعد قيام دولة الاتحاد ولاسيما مع صدور «مجلة الأزمنة الحديثة» التي لعبت دوراً مهماً في تطوّر القصة القصيرة بشكل خاص وبقية الأجناس الأدبية بشكل عام. فقد ساعدت هذه المجلة الشباب المتعلّم والمتحمّس على نشر ما يكتبونه من جهة، وفي موضعته داخل المشهد الثقافي من ناحية أخرى، وقد لقي هذا النشر حماسة كبيرة في أوساط الشباب المتعلّم التوّاق لتأكيد ذاته محلياً وعربياً. وشهد العام نفسه صدور صحيفتي «الخليج» في الشارقة، و«البيان» بدبي لتتما مهمة مجلة صحيفة الاتحاد في تكريس وتعزيز الوعي الجديد الذي يمكن وصفه بوعي الحداثة بتنوّع توجّهاتها في الكتابات الجديدة وإبراز أسماء أصحابها، وإن دلّ ما تقدمنا به على شيء فإنما يدلّ على أثر الصحافة البارز في تطوّر فن القصّة القصيرة تماماً كما حدث في مصر إبان نهضتها الفكرية والإبداعية، فالصحافة منبر مهم بل الأهم لانتشار الأفكار وتتيح مجالاً لشهرة الكتاب بتفاعلهم المباشر مع القرّاء ونشر أفكارهم، فضلاً عن أثرها الكبير في تطوّر تقنيات السرد من حيث طول الشريط اللغوي والتكثيف والإيجاز وسواها. ومع تأسيس «اتحاد كتاب وأدباء الإمارات» في العام 1984 تنادى كتّاب القصّة لإصدار أول مجموعة قصصية مشتركة من مختلف إمارات الدولة تمت تسميتها بـ«كلنا.. كلنا نحب البحر» وقد عكست المشاركات القصصية فيها مشهداً بانورامياً لكتّاب وكاتبات القصة بدولة الإمارات، حيث بلغ عدد القصص 26 قصّة أسهمت فيها سبع قاصّات وكان نقاد كثيرون قد ثمّنوا هذه المشاركة الكبيرة نسبياً من المرأة الكاتبة ومنهم الباحث البحريني بدر عبد الملك الذي قدّم كتاباً بعنوان: «القصّة القصيرة والصوت النسائي في دولة الإمارات العربية المتحدة»[4] ومما جاء في مقدمة كتابه: "لقد لفت نظري منذ ولادة الحركة الأدبية الحديثة في الإمارات وجود الصوت النسائي الذي حاول تحطيم «الطوق» و تهديم جدران العزلة بالخروج من مفهوم شرنقة الأنثى والبيت. فانبعث ذلك الصوت الاحتجاجي عبر الأدب/ القصّة القصيرة كواحدة من أكثر الأجناس الأدبية انتعاشاً وتطوّراً في مجتمع الإمارات.. وقد توجّه هذا الاحتجاج لكل مظاهر الحياة وقوانينها ومفاهيمها المعادية لحق المرأة في الحياة الحرة الكريمة.[5]» ومن المفيد ذكره في هذا الصدد أيضاً أن ثلاثاً من هؤلاء الكاتبات اشتركن في إصدار مجموعة قصصية واحدة بعنوان (النشيد) تناولن من خلالها جملة من القضايا الاجتماعية والثقافية الإنسانية. ومما لاشكّ فيه أن حضور المرأة الكاتبة يؤكّد مدى اهتمام مؤسسات الدولة بتعليمها ومدى تقبّل زميلها الكاتب لهذا الحضور، وإن دلّ هذا الموقف على شيء، فإنما يدل على مقدار تحضّر هؤلاء الكتاب وعلى مقدار الرغبة في تجاوز قيم الماضي الذكورية وسردياتها الشفاهية إلى القيم المدنية الحديثة حيث تسهم المرأة المثقفة مع زميلها الكاتب والمثقف جنباً إلى جنب في تقدّم البلاد والمجتمع. ولدى رصدنا التراكم الكمّي للمجموعات القصصية

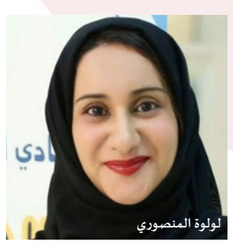
لولوة المنصوري

فتحية النمر

ناصر جبران

ناصر الظاهري

ثاني السويدي

أسماء الزرعوني

الرواني راشد عبدالله

صالحة غابش

والروائية التي ألّفت خلال العقود الثلاثة السابقة تبيّن لنا أن القصة القصيرة شهدت زخماً ونشاطاً واضحاً وراكمت عدداً كبيراً من القصص والمجموعات القصصية، حيث إن عدد هذه المجموعات بلغ المئات، إضافة إلى الرواية التي راكمت بدورها عدداً كبيراً أيضاً، وكذلك الشعر والفنون الأخرى، وقد عززت أسماء كثيرة من الرواد حضورها الإبداعي بمواظبتها على الكتابة بينما توقّف بعضها الآخر عنها كلّياً بعد انشغال غالبيتهم في مراكز وظيفية وإدارية قيادية. وهذا التراكم دعا لعقد عدد كبير من الندوات والملتقيات، حيث إنه بعد توقّف اتحاد كتاب وأدباء الإمارات عن متابعة ملتقى الكتابات القصصية والروائية الذي كان يعقده بعد ثلاثة ملتقيات مهمّة، تبنّت دائرة الثقافة في الشارقة متابعة عقدها بشكل دوري سنوي وقد جمعت أبحاث هذه الملتقيات في كتب خاصة مكّنت الباحثين من الاطلاع على تطوّر فنون السرد من مرحلة البدايات إلى مرحلة متقدّمة تنوّعت فيها التقنيات السردية إضافة إلى انفتاحها على ثقافة العالم بشكل لافت وعلى نحو خاص بعدما شهدنا الانعطافة النوعية لدولة الإمارات نحو مرحلة ما بعد الحداثة، بعدما تهيأت اقتصادياً وثقافياً وتعليمياً لها، فعبّرت الأصوات القصصية والروائية الجديدة عن تفهّمها لثقافة العصر فانخرطت في عالم الإنترنت عبر المنتديات والمواقع والمجلات الثقافية والأدبية والإبداعية لتكتسب هذه الأصوات خبرات واسعة من خلال سعيها الدؤوب على تقديم نفسها بما تحمله من وعي ورؤى جمالية تجلّيا في المجموعات القصصية والروائية الصادرة محلّياً أولدى دور النشر العربية، وبما حملته من لمسات إبداعية جديرة بالتقدير، وكنا أشرنا إلى أهمية هذه الظاهرة في كتابنا «أثر الحداثة وما بعدها في النصّ السردي الإماراتي» بأن الجيل الجديد من الكتّاب هو جيل القراءة المعولمة، وما عاد كما كان السابقون، يكتفي بالنتاج الثقافي المحلّي أو العربي القريب، وإنما تفاعل مع الرموز الإبداعية العالمية بذات القدر أو ربّما أكثر: سرداً وشعراً ونقداً، مما يؤكّد أن ثقافة العالم باتت واحدة، ثقافة إنسانية كبيرة لها فعاليتها ولها حضورها وموقفها من كثير من المجريات والمحاولات التي تسعى لمركزة الثقافة في حيّز جغرافي محدد أو واسع..»[6] ومن أهم الأسماء القصصية التي برزت خلال هذه الفترة «ناصر الظاهري، سعاد العريمي، باسمة محمد يونس، عائشة الزعابي، محمد المزروعي، علي احمد الحميري، فاطمة المزروعي، صالح كرامة، روضة البلوشي، فاطمة الكعبي، ابتسام المعلا ومريم الساعدي. أما على صعيد الرواية فلابدّ من التذكير أوّلاً أن انطلاقتها بدأت في السبعينيات مع رواية «شاهندة» لراشد عبد الله النعيمي ومن ثمّ تطوّرت وتراكمت بجهود الروائيين من مثل علي أبو الريش ومحمد عبيد غباش وثاني السويدي وسواهم خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، إلاّ أن هذه الرواية شهدت زخماً كبيراً نتيجة لاهتمام المؤسسات الثقافية بها ولاسيّما في العاصمة أبوظبي بما خصصته من جوائز كبيرة كجائزة «الشيخ زايد للكتاب» والنسخة العربية من «جائزة البوكر العالمية» فضلاً عن جوائز عديدة في دبي والشارقة مما دفع لتشجيع الكتاب من دولة الإمارات ومن خارجها إلى الاهتمام بهذا الفن مع بداية الألفية الثالثة وتوجهات الدولة في تعزيز الثقافة والاستثمار في الإنسان، فجاءت الأعمال الروائية الإماراتية

تهاني الهاشمي

عبد الغفار حسين

مريم جمعة فرج

ريم الكمالي

عبد الحميد أحمد

صالح كرامة

عائشة العاجل

متناسبة مع عصر الثورة المعرفية والتكنولوجيا الذكية التي كانت دولة الإمارات سبّاقة في تعزيز حضورها كإبداع إضافي يليق بمكانة التحضر والتطوّر التي بلغتها كثقافة جديدة تنتصر للإنسان بما تتسم به من قيم راقية، وعلى نحو خاص، تجاور الثقافات وتفاعلها في المكان وارتباط الزمان الجديد بعمليات التحوّل الاجتماعي التي لحظناها في كثير من الروايات الإماراتية وروادها من الجيل الجديد الذي استفاد من هذه الانعطافة النوعية وتمثّل فكرها وقيمها في التعبير عن الذات والعالم، بمعنى أن هذا الوعي إنما حصل بفضل جهود المؤسسات الثقافية الإماراتية فضلاً عن التفاعل الخلاّق مع الرموز الإبداعية والعالمية مباشرة دونما وسيط بما أتاحته التكنولوجيا الذكية ومواقع التواصل الاجتماعي ومحركات البحث الشهيرة من حرية وجرأة للدخول في مغامرة الكتابة الروائية فشهدنا طفرة حقيقية راكم من خلالها الروائيون الإماراتيون مئات الروايات امتازت بجرأتها في تناول القضايا الاجتماعية والتاريخية معبّرة عن الواقع الجديد مقارنة بالماضي القريب، فقرأنا بإعجاب روايات لولوة المنصوري، «آخر نساء لنجة» و قوس الرمل: وروايات عبد الله النعيمي «اسبريسو» و«شقة زبيدة» كممثلين لتوجهات رواية ما بعد الحداثة، لكننا اليوم نفاجأ بموجة جديدة من الكتابات الروائية المعززة لهذه التوجّهات كما في روايات كلّ من: سلطان العميمي «ص.ب 2003" و«عرفة واحدة لا تكفي»، وقرأنا روايات إيمان اليوسف المتلاحقة وبخاصة روايتها «قيامة الآخرين»، ورواية أحمد أميري «الرجل الذي عرف الانجليزية» ورواية «عين الحسناء» لحارب الظاهري ورواية «نواقيس العزلة» للروائية لطيفة الحاج، ورواية «ذات» لفاطمة المزروعي، ورواية «حضارة لوكاس» لنورة عبد الله الطنيجي، ورواية مريم مسعود الشحّي «فنتليتور» وغيرها كثيربل أكثرمما تتسعه هذه الدراسة، وفي هذا الصدد نودّ أن ننوّه إلى أن هذه الروايات ليست هي الأعمال الأولى لكتابها، ولعلها جميعاً امتازت بنزعة التجديد والابتكار من خلال المغامرة في التجريب المعبّرعن مدى ارتباط هذا الوعي المستجد بالحداثة وما بعدها. والخلاصة، قياساً بأزمنة الأمم والدول المتقدّمة قطعت دولة الإمارات العربية المتحدة شوطاً كبيراً في مجالات التقدّم والتطوّر المديني والمعرفي في إطار الثقافة الإنسانية الجديدة، ومن خلال هذه التجربة الملموسة والمعاشة بات بإمكان الثقافات أن تتفاعل وتزدهر في مكان واحد أو عدة أمكنة، وليس شرطاً أن تكون أميركا أو حتى أوروبا، فهذا الوعي المتقدّم الذي أفرز ثقافته المرتبطة بزمانها سوف يسعى بدأب لتطوير مفهوم الإنسانية نحو مرتبة سامية. وهذا التحليل أراه أكثر مصداقية تبعاً لمعايشتي التجربة الإماراتية وإصرار قيادتها على أن تموضع الثقافة العربية والإماراتية نفسها بين ثقافات العالم المتطوّر، وبذلك والحمد لله لم يكترث أحد إلى ذلك الصراخ المؤدلج بضياع الثقافة واللغة، فثمة في الإمارات اليوم أكثرمن 200 جنسية تتفاعل وتتعايش، لتؤكّد مقولة إن الثقافات تتعايش وترتقي ولا تتحارب. ومن هنا فإنه تنبغي الإشارة إلى مجموع الرؤى المستقبلية التي تخطط لها الدولة وهذه الرؤى جديرة بالتحية، فالإمارات اليوم بلد الجامعات العالمية يقصدها أبناء الدول المجاورة بجانب من يقيم فيها من جنسيات عربية وأجنبية، إذ بلغت نحو مئة جامعه فضلاً عن علوم الفضاء وإطلاق المركبات الفضائية والطاقة الشمسية والمدن الذكية التي تمّ تصميمها لراحة الإنسان وسعادته ■

* ناقد سوري مقيم في الإمارات

المراجع:

1. ينظر ص 13 من أبحاث الملتقى الأول للكتابات القصصية والروائية في دولة الإمارات العربية المتحدة 1-27 مارس 1985.
2. ينظر ص 14 من المرجع السابق.
3. ينظر ص 15 من المرجع السابق.
4. القصّة القصيرة والصوت النسائي في دولة الإمارات العربية المتحدة، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 1995.
5. ص 5 من المرجع السابق.
6. بحثه الذي ألقاه في ملتقى الشارقة السابع للسرد 19 - 20 سبتمبر 2010.

مشروع المواءمة بين الأصالة والمعاصرة ونجاعة المسيرة

خالد صالح ملكاوي

نَمَتْ الإمارات بسلامٍ وتآلف، يستشعر معهما الحاكم حاجة مواطنه قبل البَوْح بها، ويعكس المواطن في سلوكه وانتمائه آمال القائد في وطنه، ويتشاركان معا في صياغة مستقبل قلَّت عثرات دربه، وتسارعت خطواته نحو المنشود، فكان الأمن والسلام، وكان العدل والمساواة، وكان الخير الذي عمَّ البلاد، شهدت فيه الدولة على مدى العقود الماضية تحولات كبرى وإنجازات رائدة قلَّما تجد لها نظيراً في تاريخ الحضارة البشرية؛ إذ ازدهرت بالمعنى الاقتصادي، وانتعشت بالمعنى الاجتماعي، وبرزت بالمعنى الحضاري والثقافي، جامعةً بين الأصالة والمعاصرة، بين الماضي والحاضر، وبين التراث وروح العصر.. فالعادات والتقاليد ثابتة وراسخة، لم يزِدْها التقدم والتطور إلا بهاء واعتزازا.

فلم يكن للوفرة النفطية أن تحقق في الإمارات القسط الكبير من النجاح في مجالات التنمية المختلفة، في فترة قياسية، لولا وجود قيادة سياسية مؤمنة بضرورة التمسك بجذوة أصالتها وجذور هويتها، واعية لظروف العصر وتحولاته، مالكة للإرادة والرؤية، وعارفة بمدى ما عاناه المواطن في ظروف ما قبل قيام الاتحاد، متميزة بحسن تدبير التنوع والاختلاف، إذ تتسم بتواضعها مع نفسها ومع غيرها، وبوجود شعور عام شعبي بالرضا عليها، أقوى منه في أي بلد عربي آخر. وتسير الإمارات وفقاً لأولويات نحو التقدم والتميز بخطى حثيثة، وضمن استراتيجيات أثبتت نجاعتها طيلة مسيرة الدولة، بل أنْجَتْها حكمة القيادة وبُعد بصيرتها من مراحل انتكاس وركود وأزمات لم تستثنِ حينها دولة مهما كانت عراقتها وقوَّتها، وأيا كان موقعها الدولي، وزاد ذلك كله من ثقة المواطنين بقيادتهم، وبسلامة نهجها، وحسن تدبيرها، وحكمتها في استباق الأزمات، كما متَّن العلاقة القائمة أصلا على المحبة والود بين الطرفين، وعمَّق من صور الولاء التي جعلت المواطنين مؤازرين لمختلف سياسات القيادة، ومهيأين لمساندة كل ما تطرحه الحكومة من برامج ومشاريع تخدم مسيرة التنمية والنهوض.

لقد لازم هذا التلاحم والارتباط العضوي بين القيادة والمواطنين وعي إيماني بأن الزمن في الإمارات، ماضيه وحاضره ومستقبله، من صلبٍ واحد، وفي بوتقةٍ واحدة، وبآثار مشتركةٍ ممتدة، لا تنفصم عرى العطاء في ماضيه عن عطاء اليوم، ولا تنعدم امتدادات خيوطها في نسيج القادم من المستقبل، وهذا الإيمان الواعي بامتداد أثر الماضي إلى المستقبل رسَّخ لدى الإماراتيين القناعة التامة بأن عائدات التنمية في مختلف المجالات، وهي تحمل أنفاس الآباء المؤسسين وتتندَّى بعرقهم، هي لكل الإماراتيين في واقعهم ومستقبلهم، وفي مستقبل الأجيال القادمة من أبنائهم، وأن تحقيقها لن يتم إلا بإرادة القيادة وسعيها الدؤوب، وبجهودهم المخلصة ومساندتهم وانخراطهم الصادق في مختلف حيثياتها.

والمتتبّع لتاريخ الإمارات، المتمعّن لمسيرة الدولة الاتحادية عبر خمسة عقود من عمرها، يدرك أن النجاح الذي تحقق في زمن قياسي لم يأتِ من فراغ، فقد التقت عوامل عدة هيأت لهذا النجاح، وساعدت على بلوغ التميز فيه، بحيث صار للإمارات تجربتها التي تستحق الدرس بما تمثله من أنموذج يحتذى به، وغدا لها خصوصيتها التي عزَّزتها القيادة الرشيدة بحكمتها وجرأتها، وبجدّها وصبرها، وبصدق عطائها.

وقد يكون من أهم هذه العوامل النجاح في مشروع المواءمة بين الأصالة والمعاصرة؛ فالانفتاح على المجتمعات الأخرى ضرورة تمليها الحياة، والانفتاح الواعي على المجتمعات المتقدمة بات ضرورة تمليها الظروف المعاصرة. وقد شكل هذا الانفتاح ركيزة مهمة في النهج التنموي لدى المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، فأدرك «طيَّب الله ثراه» أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة أمر يحتاج إلى الحكمة، فإيجاد توازن بينهما أمر في غاية الدقة تماما كما هو في غاية الأهمية، بحيث لا يطغى الجانب المادي الذي أفرزته الحضارة الحديثة على الجانب الروحي والقيَمي، فلا تذوب شخصية الأمة وتنطمس معالمها، ولا يطغى التمسك بالعادات والتقاليد والإرث الحضاري فيستحيل إلى جمود يعوق حركة التقدم والأخذ بأسباب النهضة. ومثَّل هذا التوازن ظاهرة فريدة في فكر المغفور له، فبنظرته الشاملة يرى أن الإنجاز العملي المادي بدون مُثُل عليا وقيم إنسانية روحية، ليس سوى جسم أو كيان ميت لا معنى لوجوده، وأن المُثُل العليا بدون إنجاز عملي مادي يحققها ويجسّدها ليست سوى أضغاث أحلام، ومجرد أوهام، والمزج بين المُثُل العليا والإنجازات العملية هو الحل للمعادلة الصعبة للجمع بين الثوابت والمتغيرات، بين الأصالة والمعاصرة.

فالمعاصرة أو الحداثة في فكر المغفور له الشيخ زايد تعني أن تعيش الأمة روح العصر، وتحقق التقدم والازدهار في شتى مناحي الحياة وتتفاعل مع نتائج العقل البشري، وتسهم في إنجازاته بما يوفر حياة الرخاء والرفاهية لأفرادها، ويدفعهم إلى الإفادة من ثرواتهم الطبيعية التي منحهم الله في بناء مصدر دائم للثروة، يتمثل في عقل الإنسان وتفجير طاقات الإبداع فيه. كما أن المعاصرة عنده «طيب الله ثراه» لاقت دراسة وعناية واستنباتا خاصا لتأصيلها في المجتمع الإماراتي حتى يكتب لها الحياة، فهي لا تعني عنده نقل قيم الحداثة وعناصر التحديث نقلا ميكانيكياً من دون تأصيل، لأن ذلك يجعل وجودها وحضورها فيه يعاني من النكوص والانتكاس، إذ لا بد من «التأصيل الثقافي» لقيم الحداثة المعاصرة، فمن الخطأ الاعتقاد أن من الممكن غرس قيم الحداثة في مجتمعنا العربي بمجرد نقلها إليه أو بالعمل على «التوفيق» بينها وبين القيم السائدة عندنا، فالجديد الذي ينبت في مجتمع معين لا يمكن نقله ناضجا إلى مجتمع آخر مختلف إذا

كان الأمر يتعلق بالأفكار والقيم، بل لا بد من العمل على استنباته فيه وتبيئَتِه مع معطياته الخاصة. ولم يَجِدْ من حملوا الراية من بعده «طيب الله ثراه» عن هذا النموذج الفريد، بل ترسَّخ هذا النموذج في «مرحلة التمكين» التي دشَّنها صاحب السمو رئيس الدولة منذ توليه دفة القيادة، وجعله أساس المشروع الحضاري الذي تسير الدولة نحو بلوغه، وأكد سموه على ذلك في أكثر من مناسبة، ووضعه في صلب الكثير من المشاريع والمبادرات التي أطلقها، فها هو يقول حين أطلق عام 2008 عاما للهوية الوطنية: «إننا نتطلع إلى مشروع حضاري شامل يستوعب الحديث دون إخلال بالأصيل، بما يحفظ للوطن وجوده، وللمواطن هويته، وللمجتمع تماسكه، فلا تساهل ولا تهاون مع كل ما يهدد قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا ولغتنا الوطنية، التي هي قلب الهوية الوطنية ودرعها وروح الأمة وعنصر أصالتها ووعاء فكرها وتراثها».

ويبرز دور هذا النموذج في ما تحقق من نجاح، في كلمة سموه بمناسبة اليوم الوطني الحادي والأربعين، إذ يقول: «إن الاستقرار الذي تنعم به دولة الإمارات العربية المتحدة، هو من ثمار الإرادة القوية لأبناء الشعب وقيادته الذين اتخذوا من روح الاتحاد مصدر الإلهام لمشروع وطني خالص وتجربة حضارية جوهرها هوية وطنية وقيم وأعراف وتقاليد أصيلة». ومن الطبيعي أن تلتقي تأكيدات القيادة حول اعتزازها بهذا النموذج الخاص في المزاوجة الواعية بين الأصالة والعالمية، والجمع بين العراقة والتحديث، فقد أكد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ما ذهب إليه صاحب السمو رئيس الدولة، حيث قال: «لقد نجحت دولة الاتحاد في دخول القرن الحادي والعشرين، وهي تحتل موقعاً متميزاً على المستويين الإقليمي والدولي، وتمتلك كل مقومات التطور والتحديث، وفي الوقت ذاته لم تتخلَّ عن شخصيتها الأصيلة وسماتها الخاصة المتمثلة في تراثها الحضاري العربي - الإسلامي». فمما عضد نجاح مشروع المواءمة بين الأصالة والمعاصرة ومنحه زخم التأثير في نجاح التجربة الإماراتية بخصوصيتها المتميزة، الوعي والإرادة القوية والرؤية الثاقبة لدى القيادة، والالتزام الثابت لأجيالها بالوفاء لنهج الآباء والمؤسسين؛ فقد حبا الله الإمارات قيادة وهبها كل ذلك، وألهمها الجَلَد على المصاعب والتحديات، والحكمة في مواجهتها باقتدار، وبأمن وسلام، مما مكَّنها من صياغة نموذجها الخاص في الحكم، وهو سياق موروث انطلق منذ ما قبل قيام الدولة، وتراكمت فيه الخبرات، وما زال يلازم المسيرة، ولعب دورا كبيرا في نجاح النموذج الوطني الإماراتي وتميزه، كما بينه

صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، حيث قال: «إن الدرس الأهم بل السر في مسيرتنا الظافرة، يكمن في مفهوم الحكم الذي ورثناه عن آبائنا ومارسناه وعملنا على ترسيخه منهجا في العمل ومعيارا للجدارة.. لقد تعلمنا من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وأخيه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم «طيب الله ثراهما» أن الحكم ليس سلطة ولا وظيفة، ولا استحقاقاً تلقائياً، إنما هو رسالة إيمانية ومسؤولية ثقيلة موضوعها تأمين مصالح الوطن، وتحقيق سعادة المواطنين.. وتعلمنا من معايشتنا عن قرب لعمل الشيخين الجليلين في تأسيس دولتنا ورعايتها وتوطيد أركانها، أن القائد الناجح طموح ومتفائل، ويقود من الأمام، ولا يخشى الصعاب، ويبادر، ويواجه التحديات، ويتطلع دائماً إلى الأمام، ويتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب، ويتحمل مسؤوليته».

ويكشف سموه عن معادلة المواءمة بين الأصالة والمعاصرة التي احتكم إليها سر هذا النجاح والتجذر والتألق، إذ يقول: «نجح لأنه نموذج وطني إماراتي بامتياز لم يستورد نموذجاً سابقاً.. كان اتحادنا ابن واقعنا يشبهه ويحمل جيناته، لقد امتزجت روح الاتحاد مع حسابات العقل فكان النجاح.. إن قدرة نموذجنا الإماراتي على تحقيق التكيف بين خصوصياتنا الاجتماعية والثقافية ومواكبة العصر ومنجزاته هي التي عصَمَتنا من الجمود وحمَتنا من القفز في المجهول، وهي التي مكنتنا من مواجهة التحديات وتحقيق النهضة وإرساء قواعد الأمن والاستقرار.. استلهم نموذجنا الإماراتي، ومازال، واقعنا بكل أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وبكل ما يتفاعل فيه من قيم وأعراف وعادات وتقاليد تنهل من معين ديننا الحنيف وتراثنا العربي الأصيل، وأرسى هذا النموذج قواعد وآليات تحقيق التوافق والانسجام بين واقعنا المتحرك والمتطور ومتطلبات النهضة والتقدم، وهي القواعد التي باتت منهجاً ثابتاً نسير عليه ونتمسك به ضابطاً للتغيير والتطوير والتحديث في مسار يعزز التنمية ويحثُّ على الإنجاز ويراكم الإيجابيات ويضمن الأمن والاستقرار، ويفتح أوسع الأبواب أمام أبناء الإمارات للتمتع بثمار التنمية وتحقيق الذات والمشاركة الفعالة في كل ميادين العمل الوطني». وفي ظل هذا الالتزام القوي بمواصلة الجهود والنهوض في جميع الأنشطة والقطاعات، ومن خلال رؤية تنموية واضحة المعالم، وخطط استراتيجية طموحة، تتحرك دولة الإمارات من نجاح إلى آخر وهي تقود أنموذجاً فريداً للتنمية الشاملة والنمو الديناميكي في مختلف المحاور والاتجاهات، فتطوي نصف قرن من التميز في عمرها وهي ترى بعين الواثق نصف قرن جديد. فبإعلان وثيقة الخمسين تكون دولة الإمارات العربية المتحدة دخلت حقبة وطنية جديدة وفقا للمبادئ العشرة التي تضمنتها الوثيقة السبتمبرية، وهي تؤكد على منهجية وطنية محددة تجدّد فيها من نموها دورات الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

ولأن الخمسين هي اتصال مع نواة التأسيس، فقد عكست هذه المبادئ بمضمونها ما تتميز به الدولة عن غيرها من دول العالم بأنها تحرص دائما على الربط بين الماضي والمستقبل بشكل متوازن، واستلهام العبر والدروس من التجارب وتطويع نتائجها بما ينسجم مع تطلعاتها، والاستفادة من معطيات الواقع بانفتاح لرسم ملامح مستقبلها بشكل مدروس.

فحملة المبادئ أتت ترسّخ دولة العدالة والقانون لأنها القيم الأصيلة التي نشأت بها ككيان اتحادي ملتزم بكل القيم الإيجابية الذي نما في ظلها، فأكدت أن هذا الكيان يحترم الثقافات ويُعلي مبادئ التسامح في مجتمعه ومحيطه؛ فالإمارات تعيش في منطقة تستدعي علاقات تُبنى على حسن الجوار بالتعايش مع المجتمعات المحيطة بكل التداخلات الشعبية والارتباطات الثقافية التي سيكون عليها التركيز من ناحية المحافظة عليها عبر الرعاية والاهتمام كجزء حضاري من الموروثات اللازم تعزيزها، فهي الهوية الوطنية للبلاد الاتحادية. كما أن المبادئ لم تغفل قيمة المساعدات الإنسانية باعتبارها مبدأ أصيلاً لا يرتبط بسياسات عرقية ودينية، بل هي من القيم الإنسانية التي نشأت مع الآباء المؤسسين للدولة الوطنية الاتحادية، هذه القيم الوطنية التي مثَّلتها وثيقة الخمسين تشكل خارطة وطنية نحو المئوية.

ولأن الإمارات بَرَعَت طيلة مسيرتها في التعامل مع روح العصر، فقد استوعبت المبادئ التحوُّل الحضاري والدورة الإنسانية، فوضعت التفوق الرقمي ضمن أهم المستهدفات الوطنية مع التأكيد على التفوق في هذا المضمار بما يمنح الإمارات أن تكون عاصمة للعالم الرقمي، كما هو الحال في قطاع الفضاء، بعد أن أصبحت الإمارات لاعباً رئيساً فيه، ليغدو واحدا من أكثر القطاعات إثارة في الإمارات وركيزة أساسية للتنمية الاقتصادية، ويرسّخ مكانة الدولة كرائد عالمي للابتكار ■

المراجع:

1. حمدي تمام، زايد بن سلطان آل نهيان.. القائد والمسيرة، أبوظبي، 1981م.
2. محمد الأمين الخضري، التوازن بين الأصالة والمعاصرة في فكر الشيخ زايد، بحث مقدم لندوة «زايد المواقف والإنجازات»، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2001م.
3. محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي منذ الخمسينيات، مجلة المستقبل العربي، العدد 346، السنة الثلاثون، ديسمبر 2007م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
4. يوسف الحسن، منسق المجتمع المدني بوزارة الخارجية الإماراتية، كلمته في الجلسة الافتتاحية في اجتماع منظمات المجتمع المدني الموازي لمنتدى المستقبل الذي عقد في دبي من 15 - 17أكتوبر عام 2012م.

يوم الشّهيد

تُوارَى فـي الترائــبِ خافقـــاتٍ

ويكـــبرُ أن تُوارى في التـــرابِ

وترســـخُ فـــي مخايِلنا وتحيا

صقـــورَ وقائـعٍ وليـــوثَ غـابِ

سـنكتبُ عـن بطولتهـــا طويلاً

ونسيُهـــا مع الخيـــلِ العِرابِ

ونرسمُها علـى أسمـــى الهدايا

وتُسكَبُ في القلائـدِ والســخابِ

وأغضبَـــني أشاهـدَ من بعيدٍ

على وطني عصاباتِ الذئـــابِ

وقالـوا أين أنتَ؟ فقلـــتُ فيها

وفي تنهيدةِ الوطـــنِ المصابِ

من قصيدة خفقة قلب
من أشعار: محمد بن أحمد خليفة السويدي

ارتياد الآفاق

العبدري من المغرب الأقصى إلى البيت المعمور

محمد عبد العزيز السقا

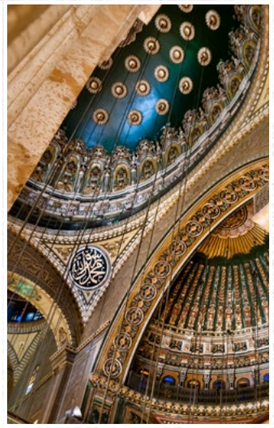

العبدري من المغرب الأقصى إلى البيت المعمور

القاهرة، مصر.

محمد عبد العزيز السقا

إذا كان ابن بطوطة والعياشي صاحبا أشهر رحلتين في أدب الرحلات قد نقلا عنه، فلماذا أغفل المؤرخون المعاصرون له ذكره أو تفصيل ترجمته؟ ولم لم تلق رحلته الثمينة العناية اللازمة في حينها؟ كانت الإجابة حصرًا في أنه يتوجب عليّ إعادة قراءة محتوى الرحلة، وقد كان. أتيت على صفحاتها، مطالعة وقراءة وتدوينًا، أمرُّ على الحشو الطويل فأسرع، وأمر على الوصف والتوصيف فأبيت بين الفقرات، حتى أصبحت قريبًا من أن أدرك سر هذه التغاضي المتعمد، لم يكن الرجل ملاطفا، كان حادًا، بعبارة أدق، لم يكن يحسن صنعة المداراة، كان يقول ما يؤمن به، وهذا يحسب له، ولكنه يقيس العالم بمسطرته فقط، ويزن الناس بميزانه ومثاقيله الخاصة به، وهذا ما يحسب عليه، يريد أن يحكم على الدنيا بطولها وعرضها من منظوره الخاص، لكنه كان صريحاً على طول الخط، متسقًا مع مقاييسه التي وضعها، وحتى لا أتحمل عبء الحكم بمفردي، سأكشف الغطاء من أطرافه رويدًا، فالرحلة التي سطرها صاحبها في مئات الصفحات تحمل صورة الركب المغربي (ركاب الحجيج) إلى بلاد الحجاز خلال العصر الأوسط من تاريخ الإسلام السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يلونها العبدري بألوانه الخاصة، القاتمة أحيانًا.

في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 688هـ - 1289م، سافر العبدري - المنسوب إلى قبيلة عبد الدار في جنوب المغرب - برًا قاطعًا المفازة الواقعة بين جنوبي المغرب ومدينة تلمسان، وما إن وصل مدينة الجزائر حتى غادرها إلى تونس، ثم قصد بلاد طرابلس (الأراضي الليبية) ثم مصر المحروسة، فمر بالإسكندرية وتابع إلى القاهرة، ثم اتجه إلى العقبة ودخل مع الركب بلاد الحجاز، فقصد مكة المكرمة ثم المدينة المنورة. أما عودته فكانت عن طريق فلسطين، أقام في القدس خمسة أيام ثم رحل إلى الإسكندرية، ومنها قفل إلى بلاده في المغرب.

مكنت الرحلة صاحبها من تلوين صورة متكاملة و صقل مرآة زمنية تنعكس فيها لوحة نابضة بالحياة الثقافية والاجتماعية، كأنها وثيقة سجلت مظاهر الحياة في تلك الفترة من المغرب الأقصى إلى البيت المعمور، نصوص أدبية، أشعار، مناظرات علمية، مسائل فقهية، قصور ومنارات وطرقات، معايش وأسواق، طباع وأخلاق علماء وشعراء، كما أنها أيضًا وثقت وبدقة حدة الرجل وطباعة وموازينه الخاصة الضيقة أحيانًا

عملًا بقانون التاريخ الذي يقتضي تسجيل ما لنا وماعلينا وإن لم ندرك.

اسمه واسم أبيه واسم جده كان محمدًا، فهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدريّ ثم القرشيّ المعروف بالحيحي نسبة إلى (حاحا) المغربية الكائنة على مسافة 60 كيلومتر من شاطئ المحيط الأطلنطي عند ساحل مدينة الصويرة، رحالة ومؤرخ وقاض وفقيه وشاعر وصف بالفحولة، وأديب يغنيك قلمه عن إثبات تمكنه من اللغة، والأهم كان الرجل ناقدًا حادًا أزعج معاصريه، وظل اسمه يحبس أنفاس من يتناولهم بالنقد حتى رحل عن الدنيا قرابة عام 700 هجرية/1300 ميلادية.

كل المرتحلين الذين جاؤوا بعده، نهلوا منه، و نقلوا عن رحلته، نقل عنها ناسخ رحلة ابن بطوطة فقرات كثيرة، واعتمد عليها العياشي، والناصري، وعبد القادر الجيلاني، كما اهتدى بها عدد من الرحالة والكتّاب ولكنهم لم يترجموا له أو يكتبوا سيرته أو يحتفوا به، والعياشي ينقل عنها ولا يُعَرِّفُ بصاحبها وابن الخطيب القسنطيني (ابن قنفذ) يختصرها ويسميها (المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية)، ولا يضيف شيئًا جديدًا عن المؤلف أو حياته، ولم تلق الرحلة العناية اللازمة في عصر النشر، حتى أنها ظلت مخطوطة حتى وقت قريب، عندما أنصفها بعض المستشرقين، كالفرنسي مانسان، الذي اعتنى بها وترجمها ونشرها وتحدث عنها في مقالات عديدة. أمّا المستشرق الفرنسي (شيربونو) فقد وسمها بقوله: «إنني ما رأيت كتابًا عربيًا مفيدًا ممتعًا على درجة رحلة العبدري، ليس لصحة تحقيقاته الجغرافية فقط، ولكن أيضًا لتفاصيله عن الآثار القديمة، ولدراسته للعادات، ولتقديمه لنا جُل علماء القرن السابع الهجري المسلمين.

ناقد جريء

ثقافة العبدري، وتمكنه من العلوم المختلفة وجرأته في تصديه

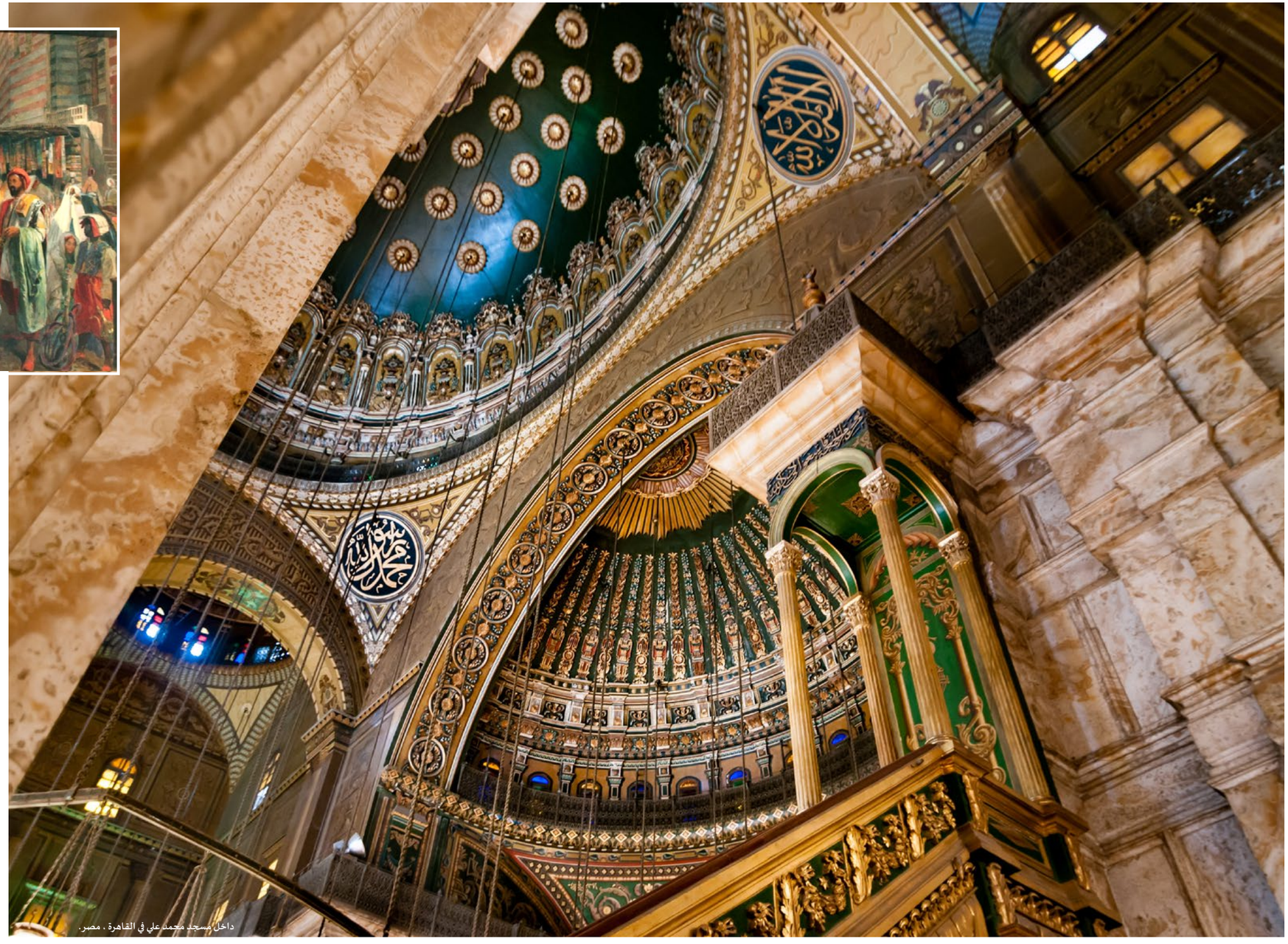

داخل مسجد محمد علي في القاهرة ، مصر.

بالنقد لمشاهير العلماء، يكشف لنا جانبًا من شخصيته، فهو لا يتردد في نقد أي أحد، مهما بلغ قدره، كما فعل مع القاضي عياض بن موسى ونقده له عندما تحدث عن الجُحفة، كما تصدى لأبي القاسم السهيلي وصحح له عددًا من المعلومات التي أوردها في كتابه «الروض الآنف»، ثم تعقب أبا عبيد البكري صاحب «المسالك والممالك» خطوة خطوة، وصوَّب له المعلومات التي ذكرها، وكانت تصويباته تصويبات شاهد عيان، أبصر وعاين ودقق، فقال في وضوح: «وما زال أهل الإتقان يقعون في مثل هذا، ألا ترى إلى أبي عُبيد البكريّ، مع تحقيقه وفرط اعتنائه، ونبل تواليفه قد أودع في (مسالكه) من الغلط في صفات البلدان، قوله في مدينة بيت المقدس: أن الجبال محيطة بها، وإنما هي نَشَز من الأرض كما ذكر، وليس بالقرب منها جبل...»!.

تتضح شخصية العبدري المرتكزة على الصراحة في كل ما يكتب، وقد كان وفيا -أو ذكيا في تمثل الوفاء - لما قرره في مفتتح رحلته حين قال: «وبعد، فإنّي قاصد - بعد استخارة الله سبحانه - إلى تقييد ما أمكن تقييده، ورسم ما تيسر رسمه وتسويده، مما سما إليه الناظر المطرق، في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق، من ذكر أوصاف البلدان، وأحوال من بها من القطان، حسبما أدركه الحس والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان». الجرأة في التعبير عن رأيه وشعوره، والنقد اللاذع كان ميزته، وهو نفسه عيبه، وربما لم يُبق له لسانه أحدًا، ناصب النقد اللاذع لكل أعيان عصره! وأتراب زمانه، وبقي النصف الآخر من الحكام ألا وهم العامة أو عموم الناس، ومن هنا ألتقطُ طرف الخيط مرة أخرى لنكمل النسج على منوال الكشف عن جانب من أهم جوانب الكتابة في

مفتاح الكعبة القديم في متحف مكة المكرمة

هذه الرحلة وهي وصفه البلدان وصفا دقيقا بمبانيها، وآثارها، ولا يفوته أن يصف أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، ولباسهم، ولم يسلم مستواهم العلمي من وصفه ونقده وميزانه ولم يكن متساهلاً في نقد ما كان يراه سواء في أخلاق النّاس أو في عاداتهم بلا مداراة ولا مواربة. وأجدُ الرجل قد فقد العون من العامة وكيف ينصرونه وقد أعمل فيهم قلمه ولسانه! يُحسب له دقة وصفه، وإحاطته بالملابسات السياسية والجغرافية ثم يؤخذ عليه حدته وجرأته في الفقرة ذاتها، يقول في صفة القدس: «.... والقدس المقدس المنقى من الآثام، نُجْعة من راد، وريّ من حام، خفق برقه فوقّق من شام، وتدفق وَدْقُه فأفرق ذو الهيام؛ لو نطق محتجاً لفضيلة الشام، لأفحم به العراق أي إفحام. والبلد مدينة كبيرة، منيعة، محكمة، كلها من صخر منحوت، على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية، وسورها مهدوم، هدمه الملك الظاهر خوفاً من استيلاء الروم عليها، وامتناعهم بها. والخراب فيها فاش، وليس بها نهر ولا بستان. وحوالها تلال مشرفة عليها، وبها كنيسة معظّمة عند النّصارى يحجّونها في كلّ عام، وهي الّتي يزعمون أنّ فيها قبر عيسى عليه السلام ، وعلى كلّ من يحجّها منهم ضريبة معلومة للمسلمين، وضروب من الإهانة يتحمّلها راغما!..»

وصوله إلى مصر

كان وصوله إلى مصر في رمضان من عام 688هـ - 1289م. وقد زار الإسكندرية ووصف مبانيها العامرة، ومنارها الشهير (الفنار)، والقاهرة: وحي الجمالية، وأقام بالمدرسة الكاملية التي مازالت قائمة حتى اليوم، ورغم أن زيارته إلى القاهرة ومصر المملوكية كانت بهدف الراحة والاستعداد الخروج مع الموكب للحج فإنّه لم يتخل عن ذكر مثالبها العمرانية وانتقد السلوك الاجتماعي لسكانها. ورغم أن الإسكندرية قد أثارت إعجابه فوصفها وصفًا بليغًا، إلا أن قريحته الناقدة دفعته لتقريع أهلها وانتقاد بعض سلوكهم فقال: «الإسكندرية مدينة الحصانة والوثاقة وبلد الإشراق اللامع والطلاقة .. مدينة فسيحة الميدان مليحة البنيان. كأنه لم يغب عنها شخص الإسكندر. مما ساس فيها من عجائب مبانيها ودبر. ناهيك بمدينة كلها عجب قد سترحسنها حسن غيرها وحجب» ثم أخذ في وصف أهم مبانيها ولا سيما «منارها الفريد»

مرويات شفهية نادرة

رحلة العبدري من أقدم رحلات المغاربة إلى الديار الحجازية لأداء مناسك الحجّ دوّن فيها تفاصيل رحلته عبر درب الحاج المصري من القاهرة إلى مكّة المكرّمة. يذكر العبدري أيضًا أسماء الشيوخ والفقهاء والشعراء والأدباء، وبدون الأخبار الّتي استفادها، والمعلومات، والأشعار الّتي كان أنشده إيّاها العلماء. والأحاديث النبوية التي يتلقاها من علماء الحديث معتنياً بالسّند العالي عناية كبيرة، يحسب له تسجيله للمشاهدات البصرية وإثباته للمرويات الشفهية التي يسمعها من صدور العلماء الذين التقى بهم حتى أن بعضا منها انفرد هو بذكره ولولاه ما عرفناها.

وعرج على وصف أحوال أهلها وذكر عدداً من أهل الفضل والعلم الذين لقيهم فيها وما سمعه منهم أو ما قرأه عليهم. ثم ذكر أهل الإسكندريّة، وأن أحوالهم ردية، وهي أكثر من أن يحصرها بيان، أو يحيط بها خبر ولا عيان، يقول: وبودّي لو لم أر إلّا حسنا فأذكره، ولم ألق إلّا مشكورا فأشكره. ولو كان القبيح يجمل بغير أوصافه، والنّاقص يكمل بذكر أسلافه. لكان أهل الإسكندريّة أجمل النّاس حسنا، وأكملهم في كلّ معنى، بوجود بعض الأفراد فيهم...

انتقل إلى القاهرة في أواخر شهر رمضان حيث نزل مقيماً في المدرسة الكاملية بالجمالية بالقاهرة (ولازالت المدرسة موجودة حتى الآن) وهي مطلة على شارع بين القصرين أكبر شوارع القاهرة وأحفلها بالحركة وأعمرها بالأسواق. وكان أمامها حسبما يذكر المقريزي في خططه سوق الدجاجين ثم سوق الشماعين الذي يزدان بأصناف الشموع «الموكبية» وهي الشموع الضخمة خلال شهر رمضان حتى يتحول ليل هذا الجزء من السوق إلى نهار، وقد اهتم العبدري بأن يعطينا إحساس المقيم ليلاً ونهاراً بهذا الجزء المزدحم من الأسواق لا سيما وأنه نزل في المدرسة الكاملية في علو (شرفة علوية) يشرف على السوق فيقول: «فكنت قلما أرقد إلا منغصاً لصياح الباعة وهم يبيعون طوال الليل. وقلما يكون طعام الشريف منهم والوضيع إلا من السوق.. والطريق غاصة بالخلق حتى ترى الماشي فيها ما له هم سوى التحفظ من دوس الدواب إياه. ولا يمكنه تأمل شيء في السوق لأن الخلق يندفعون فيها مثل اندفاع السيل، وقد ضاعت لي بها دابة بسبب الزحام كان عليها شخص راكباً إياها، فتكاثر عليه الزحام حتى أسقط

عنها واندفعت في غمار الخلق ولم يمكنه التوصل إليها وهو يبصرها حتى غابت عنه وكان آخر العهد بها» كما ينتقد لهجتهم فيقول: وجمهورهم يجعل القاف والكاف همزة. وقد سمعت شخصا منهم في التّلبية يقول: لبّيك اللهم لبّيك ، ويجعل كافاتها كلّها همزات، وأن ذلك مثير للضحك! وهنا يقع العبدري في الوزن بمثاقيله الخاصة وهو ابن الصحراء البادية الذي عاش عمره رفيق الليل الهاجع والنجوم المتراصة في السماء، فبدلًا من تفهم طباع الناس واختلافات وتنوع ثقافتهم ومستجدات حواضرهم التي تختلف عن طبائع البداوة، نجده يقيس حياتهم بمنظوره الخاص الضيق، فيفوته أن يلتمس لهم العذر.

من مصر إلى الحجاز

غادر مصر باتّجاه الحجاز في الضّحى الأعلى من يوم الثّلاثاء الثّامن عشر من شهر شوّال مستقبلين للبريّة الكبيرة: بريّة ما بين الحجاز ومصر، وهي مسيرة أربعين يوماً وكان ذلك عام 688 هـ.

كان للرحلة سببان الأول: دينيّ تعبدي، وهو القيام بفريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدّسة، والاتّصال بالمتصوّفة والصّالحين، وقد صرّح العبدريّ بأنّه كان ينوي الإقامة بمكّة والمجاورة بها، وبأنّه قد اكترى المنزل وجهّز لوازمه وصرف الرّكب إلى المغرب، لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرّحيل عن مكّة. والثّاني : هو رغبته في لقاء العلماء والمشايخ والأدباء والشعراء والأخذ عنهم، إذ كان حريصا على البحث عن ما يعرف بالسّند العالي سواءً يف الأخبار أو الأحاديث أو الأشعار، ليثبتها في مجلده، الذي لم يكتب سواه! وكان في سؤال دائم عن الأحوال العلميّة والثّقافيّة في البلاد الّتي مرّ بها؛ فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه ونال أهلها من لسانه حلو الكلام، وإلا فالذم والمنقصة.

استمرّت الرحلة أكثر من سنتين على اليقين، لأنَّ البحاثّة حسن حسني عبد الوهاب يذكر أنّ العبدريّ زار تونس مرّتين في طريق ذهابه إلى الحج سنة (688 هـ/ 1289 م)، وعند رجوعه سنة (691 هـ / 1292م) فعلى هذا يكون العبدريّ قد أمضى ثلاث سنوات في رحلته ويؤكّد هذا البلويّ حين أورد أبياتا للعبدريّ في رحلته ■

* باحث مصري مقيم في الإمارات

من رحلة العبدري

... أرض مصر مصوّرة في كتب الأوائل وسائر المدن مادّة أيديها إليها تستطعمها... والنّيل نهر عظيم متّسع جدًا، آخذ من الجنوب إلى الشّمال، ويفترق بعد مسافة من فسطاط مصر على ثلاثة أنهار، ولا يدخل واحد منها إلّا في القوارب شتاء وصيفاً؛ وقد دخلته من مجمع نهرين فقرأت حزباً من القرآن قبل أن يقطع القارب إلى الجزيرة الأخرى، وصورة السّقي به أنّ أهل كلّ بلد لهم خلج تخرج منه ، فإذا جاء مدّ أترعها ففاضت على المزارع وسقتها كما تسقي سائر الأنهار؛ وقد علموا أين ينتهي سقي كلّ مقياس، ومن غرائب صنع الله، أن مدّه يبتدىء في معمعان الحرّ وشدّته. في الوقت الّذي تفيض فيه الأنهار، وينتهى في الوقت الّذي تمدّ فيه الأنهار؛ ويفيض فيحسر الماء عن الأرض في مبدأ زمان الحرث. وقد حكى البكريّ عن ابن حبيب «أنّ الله تعالى جعل النّيل معادلا لأنهار الدّنيا، فحين يبتدى بالزّيادة تنقص كلّها، وذلك لخمس بقين من شهر يونية وحين يبتدى بالنّقصان تزيد كلّها. أمّا أهرامها وبرابيها فمبان عجيبة في غاية الغرابة مضمّنة من الحكمة وغرائب العلوم ما صار أعجوبة على وجه الدّهر. وبين النّاس تنازع في أوّل من بناها، وفي أيّ شيء قصد بها، ولهم فيه خوض كثير ... والأهرام مبان من حجارة، صارت لإحكامها كالحجر الواحد، في غاية العلوّ، متّسعة الأسفل، مستديرة الشّكل، فكلّما طلعت انخرطت حتّى صار أعلاها حادًا على شكل المخروط. وليس لها باب ولا مدخل ولا يعلم كيف بنيت.

المراجع:

1. رحلة العبدري.
2. خطط المقريزي.
3. د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 1997، ص 98.
4. مكتبة الوراق التراثية (الإلكترونية) إصدارات المركز العربي للأدب الجغرافي ارتياد الآفاق.
5. الرحلات الحجازية المغاربية: المغاربة الأعلام في البلد الحرام : دراسة نقدية بواسطة أ.د حفناوي بعلي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

أضواء على اللغات السامية القديمة

راشد سعيد مبارك

تعرف الدراسات والأبحاث التاريخية الحضارية اللغات السامية القديمة بأنها تلك اللغات التي تكلمت بها مجموعة من الشعوب السامية، ترجع في سلاسل أنسابها إلى أصل واحد، هو حسب المصادر التاريخية القديمة (سام بن نوح). وقد ظهر مصطلح اللغات السامية القديمة بظهور هذه الشعوب السامية في عصر ما بعد طوفان النبي نوح عليه السلام.

ويقسم الباحثون اللغات السامية - حسب الموقع والاتجاه الجغرافي - إلى قسمين هما:

اللغات السامية الشمالية

وتنقسم بدورها إلى قسمين: شرقية، وغربية، وقد انتشرت في منطقة بلاد الرافدين والشام، ومنها:

اللغة العيلامية القديمة: وهي اللغة التي تكلم بها الشعب العيلامي القديم، المنتسب إلى (عيلام بن سام بن نوح). وقد كون هذا الشعب العريق الحضارة العيلامية القديمة في منطقة (الأحواز) جنوب غرب بلاد فارس، وسميت أيضاً (عربستان). ومن ملوكها المشهورين في التاريخ القديم (كدرلعومر). اللغة الآشورية القديمة: وهي اللغة التي تكلم بها الشعب الآشوري القديم، في شمال بلاد الرافدين، وينسبون إلى (آشور بن سام بن نوح). وقد استطاع هذا الشعب العريق تكوين الحضارة الآشورية وكانت عاصمتهم الدينية (نينوى)، المدينة التي أرسل الله إلى أهلها النبي يونس. والعاصمة العسكرية كانت في (كالح). ومن أباطرة الآشوريين (اشوربانيبال) (واسرحدون) و(سنحاريب).

اللغة الأكادية القديمة: وهي اللغة التي تكلم بها الشعب الأكادي في بلاد الرافدين، وقد شكلوا حضارة عريقة هي (الحضارة الأكادية)، ومن ملوك الأكاديين العظام (سرجون الأكادي).

اللغة الكلدانية الارامية الشمالية الشرقية: وهي اللغة التي تكلم بها الكلدانيون الآراميون في بلاد ما بين النهرين في بابل، حيث تشكلت الحضارة الكلدانية الآرامية. وهم من ذرية (كلدة بن نبيط بن ماش بن ارم بن سام بن نوح). ومن أباطرة الحضارة الكلدانية الآرامية في بابل بختنصر أو نبوخذ نصر وبلشاصر ونبولاصر.

اللغة الأمورية الكنعانية الشمالية الشرقية: وهي اللغة التي تكلم بها الشعب الأموري الكنعاني القديم في بابل، وتعد هذه اللغة فرعاً من فروع اللغات الكنعانية الشمالية الشرقية في بلاد الرافدين. وقد كون الأموريون الكنعانيون الحضارة الأمورية البابلية الأولى بقيادة حمورابي، ومن المعتقد أن أسماء مثل أوغاريت وعمريت في بلاد الشام بالإضافة إلى ثمريت وصرفيت الواقعة في أقصى جنوب الجزيرة العربية في ظفار هي أسماء عمورية كنعانية خالصة.

اللغة الفينيقية الكنعانية: وهي اللغة التي تكلم بها الفينيقيون الكنعانيون والذين سكنوا السواحل الشامية، وهم شعب من شعوب بلاد كنعان القديمة، وقد كونوا الحضارة الفينيقية الكنعانية القديمة ومن مدنهم القديمة طرابلس وبنت جبيل وصور وبيروت وارواد وغيرها.

اللغة اليبوسية الكنعانية القديمة: وهي اللغة التي تكلم بها شعب من شعوب كنعان القديمة وهم من ذرية (يبوس بن كنعان) الذين سكنوا في القدس وأطلقوا عليها اسم (اوروسالم) ومن ملوكها (ملكي صادق) ويقصد بذلك ملك البر والعدل (وتجدر الإشارة إلى أن الكنعانيين شعب من الشعوب السامية القديمة، من أصل عربي، من الجبابرة العماليق وهم من نسل كنعان بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح).

اللغة العبرانية القديمة: وهي مزيج وخليط من اللغتين الآرامية والكنعانية القديمة، تكلم بها العبرانيون القدماء. وتجدر الإشارة إلى أن العبرانيين القدماء ينسبون إلى جد من الأجداد الساميين القدماء ورد ذكره لدى أهل الكتاب وهو (عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح) وهو واحد من أجداد النبي إبراهيم، وبالتالي يكون نسب النبي إبراهيم عليه السلام عند أهل الكتاب هو (إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروج بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح) بالإضافة إلى أنه جد عدد من الشعوب السامية القديمة من مثل العرب القحطانيين، والعدنانيين (الاسماعيليين)، وعرب قبائل مدين وديدان ويقشان، والموابيين، والعمونيين، والأدوميين، وهم من ذرية العيص بن اسحاق عليه السلام. وأسباط بني اسرائيل الاثنا عشر الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والتوراة على حد سواء، وهم من ذرية نبي الله يعقوب بن اسحاق عليه السلام.

وهناك رواية تاريخية أخرى لبعض المؤرخين العرب والمسلمين تؤكد على أن خليل الرحمن النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام من نسل بقايا الكلدانيين الآراميين الذين استوطنوا في أور الكلدانيين في بابل منذ قديم الزمان.

اللغات السامية الجنوبية

أما اللغات السامية الجنوبية فتنقسم إلى قسمين هما: الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية. وهي تلك اللغات أو اللهجات السامية القديمة التي تكلمت بها الشعوب العربية القديمة بطبقاتها الثلاث، التي اتفق عليها الإخباريون والمؤرخون العرب والمسلمون القدماء وهي كالتالي:

لهجة العرب البائدة: وهي اللهجات التي تكلمت بها مجموعة من القبائل العربية البائدة انقرضت منذ آلاف السنين في عصر ما قبل الإسلام وتضم: لهجة قبائل عاد وثمود والعماليق وجرهم الأولى وطسم وجديس واميم وعبيل وراحل وظفار وصحار ودبار ووبار وحضوراء وغيرهم.

لهجة العرب العاربة: وهي اللهجات التي تكلمت بها مجموعة من القبائل العربية عرفت اصطلاحاً لدى المؤرخين القدماء باسم (القحطانيون) مثل اللهجات المعينية والحضرمية والسبئية والاوزالية والحميرية وقد تفرعت من الحميرية عدة لهجات مثل المهرية والحرسوسية والشحرية والسقطرية والقتبانية والاوسانية. ولهجة العرب المستعربة، وهي اللهجات التي تكلم بها شعب من شعوب العرب عرف اصطلاحاً عند المؤرخين القدماء باسم (العدنانيون) وهم من ذرية النبي إسماعيل عليه السلام، ومن حضاراتهم القديمة حضارة الحضر والانباط وادوماتو (دومة الجندل) الواقعة في أقصى شمال الجزيرة العربية. وهناك لهجات سامية قديمة أخرى أيضاً انتشرت في منطقة شمال غرب الجزيرة العربية في منطقة العلا مثل لهجة ديدان ومدين (قوم النبي شعيب عليه السلام) واللهجة الإحسائية التي انتشرت في منطقة شرق الجزيرة العربية، وهي لهجة حضارة دلمون القديمة. وهناك أيضًا اللغة الجعزية وهي تعتبر فرع من فروع اللغات السامية الجنوبية الغربية وتصنف أيضا على أنها لغة افرواسيوية ■

* كاتب من الإمارات

الأخلاق في التراث الإنساني

فيبي صبري

في مقدمته لكتاب «مفهوم الأخلاق» يقول الفيلسوف الإنجليزي ولترستيس: «إن الفلسفة ضرورية للثقافة البشرية، ولها دور تؤديه في مساعدة تلك الثقافة للوصول إلى مستويات أسمى، فهي ليست مجرد أحجيات عقلية غامضة غرستها العقول الأكاديمية بطريقة عقيمة لا تمس الحياة». يتسق ذلك الاعتقاد مع انتمائه للمدرسة التجريبية، التي تطرح قيام المعرفة الإنسانية على التجربة العملية والخبرات الحسية. لهذا خاطب القارىء غير المتخصص في كثير من مؤلفاته، ودعا لأخذ التجربة الصوفية في الحسبان والاعتراف بها، وقبل كل شيء انشغل بتحليل الأزمات الفكرية التي يفرضها الواقع والتاريخ، محاولًا الوصول إلى مبدأ أخلاقي شامل وواضح يمكن الاتكاء عليه ويلائم العصر. ليفعل ذلك كان عليه أن يفرد مساحة وافية لدحض نظريتي الأخلاق المتناقضتين: الإطلاقية والنسبية.

تدَّعي الأولى وجود قانون أخلاقي واحد، ثابت، أشبه بوحدة بناء كوني لا تفاوت في تطبيقه، وهو موضوعي وليس من صنع الإنسان، حق مطلق ينطبق على كل العصور وكل الأجناس. ينهار هذا البناء بكامله إن ارتاب العقل في الأساس الميتافيزيقي الذي يقوم عليه، كما ينهار بيت مشيد من أوراق اللعب. لقد تخطى هذا العصر الإطلاقية شئنا أم أبينا، ولم يعد بوسعها الصمود أمام المذاهب المادية والمتشككة. أما النسبية فهي مجرد رد فعل سلبي ومحض رفض للإطلاقية؛ بإنكارها وجود أي دستور أخلاقي شامل يلائم جميع البشر؛ ما هو صائب في مكانٍ وزمانٍ ما قد يكون خاطئًا في مكانٍ وزمانٍ مختلفين. لا معيار ثابتا هنالك ليحول من دون الفوضى التامة المرعبة. يستند النسبويون في ذلك إلى أدلة أنثروبولجية لا تثبت أي شيء، نحن نعرف بالفعل أن الآراء الأخلاقية والعادات المقبولة تتبدل بتبدل البيئة والعصر.

هنا تأتي أهمية أن نعزل كل ما هو أخلاقي بدرجة أصيلة عن حزمة العادات والتقاليد، والنفور القائم على أسباب فسيولوجية ونفسية ذاتية عن الاستنكار الأخلاقي، حتى يمكننا تمييز مبدأ عام شامل يمكن أن نستنتج منه الأوامر والمحظورات، مثلما يمكن تطبيق قانون الجاذبية على أي موقع بالكون، مهما اختلفت تأثيراته حسب ظروف تطبيقه.

يبدأ ستيس تاليًا في عرض رؤيته الخاصة: «إن اعترفنا أن السلوك الإنساني تتحكم فيه القواعد التي تنشأ عن الطبيعة البشرية، التي لم تهبط علينا من السماء، ألن يكون من المحتمل للقواعد الأكثر أهمية أن تكون واحدة في كل زمان ومكان؟ أليس من الممكن وجود بعض من القواعد التي تتلاءم مع عناصر الحياة الإنسانية المشتركة وتنشأ داخل إطارها؟».

لإثبات فرضيته كان عليه أن يعرِّف السمات الأساسية للطبيعة البشرية، وأن يرفض استنتاجات علم النفس الفسيولوجي التي تقترح سيطرة الغاية الأنانية . بما يتضمنه ذلك من حب تملك وطموح وحب الذات . على السلوك البشري، فنحن نعرف أن البشر أنانيون من دون الحاجة إلى علم وظائف الأعضاء ليؤكد لنا ذلك، ولكن هذا لا ينفي أن البشر كثيرًا ما يكونون غير أنانيين

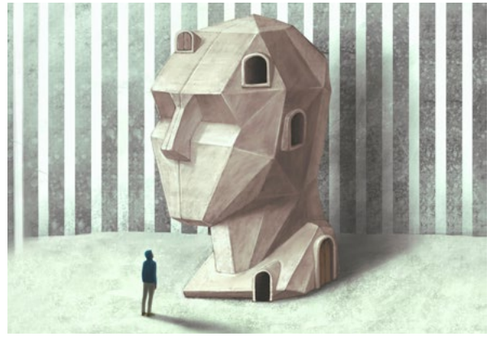

بدرجة منزهة، ولابد لذلك من سبب.

الخبرة الإنسانية المتراكمة لآلاف السنين تخبرنا أننا كائنات اجتماعية أولًا؛ من الضروري لطبيعتنا أن نعيش معًا وأن نتواصل مع نظرائنا، وهو مستوى أعلى من مجرد «غريزة التجمع» التي نتشارك فيها مع الحيوانات، فهي تشمل العاطفة، تبادل الآراء، وإظهار الطبيعة الودودة تجاه الأصدقاء. تظل العاطفة الإنسانية هي العزاء عندما يتلاشى كل شيء آخر، لهذا يظل العقاب الأقسى للفرد هو عزله عن مجتمعه في السجن. إن طبيعة الإنسان الاجتماعية هي أحد مصدري الالتزام الأخلاقي، فمن دون مجتمع لا يمكن للناس نيل السعادة، ولا يمكن أن يقوم مجتمع إلا على درجة من الإيثار قد تزيد أو تقل. من هنا ولدت فكرة الأخلاق حتى في الشعوب البدائية جدًا، ثم بدأت تنمو ليدرك الناس أن درجة عالية من الإيثار تنتج قدرًا أكبر من السعادة، هكذا نشأت مُثُل أخلاقية وقوانين أسمى فأسمى. قد يعترض قائل إن هذا يعني تأسيس الأخلاق على العاطفة فقط، لأن التواصل الاجتماعي يختص بمشاعرنا تجاه الآخرين، والعواطف متغيرة ولا يمكن أن تكون أساسًا لأخلاق شاملة. هذه، كما يرى، إحدى ضلالات كانط: أن العقل وحده هو الشامل فيما المشاعر ليست كذلك. لكن المشاعر شاملة تمامًا مثل العقل؛ فالخوف والغضب والحب تمثل جميعها جزءًا من تركيب الشخصيات كافة. قد تتفاوت طبعًا بين الأفراد المختلفين، لكن الأمر ذاته ينطبق على القدرات العقلية التي نولد بها. المصدر الثاني للالتزام الأخلاقي هو: بغض النظر عن الفائدة أو المنفعة المباشرة العائدة على الفرد من سعادة الآخرين، سعادة من حوله تجعله هو أكثر سعادة، فيما تصيبه تعاسة الآخرين بالتعاسة، مهما توفرت له مصادر الإشباع الأساسية لاحتياجاته جميعا. تلك الرغبة المنزهة في رؤية الآخرين سعداء هي لدى سائر البشر المعتدلين، وتمثل حقيقة ثابتة في الطبيعة الإنسانية، يستثنى من ذلك المسوخ والمرضى النفسيين والعقليين. لماذا يجب علي أن أكون أخلاقيًا؟ لأنني . أردت أم لم أرد . لن أنال السعادة الكاملة إلا عن طريق الإيثار ورؤية المحيطين بي سعداء. يعتبر الإيثار المنزه عن كل فائدة شخصية هو القيمة الأسمى على الإطلاق، لذلك نعظم تلقائيًا المضحين بذواتهم لأجل الآخرين عبر التاريخ، مهما أبدينا في بعض الأحيان إنكارًا لجدوى تضحياتهم، أو حتى سخريةً منهم.

تقوم الأخلاق إذن على إنتاج أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من البشر، وعلى الإيثار والعدل. لكن ماهي السعادة حقًا؟ يرى المفهوم النفعي أن السعادة هي مجموع المتع، لكن كلمة «متعة» كما تُقصد في التحليل النفعي غير ملائمة، قد تبدو مناسبة لأنواع الإشباع الدنيا، كالإشباع الجسدي مثل الطعام والجنس، لكنها تبدو أقل ملاءمة كلما ارتفعنا في نطاق ترتيب القيم وتحدثنا عن المتع العقلية والفنية، لذا سنستبدل بها: الإشباع. الإشباعات المادية تتدرج من غياب الألم الجسدي والعقلي، وحيازة ما يكفي من الطعام إلى ممارسة الهوايات والاستمتاع بأوقات الفراغ، والإشباعات العقلية كالثقافة، والفن، والدين، والصداقة. ما يفضي بالناس إلى خيبة الأمل والتشاؤم هو الوهم الكبير الذي يغويهم كي يتعقبوا أطياف المتعة بدلًا من مصادر السعادة الحقيقية. إن معظم المبادئ والوصايا لمعلمي الأخلاق العظام عبر التاريخ، تقضي بأن الإشباعات الجسدية مهما كانت حدتها أو حجمها تضيف قدرًا ضئيلًا جدًا من السعادة، ولا يتناسب حجم سعادتنا طرديًا مع حجم إشباعاتنا أو مقدار اللذة التي نحققها. أما الإشباعات الأقل حدة والأعلى قيمة . كالصداقة والفلسفة . تحقق قدرًا أكبر من السعادة. ولكن ما الذي يجعل إشباعات معينة تصنف كنوعية أسمى في حد ذاتها من الأخرى؟ عدا أن الإفراط في المتع الجسدية يؤدي غالبًا للألم، والتطرف في إنكارها إلى حد النسك والزهد يقود إلى تمرد الطبيعة البشرية على هذا العنف، فإن ما يختص بالعقل والروح في الديانات العظيمة والأنساق الأخلاقية يُعتقد أنه أكثر نبلًا مما يختص بالجسد.

إن هذا اعتقاد بشري شامل تقريبًا بين كل الشعوب التي تستطيع ادعاء أي شيء من الحضارة.

«كان لابد لهذه الحقيقة أن تتكشف عن طريق التجربة على مدار أجيال طويلة بواسطة عباقرة العالم الأخلاقيين. لا نعرف لماذا يتوجب على الحقائق أن تبقى كما هي، لذلك فالعقل أنبل من الجسد، ليس لأنه مقدس أو لا يفنى، وليس لأنه أثيري أو غير ثابت، ولكن ببساطة لأن حساسيته القوية أمكنها أن تنتج للناس قدرًا أكبر من السعادة مما ينتجه الجسد. لماذا يجب أن يكون الأمر هكذا؟ لا يستطيع أحد أن يخبرنا».

الكتاب: مفهوم الأخلاق، ولتر ستيس، ترجمة: نبيل باسيليوس، القاهرة، دار آفاق، 2020 ■

* كاتبة مصرية مقيمة في الإمارات

«يوم كان جدي بطلاً» لـ «باولوس هوخغاتير»

أصداء الذاكرة والبحث عن هوية تحت قصف العالم

د. حمزة قناوي

تكتسبُ روايةُ «يومَ كان جَدي بطلاً» لـ (باولوس هوخغاتير) جماليتَها عبرَ تكونها من عناصر متنوعة، ومتناقضة أحياناً؛ فبينما يدور موضوعها عن حرب من أشرس الحروب، والتي تركت ضحايا تُقدّر بالستين مليوناً، وهي الحرب العالمية الثانية؛ إلا أن لغتها سلسة وبسيطة، تحمل روحاً بريئةً في الحَكي والنظر للأشياء، تكاد تكون لغة الوصف متحدةً مع جمال وطبيعة البيئة حول الشخصيات التي اختارت الرواية أن تقص سيَرَهم، ومع ذلك؛ فإنها تمتلئ بالألم.

ذلك الألم الذي يضغط على وعي المتلقي ويجعله ينحاز مسبقاً لـ(نيللي) أو (كورنيليا دنهارت) تلك الفتاة المفقودة نتيجة القصف الذي وقع في بلدية (سانت فالنتين)، فيجعله متلهفاً لمعرفة مصيرها، حتى إن عامل الجذب والتشويق الرئيس في الرواية، مبنيٌّ على تحفيز القارئ، بحيث يتتبع مسيرة (نيللي)، ومن ثم عبر هذه الشخصية وظروفها المأساوية وروحها الطفولية المعلقة بغدٍ تحلمُ أن تلتحق فيه بالمدرسة، يتم خلق حافز تشويقي يدفع القارئ لاستمرار القراءة، ويتحقق لديه عامل الجذب للاستمرار في قراءة الرواية[1] وتمتاز الرواية أيضاً بالشكل البسيط من حيثُ بنيتها وتركيبها، فهي تبدأ بداية سلسة، من نقطة محددة، بتاريخ محدد (14 مارس 1945)، أي قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية بنحو ستة أشهر، والحدث الجوهري الذي تبدأ منه هو تلك الفتاة الصغيرة التي تستكشف العالم والواقع من حولها، وتعرفنا بنفسها؛ لنكتشف أن معلوماتها عن نفسها، هي المعلومات التي يخبرونها بها فحسب. «يقولون إنني في الثالثة عشرة من عمري، ثمة وثيقة - في الواقع قطعة ورق - مختومة بذلك، فيها اسمي وتاريخ ميلادي. إلا أنني لم أرَ هذه الوريقة قط، شيء عادي، فلست أكترث بأعياد الميلاد أصلاً. يوم ميلادي لا بأس به. أما عيد ميلادي، فلا ألقي له بالاً البتة. لا أحد هنا يحتفل بأعياد ميلاد.»[2] يصبح لدينا هنا محوران رئيسان تدور حولهما الأحداث، الأول هو تلك الفتاةُ الصغيرة ذات الثلاثة عشر عاماً، والثاني، هو تفاصيل

وأحداث الحرب على تلك البلدة الصغيرة، وعبر هذا الثنائي يمكننا استقراء «وجهة النظر»[3] التي يبني المؤلف أحداثه وفقاً لها، إنه يتناول أثر الحرب على الطفولة، ويلات الأطفال الألمان من هذه الحرب الشرسة، التي لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن نحمّلهم أيَ مسؤولية عما يحدث لهم من وقائع، نظراً لكونهم في النهاية أطفالاً، لا أصحاب قرار في الأزمات التي تحدث، ومحاولة (نيللي) أو (كورنيليا) في مواجهة هذا الواقع البائس، هي اللجوء للكتابة، كتابة الخواطر تحديداً، والأمل في تحسن الأوضاع في المستقبل، في الالتحاق يوما ماً بالمدرسة.

نلاحظ هنا أن مؤلف الرواية (باولوس هوخغاتير) يستغلُّ تخصصه في علم نفس الأطفال، ليظهر لنا السمات النفسية للشخصيات التي يتناولها، دون الخوض في تفاصيل كثيرة، فـ(كورنيليا) تبدو وكأنها في حالة صدمة، يتضحُ لنَا ذلك من فشلها في محاولة تذكر واقعها الذي كانت تعيشه قبل أن يتمَّ قصفُ منزلها، فضلاً عن أن بطلة الرواية الرئيسة طفلة في الثالثة عشرة، وهي سنٌ لها متطلباتها أيضاً ولها ظروفها، وفجأة تجد هذه الفتاة نفسها في رعاية أسرة غير أسرتها التي نشأت فيها، نتيجة القصف الذي شرّدَها، والذي قضى على أسرتها بالكامل، فأصبحت يتيمة الأبوين، إذ لم ينجُ إلا هي فقط، وبناء على أمر الدولة أُسنِدَ للأسرةِ التي وجدت هذه الفتاة، أسرة (يعقوب) و(باربرا لايتنز) ليقوما بكفالة هذه الطفلة حتى إشعارٍ آخر.

بهذه الكلماتِ البَسيطة، والتي تُدخِلُ القارئَ أيضاً في حالةِ صدمةٍ ظاهرية دون أن يستشعرَ في البداية ثقل الكلمات، والمأساة التي تعانيها (نيللي)، من دونَ إمكانيةِ التحققِ من وقائعَ كثيرة، ولعل هذه إحدى سمات الفترات الصعبة والحرجة، وكأن المؤلفَ يضعُ القارئَ في سياقٍ مماثل للسياق الذي ينبغي أن تستشعره بطلة قصته، فالوقائع والمتغيرات كثيرة، ربما أكبرُ من قُدرةِ العقلِ على التَصوُّر، لقد ذهب منزلها، وذهب والداها، وهي الآن تعيشُ مع أُناسٍ مختلفينَ عنها، لا تربطهم بها أية صلة قرابة، مع ذلك يبدو مظهرهم كما لو كانوا طيبين، حتى أنها تعتبر (لورنز) جدّها، وهو ليس جدها فعلاً، وفي الوقت الذي يتخذ فيه قراراً بطولياً بإطلاقِ النارِ على الضابط الألماني الذي بدأ يمارس الاستبداد على أهالي تلك القرية البسيطة، تعتبره (نيللي) بطلها وقدوتها، حتى إن الرواية تتخذ اسمها من هذا البطل، الذي في الحقيقة لا توجد صلةٌ

قرابةٍ بينه وبين الراوية الرئيسة، ومع ذلك تعتبرهُ - منذ عتبة العنونة[4] - جدَّها، وتؤكدُ ذلكَ بمنحهِ البطولةَ في العتبة الأولى للنص الروائي. الأمر إذن يشبه السهل الممتنع، فأسلوب السرد سلس، والكلمات منسابة، والترجمة دقيقة والتعبير عن الوقائع مُحكَم، لكنَّ الأحداثَ في خلفية الكلمات قاسية مؤلمة، تستند أيضاً على الخلفية التاريخية التي نعرفها مسبقاً عن تلك الفترة وعن تلك الوقائع. ونشعر أن كمية المعطيات والأحداث التي في خلفية النص، أو التي تدور على مسرح أحداث النص، والمستندة إلى كثيرٍ من الصورِ المُخزَّنةِ في ذاكرة المتلقي وربما في ذكرياته أيضا عن تلك الحرب، أكبروأعمق وأقسى وأكثرفداحةً بكثيرٍ عما يجري داخل النص من أحداث.

أهمية هذه الرواية أنها تقدم لنا صوتاً ظل لفترة طويلة غائبا عن الظهور بالنسبة للقراء في العالم. فيُمكن القول إن صوت المواطن الألماني المغلوب على أمره وواقعه في الحرب العالمية الثانية هو صوتٌ نادرُ الظهورِ في الأدب، وخاصة بهذا الشكل السلس، ومن هذه الزاوية المُتعلقة بالأطفال الذين أضرَّت الحربُ بهم ضرراً بالغاً، لقد اعتدنا رؤية ألمانيا النازية بوصفها مدانةً، سواء حكومة (هتلر) أو الجيش الألماني، أو حتى المواطنين الألمان، لكنَّ الرواية هنا تلقي الضوء على صوتٍ آخرغيرمسموع، هل كان الألمان جميعاً موافقين على هذه الحرب؟ وهل كانوا ينتظرون اللحظة التي يقهرون فيها العالم؟ أم كان ذلك حلماً خاصاً بـ«هتلر» ومن حوله، وهناك الملايين ممن كان شغلهم الشاغل هو تمضية اللحظة التي يعيشونها موفرين فقط قوت يومهم؟ نرى هنا جانباً آخرَ من الجوانبِ المخفيةِ، والتي لم تخطر ببال الكثيرين من محللي هذه الحرب، ماذا كان حال الأطفال الذين يفقدون آباءهم؟ وفي وقت لا تتوافر فيه البنية التكنولوجية الحالية والعالم الرقمي بإحكام معلوماته، كيف يُمثِّل وجود ورقة إثبات هوية أهميةً بالغةً تتحكمُ في مَصيرِ مُستَقبل الإنسان، إن (نيللي) أو (كورنيليا) تبدو نقطةَ القُوةِ الوحيدة بالنسبة لها في هذه الرواية أنها تمتلكُ ورقةَ إثبات هوية، على عكس آخرين شاءت الأقدارُ أن يُشرَّدُوا مثلها، لا يملكونَ هذه الأوراق، إن جانباً مخفياً من الحياة عن معاناة الألمان البسطاء من هذه الحرب، هي ما تتناولهُ روايةُ «يومَ كانَ جدي بطلاً».

(كورنيليا) إذن في حالة صدمة، ذكريات انهيار منزلها ممحوةٌ من عقلها، لا تُحدّثنا كثيراً عنها، ولا نعرف طبيعة الحياة التي كانت تعيشها، تبدو لنا فقط إشاراتٌ على أنها كانت متفوقة دراسياً، ومهتمة بالجغرافيا، ولديها مَلكَة الكتابة، وتدوّن ملاحظاتها، لكن ماذا كان يعمل والدها؟ هل كان مثلاً ضابطاً في الجيش الألماني؟ ماذا كانت تعمل أمها؟ هل لها أخوة آخرون؟ كل هذه الأسئلة لا توجد إجابة عنها، ولا حتى في ذاكرة (كورنيليا) التي يبدو أنها مُحيت بفعلِ الصدمة، هي تتذكرُ فقط بعض البلدان التي ربما زارتها من قبل، وتعيشُ حياةً جديدةً، حياةً بدون طموح، بدون أمل في مستقبل، بدون أفق، بلا أسرة، بلا أقارب، فقط مجموعة الفلاحين البسطاء الذين يعيشون من حولها هي ما تراهم وتكتب عنهم وتتأملهم (كورنيليا). لا شكَّ أيضاً أن الروايةَ وهي تنقلُ لنا ذلك الوجعَ الألمانيَّ الخالِص، لا تتحدث عن مقدار الدمار الواقع على الآخرين، صحيح أن هناكَ إشارة للطيارِ الأمريكي الذي سقطت طائرته ووقعَ في الأَسر، والوحشية في التعامل معه، والروسيّ الذي يبدو أنه جاسوس، خاصةً أنه هاربٌ من الأسر، لكنَّ الأمرَ يتجاهلُ مقدارَ ما سبَّبهُ الألمانُ من قلقٍ للعالمِ أجمع من حوله، خصوصاً بريطانيا وفرنسا، لكن الكاتب مع ذلك يحاول أن يجعلنا نحاول رؤية العالم من منظور طفلةٍ تعايش كل هذا. لذا لا بأس من ظهورِ غيرةٍ أنثوية بين (كورنيليا) و(أنتونيا)، وأن تنشأ بينهما علاقة ما بين الشد والجذب، وتعاطفٌ أنثويٌّ أيضا مع (آنيماري) التي يبدو من السياقِ أنها مثلها يتيمة نتيجة قصف ما، أو أن والديها فُقِدَا في ظروفٍ ما، فهي تشتركُ معها في ظاهرةٍ يبدو أنها فرضت نفسها على ألمانيا في تلك الفترة، خاصة مع ظهور جيلٍ من الأبناء الذين أصبحوا بدون آباء، أعني ظاهرة التبني،

والتي تقدم الرواية وجهةَ نظرٍ بشأنها في تلك الحقبة من التاريخ، فتقول: «وفي آخر الأمر تتوجه إليها أغنيس بسؤال: آنيماري، أتعرفين ما التبني؟ تجيبها على الفور: أجل، أعرفه؛ أن تعتني أسرة ما بأطفال حرموا في حياتهم من والديهم. ترمقهُا أغنيس قائلة، وكأنما تحادثُ نفسها: من حيثُ المبدأ هذا كلامٌ صحيح، لكن أحياناً يكونُ الأمرُ على العكس تماماً.»[5]

نجد هنا نوعاً آخر من المعاناة قد لا ينتبه له كثيرون، فالطفلُ المُتبنَّى يصبحُ تحتَ رحمةِ الأسرة التي تقوم بالتبني، وهذه الأسرة قد تكون طيبةً أو شريرةً، جيدةً أو سيئةً، لكن في كل الأحوال تبقى لهذه الأسرة التي تبنت طفلاً غيرَها صلاحياتٌ كبيرة عليه، أبسطُها قدرتها على تغيير اسمه؛ فعندما لم يعجبهم اسم (كورنيليا) استبدلوه باسمم (نيللي) والوثيقة الخاصة بها، بقيت حبيسةَ أدراج الأسرة التي تبنتها، ولا تعرف (نيللي) أو (كورونيليا) إن كانت ستذهب للمدرسة أم لا، رغم أنه فيما يبدولنا من تصرفات الأسرة التي تبنتها أنها تعاملها معاملة طيبة، وتوفر لها الطعام والمأوى، لكنها في الوقت ذاته تتمتع بسلطة كبيرة على مجريات أمور حياتها، وعلى تحديد الاختيارات المتعلقة بمصيرها. يعتمد المؤلف في تقسيماته للرواية على الزمن، فيعطي للزمن عناوين الفصول الرئيسة، تتخللها بعض العناوين المتعلقة بالقصص التي تدونها (نيللي) في مذكراتها، قصة الطفل الذي كاد أن يغرق، وقصة الضابط الأمريكي، وقصة الروسي الهارب من سجون ألمانيا، ثم القصة التي في الختام، قصة البطولة التي تجسد لحظة فارقة يقوم فيها الجد بقتل الضابط الألماني بعدما استنزف موارد القرية الصغيرة، ولم يراع مشاعرها الدينية ومعتقداتها، بخلاف ذلك ننتقل في الزمن ما بين مارس وأبريل 1945، «والتواريخ ذاتها دالة على اقتراب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وحدوث تغييرات جذرية في ألمانيا وانقسامها لشرقية وغربية»، ومع ذلك فنحنُ طوال الوقت نكون بين خيارين سرديين: أن نرى من منظور تلك الفتاة التي تأخذ دور الراوية على معظم امتداد العمل ، أو نقرأ ما يفترض أنها كتبته ودونته، عن الوقائع التي شاهدتها. إذن نحنُ أمامَ نَصٍ روائيٍ له ملامِحُهُ الخاصَّةُ، سواءٌ في الفترة الزمنية التي اختار المؤلف أن يقصَّ عنهَا وينقل بعضَ المخبوءِ في طيَّاتِها إلى القارئ، ليضعه في خانة التعاطف مع تلك الفتاة التي فقدت أهلها، والتي تعاني حالةَ صدَمة، وكذلك تعاطف أيضاً مع أولئك الفلاحين، الذين لا يعرفون ما الذي ستنتهي إليه الحرب من ناحية، ويرحبون بمن جاء إليهم من مواطنين نازحين في مدينةٍ مجاورةٍ دمَّرتهَا قنابلُ الحُلفاءِ، من ناحية أخرى، ثم يقعون رهينة تنفيذ رغبات الضابط القادم من فرقة الكلاب السلوقية، أو ما يمتاز به النص من وصفٍ رائعٍ للطبيعة، وكأننا نُعاينُ ذلك الجمال، أونشاهد الطبيعة بعين تلك الفتاة رقيقة المشاعر التي تسمتع بما حولها من جمال الطبيعة، أو في تقسيمِها الواضِح والسلِس وهو ما أسهَمَ في جعلِ القَارئ يَشعرُ بأنه في قلب الأحداث مباشرةً، معايشاً مشاعرَ بريئةً تبحث عن هويةٍ وعن خلاصٍ ومعنى للوجود تحت قصفٍ متواصلٍ وضحايا ومعارك أعادت تشكيل العالم ■

* شاعر مصري مقيم في الإمارات

المراجع:

1 - راجع حول الحوافز في الرواية: د.يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط3، 2010م، ص 78 - 79.

2 - باولوس هوخغاترير:يوم كان جدي بطلا، ترجمة: د.الفارس علي، مراجعة: مصطفى سليمان، سلسلة «كلمة»، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، ص17.

3 - واين سي بوث: المسافة ووجهة النظر محاولة تصنيف، ضمن كتاب: نظرية السرد: من وجهة النظر إلى التبئير، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمية والجامعي، ط1، 1989، الدار البيضاء، ص 41 - 42.

4 - راجع: عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996م، ص7.

5 - باولوس هوخغاترير: يوم كان جدي بطلا، ص23.

سيميائية الأهواء

قراءة في «ماء» مريم جمعة فرج

لولوة المنصوري

ماذا عن حسّ الأهواء وسيميائه كمُحرّض كتابي عند القاصة الراحلة مريم جمعة جمعة فرج؟ ماذا عنه كمحرك خفي يفرض نفسه على التخيّر البدائي العميق للتعبير عن الروح والكائنات والطرائق المهمشة، وفق ميل لا شعوري نحو موضوعات وجودية كونية أولى؟

وأؤكد أن فعل الأهواء في الكاتب، فعل لا شعوري، لا يتقصد أحد منهما الآخر، بل هي نقطة التقاء طبيعية بين الكائن ونفسه، تومض عند لحظة الانتشاء بفكرة التخلّص من ثقل الحياة على الروح، والبحث بين طيات مجهولة داخل الشعور، رغبةً في الالتماس الحُر نحو الحياة. بعد أن اخترتُ كقارئة أن أرصد انطباعيًا سيميائية الأهواء عند مريم جمعة فرج من خلال مجموعتها القصصية (ماء)، الصادرة عن داروروق، 2014م، تساءلتُ إن كانت هناك فكرة من هذا القبيل تمضي في هذا المجرى تحديدًا، في الدراسات والنظريات النقدية المعاصرة؟ وبعد البحث، كانت الإجابة: نعم.. هناك نظرية في اللسانيات تُسمى بـ (سيميائيات الأهواء)، وصاحباها العالم الروسي: غريماس، يشاركه: جاك فونتاني صاحب كتاب (سيمياء المرئي). هذان اللغويان اشتركا في تأليف كاتب عنوانه: (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس). وقام بترجمته أستاذ السيمياء: سعيد بنكراد.

تقول منهجيات تحليل الخطاب باختصار شديد: (إن الأهواء منهج مُستحدَث في السيمياء، هي دراسة من صميم النفس الإنسانية وما تحمله من ميول ورؤى وجدانية مخصوصة وأبعاد انفعالية، عُرفت في التصور الباريسي بسيميائيات الأهواء.

وقائمة على تفكيك الثيمات الاستيهامية في النصوص، على أنها الجزء الأعمق في المشاعر والعواطف، والتي يتم من خلالها دراسة حالات الأشياء إلى حالات النفس). إذن، ها نحن في حالة توازي واطمئنان ما بين كاتب حيّ يقرأ لكاتب راحل ويدخل في حالة تخاطرية، ومن دون تقصّد أتلمّسُ فكرة الأهواء دون إدراك بوجودها كنظرية في السيمياء وبين محركات النقد.

النبش في الخطاب القصصي لمريم جمعة هو فعل رغبة قرائية بسيطة مرجعها كوني في المقام الأول قارئة متواضعة وحديثة التجربة في الكتابة القصصية، لذلك فإني أحب التوازي والاقتراب من عوالم الراحلة مريم جمعة عبر هذه البوابة العفوية البسيطة والأكثر صدقًا وبديهية، بوابة (قراءة الكاتبة للكاتبة).

في نصوص الراحلة مريم، كان لصدى الأهواء أثر متألقَ الشعور، الشعور بالوحدة والانتباه لحدوسها الأولى نحو حكاية الجدّات اللاتي بدورهن عانين الوحدة وحفظن الحكايات ولُذن بها خلال فترة زمنية مهمة في تاريخ الإمارات، حين كان الرجل على الأغلب غائبًا في أعماق البحر والأصقاع البعيدة بحثًا عن محفزات البقاء والعيش بكرامة. لكن فلسفة الأهواء عند مريم جمعة فرج تنزع بدهيًا نحو نسيج ثلاثي واقع ضمن (وحدة حكائية استهوائية)، برزت من خلاله آثار الطفولة والنواهي الاجتماعية والقيم اللاشعورية القائمة في الأساس على المعرفة والخبرة التجريبية في الحياة. أجد هذا النسيج الأهوائي موزعًا بين ثلاث وحدات معجمية: الزمن في الفيروز، الماء في الماء، والأمومة الخفيّة المستترة ما بينهما ومن خلالهما.

الزمن: يتجلى عبر الباكورة الأولى (فيروز) حيث طبقة الزمن أكثر عمقًا من المجموعة الثانية (ماء)، والزمن على الأغلب عائم ومنفتح بلا حدود، زمن ربما ينتمي للفائض منه، أو المتجمّد عنه.

مريم جمعة فرج

الوحدة المعجمية للزمن

ثمة «تقنيات زمنية» و«عبارات زمنية» و«مفردات زمنية» تغذي الوحدة المعجمية للزمن.

صفة (الجنون): تبدأ مريم بقصة (فيروز) الرجل الذي يبدو كما وصفته: (مضحكًا، مسليًا في هذا الزمان، يبدو فيروز مجنونًا). ص13، دار ورق. وكما نعلم أن المجنون يعيش بيننا وفق ذاكرته اللازمنية، الزمن في ذاكرة المجنون أو الممسوس بالعشق أظنها ذاكرة حالم في منام لا ينتهي، رموز وشِعْر ولغة كونية منسية، وربما ذاكرة طفل يحاول الكلام والتمييز في الرؤيا، لكن الطفل ينمو ويتطور بينما المجنون باقٍ للأبد في الرّمز. الجنون هو البرزخ بين حياتين، والمجنون ميت في أعلى مراتب اليقظة، حيّ في أعلى مراتب الموت.

وهذا ما نجده في شخصية فيروز العاشق، الباحث في البحر عن ياسمينة. فيروز هو أيضًا (عامل الثلج)، يعيش داخل خُلوته الثلجية، يقطع الثلج ويبيعه في الأسواق، وهنا مدلول زمنيّ مضاف، فالزمن الذي يعيشه فيروز (زمن ثلجيٌ) يذوب ببطء رتيب، والهاجس الموضوعي هنا: (البطء في التحولات) وسأم الترصّد والمراقبة لها.

يقول فيروز: «وكلما توغلتَ في الوجوه، أيقنتَ أنها رغم تغيّر الماء وتلاحق أزمنتها عبر فترات متباعدة، فإنها لم تتغير كليًا» - قصة فيروز، مجموعة «ماء» دار وراق، ص17. الوصف والحوار: في المعمار النصيّ عند مريم جمعة، يبرز استثمارها لما يعزز القيمة الزمنية ألا وهو (البطء، أو السرعة). فهي تارة تُبطء الزمن عبر الوصف الدقيق والحوار، وتارة تُسرّعه عبر مقاطع أشبه بعين الكاميرا أو الفلاشات السينمائية المتسارعة لمشهد توصيفيّ واحد. كما أنها تلجأ لـ«السرد الاستباقي» في بعض نصوصها القصصية.

فلسفة التعاقبية/ السرد الدائري المغلق: ففي قصة (دم) نجدّ

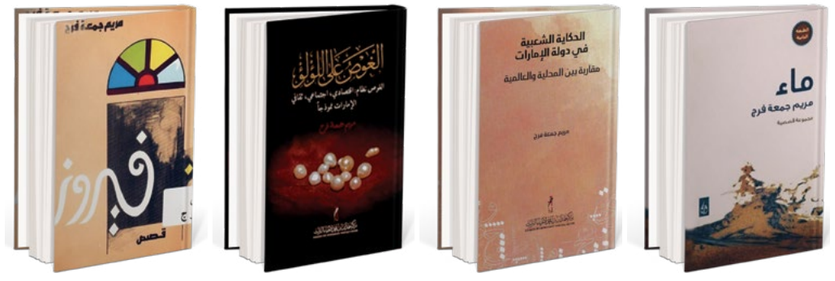

أن نهاية القصة هي في حقيقتها عود بدئيّ إلى المفتتح.
الأسلوب الحكائي الشعري: يحرمنا على الأغلب من تضاريس الزمان وجغرافيا المكان، بما يمنح من بعد رمزي حُلميّ حُر شاعريّ للأشياء والأحداث والشخصيات، فتبدو أقرب للضباب والإيهام أكثر من كونها كائنات واقعية تعيش وفق أبعاد اجتماعية بسيطة ومهمّشة. طرح الأفكار الأسطورية الزمنية: حين ربطت في قصة فيروز المرأة بالزمن، والرجل بمكان الزمن. تقول في قصة فيروز: «إنني أنا زمانك... أنت كنت عَدَمًا، أنت كنت لا شيء، لو كنتَ أنت المكان». وهنا قلب للمفهوم الرمزي المتعارف عليه، فالمرأة غالبًا في الميثيولوجيا القديمة ترمز للاستقرار المكانيّ، بينما الرجل يرمز للتحول والجِراك والتبديل الدائم، يرمز للزمان.
المكان العائم: عدم الانتماء للمكان يعني بشكل آخر عدم وجود زمان يُنتمى إليه ويؤتمن على الروح من خلاله، تقول مريم على لسان أحد شخصياتها: «أشعر بأنني لا أنتمي لأي مكان، ويأخذني الرّصيف إلى نهايته من دون أن أشعر برغبة في العبور».
ومن المفردات ذات المدلول الزمني الأخرى: (الماء) رمز للحياة غير المستقرة، التجدد والتحوّل. و(العَبّار والعَبّرَة) بها طاقة عبور زمني ومكاني. و(القمقم) توحي بالثبات والركود الزمني، وأن الانبثاق والخروج مشروع روحي قادم مع الزمن.
وهناك عبارات ذات مدلول زمني متحرّك نحو اللانهاية منها قولها: (استرسلتْ اللثغات الباردة): زمن الاسترسال يبدو لا نهائيًا وإن كانت البرودة كعامل ضدّي يضفي نوعًا من الرتابة والبطء ويثقل حركة الاسترسال. ومن ذلك (إيقاع الغناء) و(إيقاع العويل) و(إيقاع الريح) و(الأحلام المتطايرة) و(الموت) و(الخيل قادمة) و(تجمّد رأسك) ... كلها مفردات وعبارات ذات جوهر زمني متحوّل ومتنقل أو متجمد منذ أقدم العصور الكهفية.
(الزمن الأموميّ): يبرز كرمز للبقاء والأمان. تقول مريم في إحدى

منطقة البستكية التاريخية في دبي

قصصها: (تدقُ الساعة الكبيرة فوق رأسه مباشرة، فينهض بآلية ويتفقّد أظافره الطويلة، وشعره النابت، ليذكّره بأهل الكهف، وبأن عمره الطويل قد تحجّر على هيئة الساعة الرابعة مساءً). القمقم، داروق، ص85. وهنا تبرز دلالة الزمن الأمومي البدئي، زمن الكهوف، والعزلة والاستقرار والحياة الحجرية التي كان فيها الهاجس الأول للإنسان هو البقاء، البقاء الأموميّ الآمن في جوف كهف أو قُمقم. وهكذا هي الأهواء المنتجة لسيماء لغوية موضوعيّة ترابط بين حقليّ الأمومة والزمن.
ولكن ماذا لو تأملنا الأهواء اللطيفة الأخرى في الوجود والكتابة، تأملنا أهواء (الماء) الذي يحتوينا ويحملنا بدوره إلى المدلول الأموميّ الخفيّ في نصّ مريم جمعة فرج؟

رموز أمومية

النخلة: في قصة أعداء في بيت واحد، تقول «قالت جدتي: عندما تموت النخلة نعرف كل شيء»، وإذا ماتت النخلة ماذا نفعل؟ نمكثُ في البيت أو نهرب.« - مجموعة ماء، داروق، ص99.
النخلة هنا دلالة على الأم، فكثيرًا ما توصف الأم بأنها نخلة البيت، والأم المُحبّة لا تموت. وقد تكون النخلة دلالة على البلدة أيضًا، البلدة التي هي بدورها رمز عظيم للأمان والاستقرار والحماية والحضن الذي يذود به الأبناء.

عبر أهواء أمومة الماء

كثيرة هي الأساطير التي حُكيت حول الماء وأوحت بالديمومة والاستقرار والتجدد ووحدة الوجود، بدءً بأساطير التكوين والآلهة في الحضارات السومرية، أسطورة الخلق البابلي، إلهة الكون الأولى (نموّ) التي تشكّلت في المياه العظيمة، وانتهاءً بالحكايات والخرافات التي رُويت وتُروى على لسان الجدات عن الطموة والفيضان والطوفان القديم. ولكن نتساءل ونحن نقرأ لمريم، لماذا جاءت نصوصها مقترنة بشكل ديموميّ بالماء؟ وكأنه نداء الأعماق المنبعث من أرض مجهولة بداخلها، نداء الأهواء، الماء في نصوصها هو بطل العُمق المهيأ لاستقبال الهبات القصصية والحث على التطواف بين عوالم الحدس والحُلم المائي أو لنقل الوقوع تحت أهواء أمومة الماء. قد يعرف أكثرنا من السيرة الشخصية للراحلة مريم جمعة أنها لم تتزوج لتنجب وتأخذ حظها من الأمومة، لكن ذلك لا يعني انتفاء وجود حاسة أمومية قوية بداخلها. الأمومة هبة عامة في النساء، سواء ولدن أم لم يلدن، إنهن مخولات لتعميم أمومتهن على كل شيء.
إن الأمومةَ عند مريم جمعة أشبه بالحاجة إلى تدفق الحسّ

الفطري، الحاجة العميقة إلى الرؤية والإزهار ومنح الرعاية والحماية، (فأغلبنا يعلم أن مريم جمعة فرج أشرفت . بعد رحيل والدها. على تربية أشقائها وشقيقاتها الذين يبلغ عددهم 11 فردًا. تقول في إحدى حواراتها: «إن أخوتي الأصغر، خاصة الذين أشرفتُ على تربيتهم إلى جانب والدتي، يعتبرونني أُمًا ولستُ أُختًا لهم». أمومتها مع والدتها: تتحول مريم إلى أم لوالدتها التي أرهقتها السنون والمرض، مرافقتها لوالدتها في سنوات المرض حتى لحظة الموت في المستشفى، ولا زلتُ أتذكر قولها في ملتقى السرد

مريم جمعة فرج كاتبة إماراتية، تعد من رائدات فن القصة القصيرة في الإمارات، ومِن أوائل مَن تخصصن بفن الترجمة. تخرجت في جامعة بغداد ، تخصص اللغة الإنجليزية وأكملت تخصصها بالترجمة الإبداعية في جامعة لندن . رحلت عن عالمنا سنة 2019 مخلفة عددًا من الكتابات الإبداعية والترجمات والدراسات منها: الحكاية الشعبية في دولة الإمارات - مقاربة بين المحلية والعالمية، و«فيروز» مجموعة قصصية 1984، و«النشيد» مجموعة قصصية مشتركة مع أمينة عبد الله أبو شهاب، وسلمى مطر سيف 1987، و«ماء» مجموعة قصصية 1994، وكتاب ضم ترجماتها وتعليقاتها على تجارب الإبداع النسائي العالمي بعنوان «امرأة استثنائية» سنة 2003.

في الكويت: «لقد ماتت أمي ومتُّ معها». وكأنها تقول: لم تمت أمي، بل أنا من مات فيها. وهذا يؤكد النسيج الأمومي المتبادل بينهما.
وقد تندّت تلك الهبة الشعورية وطفحت على صفحات القصص بكل جاذبية وحميمية على شكل تكرار معجمٍ لغويٍ وتصويريٍ ثريٍ بالماء، ومن نماذج ذلك: في قصة فيروز«نزلا بهدوء، وكان القاع باردًا، ومنه التمعتْ عيناكَ بالفرح كشيئين يفتشان عن شيء مفقود في الماء» - ماء، داروق، ص 14.
وفي قصة ماء: «ضربوا مصفاة النّفط.. ضربنا مِصفاة الماء.. وضعنا أيدينا على أفواهنا.. ماء، رددوا كالصدى: ماء.. ماء.» - ماء، دار ورق، ص 105. وفي قصة (أعداء في بيت واحد) يتجلى ماء الحكاية ومدّه الطبيعي في نموذج الحفيدة كامتداد لنموذج الأم التي هي الأخرى امتداد لنموذج الجدّة، تقول الحفيدة: «لم نغادر البيت منذ أيام، ولا أستطيع عدّ الأشياء التي بها ماء.. الماءُ كثيرٌ جدًا» - ماء، داروق، ص99. هكذا تَوَلّد النسيج الثلاثي في قصص الراحلة مريم: (زمن/ ماء/ أمومة) والذي هو في الأصل نطفة واحدة ومتماثلة في كل أجزائها، وذات جِبلّة واحدة، ألا وهي (الأهواء). ذلك الجزء الأصيل في كل الأشياء، حيث تتجلى حاسة الأهواء في الأدب كأعمق ركن في النوازع العقلانية الروحية، الخلاقة للابتكار والكشف. في حقيقتها الإبدعية هي فضاء سيميائي واسع وإيحاء فكري نفسي أعلى مما نتوقع، الأهواء في الإبداع والأدب فكرة صوفيّة يمكن تقليبها على عدة أوجه حسيّة وباطنية مشفوعة بالانجذاب الفطري العفوي نحو صفوة المشاعر وقوتها ■

رمزية البحر في التراث الأدبي الإماراتي

قصص محمد المر أنموذجاً

د. صديق جوهر

عبر العديد من ثقافات العالم احتل البحر مكانة مذهلة. في الحضارات الهندية والمصرية القديمة كان الناس يعبدون البحر باعتباره إلهاً مقدساً. يتعدى دور البحر في الأدب الروائي الروايات البحرية والملاحم البطولية التي تعكس مغامرات البحر فقد كان البحر دائماً يطارد الخيال البشري منذ بداية التاريخ وظل البحر يعكس رؤى الكُتاب والروائيين والقصاصين والشعراء في العديد من القصص والقصائد. في سياق عابر للثقافات يطلق البحر السؤال المركزي عن الهوية البشرية بكل تعقيداتها عبر الزمان والمكان. وسواء كان الناس يعيشون بالقرب من الساحل أو في قلب القارات فقد استحوذ البحر على خيال الإنسان وترك آثاره في جميع أنحاء العالم في النصوص والقصص والرموز والأساطير لعدة قرون.

في الأدب القديم والحديث أسهمت سرديات البحر في تشكيل الوجود البشري من خلال سلسلة من القصص والحكايات والروايات والقصائد فالبحر أكثر من مجرد ماء وشواطئ وأمواج وسفن وقوارب وصيادين وآفاق ممتدة. في أجزاء مختلفة من العالم وفي ثقافات عديدة يرمز البحر لحدود الوعي الجمعي ويصف الهوية الإنسانية الفردية على المستوى الاجتماعي على أنها مسألة بقاء وعلى المستوى الأنثروبولوجي كمساحة غير بشرية تؤثر على حياة الإنسان وتاريخه. وفي سياق متصل لعب البحر على مر السنين دوراً محورياً في تشكيل الذاكرة الجمعية الإماراتية. وعلى المستوى الأنطولوجي يتجسد البحر في الأدب والثقافة الإماراتية على أنه الحد الفاصل بين الحياة والموت، بين الماضي والحاضر. في حقبة ما قبل النفط لعب البحر دوراً محورياً في حياة المجتمع الإماراتي المحلي. جغرافياً تمتلك الإمارات حدوداً بحرية تقع على الخليج العربي وخليج عمان وتاريخياً اعتمد عدد كبير من الإماراتيين على البحر لقرون خلت كمصدر رئيسي لدخلهم ورزق أبنائهم. وعلى مر العصور ارتبط البحر في الإمارات بصيد اللؤلؤ والتجارة والملاحة بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى ذات الصلة. وبناءً على ذلك شكل البحر جزءاً لا يتجزأ من التقاليد الثقافية الإماراتية والتراث والآداب الشفوية والمكتوبة. اهتم

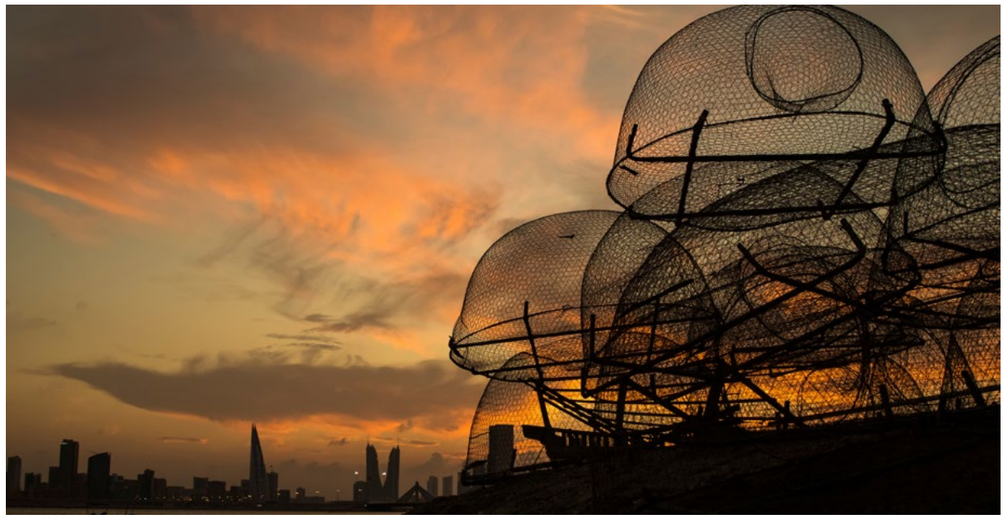

الكتاب الإماراتيون بترسيخ التقاليد البحرية المتوارثة وإعادة بناء الهوية الوطنية في أعمالهم الأدبية ورواياتهم الشعبية وقصصهم القصيرة من أجل الحفاظ على التراث المحلي الإماراتي في عصر ما بعد العولمة. باستخدام أنموذج إس إيه لارسن عن «شاعرية البحر» كإطار نظري تستكشف هذه الدراسة المختصرة من زوايا مختلفة الصورة المتغيرة للبحر في السرديات الإماراتية القصيرة خاصة قصص الكاتب المبدع محمد المر. في زمن التطور المضطرد والتحولات الكبرى يكشف الكتاب الإماراتيون عن إحساسهم بالحنين إلى حقبة ماضية تربط صورة البحر بالبراءة والنقاء ومن ناحية أخرى يشاكسون البحر في سياق أبعاد فلسفية وفكرية ورمزية متعددة. ضمن هذا السياق تستطلع الدراسة بشكل نقدي الخيال البحري في بعض القصص القصيرة المختارة من كتابات المر من أجل رصد محاولة جيل من الكتاب المعاصرين إعادة بناء تراث هددته موجات التحديث والعولمة اللاحقة. يتبوأ البحر مكانة مركزية في عدد كبير من الحكايات الخيالية والسرديات المحلية والحكايات الأسطورية الإمارتية القديمة. في الفولكلور المحلي والثقافة الشعبية احتل البحر مكانة مرموقة عبر الأجيال المتلاحقة حيث ارتبط البحر في معظم الأحيان بالرومانسية والحنين والطقوس المحلية المتجذرة ليس فقط في الثقافة الشعبية السائدة في مجتمعات الصيد المحلية المنتشرة

عبر السواحل ولكن أيضاً في جميع أنحاء أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة. تاريخياً ارتبط البحر في الوعي الجمعي الإماراتي بالماضي المجيد للأجداد. ولكن منذ أوائل السبعينيات وخاصة بعد إنشاء اتحاد الإمارات العربية المتحدة في عام 1971 كان المجتمع الإماراتي يتجه نحو عصر من التحديث بسبب التطورات والتحولات الجذرية التي حدثت في أعقاب اكتشاف النفط في المنطقة. أدى هذا التحول الهائل للأسف إلى تهميش دور البحر الذي لم يعد المصدر الرئيسي للمعيشة وكسب الرزق لمعظم السكان.

علاوة على ذلك أدت التطورات الاقتصادية والتكنولوجية الجديدة إلى تسريع عملية التحضر في دولة الإمارات العربية المتحدة مما مهد الطريق للتحول السريع من أسلوب الحياة التقليدي إلى نمط الحياة الأكثر تعقيداً. جذبت عملية التحول الهائلة انتباه جيل من الكتاب الإماراتيين المهتمين بالمكانة الاستراتيجية الجديدة التي اكتسبتها بلادهم ومكانتها المهمة المهيمنة على خريطة العالم للاقتصاد والسياسة والسياحة. وفي ظل رؤيتهم للتعقيدات الثقافية والتشعبات الاجتماعية والاقتصادية لعصر جديد وعلى ضوء فهمهم للتباينات بين الثقافة المحلية وثقافة ما بعد العولمة القادمة من الخارج سعى الكتاب الإماراتيون إلى التقاط روح التطورات واسعة النطاق التي تحدث في بلادهم بوتيرة متسارعة من

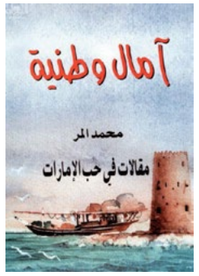

ناحية ومن ناحية أخرى استعادوا سرديات البحر في كتاباتهم وقصصهم باعتبارها انعكاسات لمجتمع يحاول الحفاظ على تراثه الثقافي واستعادة ذكريات الماضي التليد.

بعض الكتاب الإماراتيين يُعبرون في كتاباتهم عن إحساسهم بالحنين إلى حقبة ماضية تمزج صورة البحر بالبراءة والنقاء وعلاوة على ذلك يرصدون صورة البحر من خلال أبعاد فلسفية وفكرية جديدة. بالرغم من أهمية رمزية البحر في الأدب الإماراتي والقضايا ذات الصلة التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من مسألة الهوية والتقاليد المحلية إلا أن النقاد غالباً لا يهتمون بها بل يركزون على عناصر أخرى ذات صبغة رمزية ونخبوية. لذلك تهدف هذه الدراسة لاستكشاف عناصر وأبعاد جديدة ذات أهمية كبيرة للمجتمع الإماراتي فيما يتعلق بالعلاقة بين أسطورة البحر والتراث المحلي والهوية الوطنية والتقاليد المتوارثة. لقد وقع بعض الكتاب الإماراتيين المهتمين بمسألة الهوية الوطنية في مأزق ثقافي وفي مرمى نيران متبادلة بين الموروثات المحلية والتقاليد الأجنبية المصاحبة لعملية التحضر. توضح الدراسة أن بعض الكتاب الإماراتيين البارزين الذين رصدوا التداعيات الجذرية الناجمة عن عملية التطور السريع والتي حولت الإمارات من مجتمع الغوص والبحث عن اللؤلؤ إلى بلد حديث ومتحضر قد استخدموا رمزية البحر للتعبير عن خوفهم من هذه التقلبات والتأكيد على ضرورة التمسك بالتقاليد المحلية وإعادة بناء الهوية الوطنية ودراسة تأثير التنمية الاقتصادية والتحضر على الهياكل الاجتماعية والديموغرافية في مجتمعهم.

بشكل لا لبس فيه تم إعلان دولة الإمارات العربية المتحدة كدولة مستقلة في أوائل السبعينيات بعد رحيل القوات الاستعمارية البريطانية وتوحيد الإمارات السبع في اتحاد واحد. يشار إلى أن ظهور القصة القصيرة الإماراتية في هذه الفترة الفاصلة كان له آثار تاريخية واجتماعية على الوعي الشعبي في سياق التحولات الثقافية والعمرانية والحضارية آنذاك. في هذه الحقبة تأسس اتحاد الإمارات ودخلت الدولة الناشئة في مرحلة جديدة من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الجذرية إيذاناً ببداية عصر النفط وما صاحب ذلك من تطورات كبيرة في جميع مجالات الحياة. على الصعيد الأدبي استطاع كتاب القصة القصيرة الإماراتيون استيعاب تجارب نظرائهم في الدول العربية المجاورة في الثمانينيات وبالتالي بدأ هذا النوع الأدبي في الازدهار في الإمارات خلال التسعينيات خاصة من حيث الشكل. فيما يتعلق بالمحتوى ظلت القصة أو الأقصوصة الإماراتية القصيرة مرتبطة بأسطورة البحر كموضوع مركزي ومحوري. يرجع ذلك التوجه إلى مكانة البحر في تاريخ الإمارات وثقافتها باعتباره الوريد الواهب للحياة ومركز الأنشطة الاقتصادية ومصدر تجارة اللؤلؤ وصيد الأسماك لعدة قرون. كما أسهم البحر في تشكيل نسيج العلاقات القبلية والتشابكات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الإماراتي التقليدي. وعلى هذا الأساس فليس مستغرباً أن يكون البحر في مقدمة الفضاء الروائي الإماراتي لدرجة أن بعض النقاد يعتبرونه مركزاً لمعظم القصص القصيرة المعاصرة في الأدب الإماراتي. حتى لو كان هذا الرأي نوعاً من المبالغة نظراً لأن القصة القصيرة الإماراتية عبرت عن اهتمامات اجتماعية ووطنية وثقافية وإنسانية أخرى فإن البحر يظل الهاجس الأبرز في العديد من القصص القصيرة الإماراتية منذ أوائل السبعينيات. وفقًا لرأي إس إيه لارسن فإن رمزية البحر المتمثلة في عنفوانه وطبيعته الجغرافية المدمرة وقدراته على العطاء وتوفير الرزق وإمكانياته على استحضار شوق الإنسان ورفضه لإشباع هذا الشوق بأبعاده اللامحدودة يتم تمثيلها أدبياً من خلال سلسلة طويلة من الأشكال والاستراتيجيات والديناميات في الثقافات المتعددة. في هذا السياق يحمل الماء كعنصر طبيعي مجموعة من المعاني المعقدة التي يتم استيعابها في الدلالات الثقافية للبحر من وجهة نظر لارسن. ومع ذلك فإن البحر يحول هذا التعقيد إلى مفارقة حيث نعتبر الماء كما لو كان ظاهرة محددة ونطلق على الماء أسماء مثل (المحيط الأطلسي وبحر الشمال والبحر الأحمر والخليج العربي) ولكن في نفس الوقت نعتبر الماء كياناً بلا حدود. إذا كانت المياه غير محدودة فإن البحر يتجاوز حدوده باستمرار وبشكل لا يمكن السيطرة عليه وبالتالي يتعدى حدود الخيال والقوة البشرية حسب رؤية لارسن. في سياق ذي صلة يجادل لارسن بأن الانتشار الثقافي للبحر وتماثله العالمي الظاهر يجب أن يجعل البحر كياناً متعدد الثقافات يمكن تحديده بما يتجاوز الاختلافات التفسيرية والتاريخية. يذكر لارسن أن هذه الحقيقة تنتج في الواقع التأثير المعاكس. بعبارة أخرى لا يمكن ملاحظة ضخامة البحر الهائلة وتفسيرها إلا من وجهات نظر معينة يتم إنشاؤها إما من خلال المقارنات والتشبيهات والاستعارات المستمدة من التحليل التجريبي. يمثل البحر تحدياً عالمياً لكن الاستراتيجيات التفسيرية المعقدة التي يثيرها تنتج مجموعات متباينة وحتى متناقضة من المعاني تظهر اختلافات ثقافية وتاريخية عميقة عبر الزمان والمكان. من هذا المنظور لا يواجه الناس أبداً البحر في حد ذاته باعتباره جزءاً من قوى الطبيعة ولكنهم ينخرطون في حوار مع النماذج المختلفة من الدلالات والمعاني التي يثيرها. تاريخيًا كان البحر في الثقافة الإماراتية والتراث الشعبي مختلفاً عن الحجة المذكورة أعلاه في مقالة لارسن. لم يكن للبحر تأثير كبير في الحياة الاجتماعية والتجارية والاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة فحسب بل كان له تأثير مباشر على الحياة التعليمية والثقافية. وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسات التعليمية الأولى في حقبة ما قبل النفط تلقت دعمها

المالي واللوجستي من كبار تجار اللؤلؤ الذين يعتمدون على ما يجود به البحر عليم من رزق وربح. لذلك فقد تأثر التعليم بشكل واضح بمدى ازدهار تجارة اللؤلؤ أو ركودها. تم إغلاق العديد من المؤسسات التعليمية الباكرة (المعروفة باسم الكتاتيب) خلال الأزمة الاقتصادية العالمية (الكساد الكبير في أواخر عشرينيات القرن الماضي) والتي تركت آثارها على صناعة صيد اللؤلؤ وبلغت ذروتها في الانهيار الكامل لتجارة اللؤلؤ في الأربعينيات.

يشكل البحر في الثقافة والأدب الإماراتيين حضوراً مادياً ومعنوياً ونفسياً عظيماً كما يظهر من خلال التصورات الرمزية والأسطورية عن البحر في العديد من القصص التي ترصد التاريخ البحري الإماراتي. وتتخذ رمزية البحر دلالات متعددة ولاسيما

عند مقارنته بالصحراء مما يعمّق الإحساس بالإدراك الأخلاقي والنفسي للبحر كما انعكس في القصص والسرديات المحلية. ولذلك يصعب أحياناً تصنيف جميع الآثار المرتبطة بالبحر بمعزل عن السياقات العامة للعناصر السردية ذات الصلة لأن البحر يستخدم عادةً كرافد يغذي تلك العناصر التي تتحد معاً لخدمة رؤية محددة في الأعمال الروائية الإماراتية. رصد كتاب القصة القصيرة الإماراتية أسطورة البحر من وجهات نظر مختلفة. على سبيل المثال رأى كاتب القصة القصيرة الإماراتي المعروف محمد المر البحر من منظور محايد فجرده من الارتباطات المجازية أو الرومانسية التقليدية. ويعزى هذا النهج إلى موقف المر من البحر الذي ارتبط في ذاكرته بحقبة ماضية من الفقر والتخلف من وجهة نظره. لقد أيد الكاتب الإماراتي الكبير التطور الحضاري الهائل الذي أثر في الحياة العامة في المجتمع الإماراتي خلال حقبة ما بعد النفط. يفتخر المر بالحقبة الجديدة من التنمية والتحضر التي عاشتها بلاده منذ أوائل السبعينيات. لذلك تم تصوير الشكل البحري في قصصه من منظور محايد بعيد عن الرومانسية التقليدية مما يعني أن وجود البحر في لوحته السردية موصوف بشكل موضوعي دون أي مؤشرات على أهميته الاجتماعية والتاريخية. البحر في هذا السياق هو فضاء أو مكان خالٍ من أي آثار رمزية أو مردودات فكرية أو تاريخية أو اجتماعية أو دينية. على عكس الكتاب الإماراتيين الذين يصورون البحر برومانسية كرمز لعصر ما قبل النفط المتجذر في التراث المحلي وشيطنة المجتمع الحديث باعتباره مثالاً للغزو الثقافي في عصر ما بعد النفط الذي طغى على التقاليد الموروثة، يقدم المر إلى حد ما تصويراً محايداً للبحر في قصصه القصيرة. لا شك أن الحياد في تصوير البحر في قصص المر القصيرة يرجع إلى رؤية المؤلف الإيجابية للتحولات الهائلة التي تركت تأثيرها على جميع جوانب الحياة في الإمارات العربية المتحدة منذ أوائل السبعينيات. غالباً لا تثير قصص المر عن مرحلة ما قبل النفط جواً من الحنين الرومانسي إلى الماضي. بل تسخر القصص البحرية للمر أحياناً من زملائه كتاب القصة القصيرة الآخرين الذين يصورون حقبة ما قبل النفط على أنها مجتمع الفردوس والمدينة الفاضلة. عند التدقيق في قصص محمد المر يجد المرء وجوداً قوياً للبحر ككيان واقعي جغرافي وكعنصر كرونولوجي وتاريخي تقليدي يسكن الذاكرة الجماعية لشعب الإمارات العربية المتحدة. يمكن تتبع الأدلة الكافية لدعم الوجود المتعدد للبحر في أعمال محمد المر الروائية في مجموعة متنوعة من القصص القصيرة. على سبيل المثال في إحدى قصصه يواجه القراء الفتى خلفان الشخصية المركزية الذي يعاني من الملل ويبحث عن وسيلة تخرجه من إحساسه بالتعب والإرهاق والرتابة. يزداد إحساسه بالعزلة والوحدة وهو يتجول في

منطقة الخور في دبي يشاهد الرصيف المظلم والسفن الباهتة الصامتة التي تحمل شباك الصيد التالفة. لم يكن خلفان مهتماً بالقوارب الخشبية الصغيرة التي ترقد مثل الأبقار السوداء على طول رصيف الخور أو رافعات المرفأ الكبيرة التي تظهر كحيوانات عملاقة وكأنها وحوش تلتهم منازل الشندغة الصغيرة. يظل البحر هنا امتداداً جغرافياً محايداً وبعيداً عن الرومانسية من وجهة نظر الشخصية الرئيسة وبطل القصة. لا يثير البحر في خلفان أي إحساس بالحنين إلى الماضي. بدلاً من ذلك يرتبط البحر بالسفن والقوارب الحزينة الباهتة التي تزيد من إحساس خلفان بالمنفى والوحدة أثناء رحلته في منطقة الخور في مدينة دبي القديمة.

في قصته عن حمد الغاوي يصف المر الحياة في ميناء الشندغة بطريقة موضوعية لا تعكس أي أهمية خاصة للميناء الصغير أو السفن الراسية أو أي أمور أخرى تتعلق بالحياة البحرية. حمد الغاوي الشخصية المركزية في القصة هو موظف في جمارك ميناء الشندغة. كان مسروراً لرؤية الأعداد المتزايدة من السفن الراسية بالقرب من رصيف الجمارك.

أمضى حمد جزءاً من وقته يفكر ويسترجع ذكرياته الماضية عن البحر. عندما يكون الرصيف خالياً من السفن يجلس ويراقب حركة الأمواج في البحر (الخليج العربي) وخور دبي عندما يكون ممتلئاً بمياه المد في منتصف الأشهر القمرية. كما يراقب حمد المد والجزر وتدفق مياه الخليج حاملة معها بقايا قشور الثمار ونفايات السفن وزيوت الحطام ومخلفات البشر في نهاية الأشهر القمرية وبدايتها. وهذا المشهد غير الرومانسي يذكرنا بوصف تي إس إليوت عن الأوساخ التي تلوث نهر التايمز في رائعته (الأرض الخراب) حينما قال: «النهر يتعرق زيتاً وقطراناً / نهر التايمز الذي كان جميلاً في سالف الدهر/ أصبح ملوثاً بالزجاجات الفارغة والقاذورات/ وأوراق الشطائر وعلب الكرتون وأعقاب السجائر /والمناديل الحريرية التي يستخدمها العشاق الزناة/ في ليالي الفسق والرذيلة. مما لا شك فيه أن صورة البحر في قصة حمد الغاوي ليست سوى مشهد جغرافي بعيد عن الرومانسية تماماً. في هذا السياق تتراجع صورة البحر إلى مستوى الابتذال ويصبح البحر مكاناً ملوثاً بالأوساخ والنفايات وقطع البراز وعوادم زيوت السفن المرصوصة في مياه الخور. سواء اتفقنا أو اختلفنا مع رؤية محمد المر للبحر، تخلص هذه الدراسة إلى أهمية دمج النصوص الأدبية التي ترسخ أسطورة البحر وتجسد التاريخ المحلي في المناهج المدرسية الإماراتية من أجل ربط الماضي بالحاضر والحفاظ على تراث الأجداد حياً في الذاكرة الجماعية للأجيال الحالية والقادمة ■

* ناقد، وخبير ترجمة في الأرشيف الوطني- أبوظبي

سيرة المسرح الإماراتي في مسيرة الخمسين (1 - 2)

عصام أبو القاسم

يمكن لمتتبع المشهد المسرحي الإماراتي أن يلاحظ الدور الحيوي الذي لعبته (وما زالت تلعبه) الدولة في تمكين هذا الفن من كل الوسائل والفرص التي تعزز مكانته وترتقي بإمكانياته؛ فمنذ تأسيس دولة الاتحاد أوائل سبعينيات القرن الماضي حظي المسرح بأشكال متنوعة من الدعم والتحفيز من الدوائر والهيئات الثقافية حتى ينجز حضوره ويتقدم في مشواره؛ إذ أقيمت الورش والمختبرات التدريبية واستقطبت الخبرات والكفاءات العربية وأنشئت الفرق والجمعيات ووضعت القوانين والتشريعات المنظمة لنشاطها كما أوفدت البعثات وتأسست المهرجانات وتوسعت منابر النشر والحوار المسرحي، إلخ.

لقد تنامى كل ذلك وتتابع على مدى خمسة عقود سابقة، وهو تساوق وتكامل مع إرادة الفنان المسرحي الإماراتي ورغبته في القيام بدور هادف وبناء في نهضة مجتمعه وتطوره. وحين ننظر اليوم إلى مسيرة هذا المسرح نلاحظ أنه أسهم - إلى جانب المؤسسات والفاعليات الأخرى - في تخيل ورسم التصورات والحلول الداعمة مقومات النهوض وركائز التطور المجتمعي في الدولة، وفي إشاعة وتعزيز المعارف والمبادئ والمكتسبات التي ترتكز عليها الهوية الإماراتية. لقد كان وما زال هذا المسرح بمثابة مدرسة لتعلم وتعظيم معنى الانتماء الوطني والتغني بروح الاتحاد وإبراز الشخصية الثقافية للبلاد عبر ما قدمه من نصوص وعروض وما طرحه من رسائل وأفكار، في مؤتمراته وتظاهراته المتنوعة والعديدة. وبمراجعة سريعة لما صاغته وأبدعته عروضه ونصوصه، التي قُدمت خلال هذه المسيرة يمكن تبين الهمة العالية التي عمل بها هذا المسرح لأجل ترسيخ وصقل وإذكاء الشعور بالمسؤولية المجتمعية، وشحذ وإثراء الأذهان بكل ما يحثها على الإبداع والابتكار.

لقد سرد المسرح الإماراتي حكاية مجتمعه.. صور بدايات التكوين مع ما رافقها من التحديات والصعوبات، كما اقتفى مسارات النهوض ومحطات الصعود، وفي كل ذلك كان مسرحاً مثقفاً، ومبدعاً، وكان لوسائله التعبيرية والتفسيرية فاعليتها وتأثيرها في مخاطبة العقل والوجدان، وفي إرهاف الحس، وتحفيز الخيال. ولقد سلط المسرح الضوء على العادات والحكايات والسير الشعبية وحولها إلى موضوع للتأمل والتفكير، وأبرز جماليات اللهجة، ونماذج الأزياء، والاغاني، والإيقاعات، وغير ذلك مما شكل ويشكل الهوية الحضارية لهذا المجتمع. وكان للفنان المسرحي المحلي منظوره التحليلي والتفسيري والنقدي تجاه أساليب العيش، وشواغل الحياة اليومية، وتحولات واشكاليات وقيم العصر، كان منفعلاً بكل ما يجري ومتفاعلاً معه، وكان - في أغلب الأحوال- ملتزماً مبادئه وقيمه المستمدة من تاريخ بلده وأعراف ناسه وتقاليدهم. بيد أن رعاية الدولة وإيمانها بهذا الفن وثقتها في فنانينه بدا دائما هو الجزء الجوهري من حكاية هذا النشاط في الإمارات، ويأتي في صدارة هذه الرعاية الدعم المادي والمعنوي اللامحدود الذي قدمه ويقدمه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، وهو دعم سخي ومتصل اعطى هذا المسرح مكانته المتميزة ووسع مكانه وزاده رحابة. وفضل صاحب السمو حاكم

صقر الرشود

زكي طليمات

الشارقة في التطور الذي يشهده المسرح اليوم - ليس في الإمارات وحسب، ولكن في نطاق واسع من المنطقة العربية - هو أكبر بكثير من أن تسعه مساحة كهذه، فلقد قدم سموه الدعم المالي وساهم بفكره في مناقشة وضع هذا المسرح ومستقبله، ودعم مكتبته بالعديد من النصوص وكرم رواده في المشرق والمغرب كما احتضن مواهبه وزاد مهرجاناته وجوائزه ومنشوراته.

دعائم النهوض

ولو أردنا أن نتكلم عن أبرز محاور العناية الرسمية بالمسرح في الإمارات سواء في ماضيه أو حاضره، فلعل البرامج التدريبية التي نظمتها وزارة الثقافة أوائل الثمانينيات تمثل أولى تلك المحاور، ولكن قبل تلك الورش التدريبية ثمة دراسات وتخطيطات بذلتها

معهد الشارقة للفنون المسرحية

المؤسسة الرسمية لفهم وتدبير ما يحتاجه شأن خلق حركة مسرحية محلية. في سنة 1983 كتب عبد الرحمن الصالح الذي يعتبر من أوائل الإداريين الثقافيين الذين انشغلوا بالمسرح في تلك المرحلة، ورقة حول واقع وآفاق المسرح الإماراتي وقدمها في الندوة المصاحبة للدورة الأولى من مهرجان أيام قرطاج المسرحية التي جاءت تحت عنوان «المسرح العربي: تجارب وأسماء وتوجهات». في تلك الورقة، التي كتبت قبل تأسيس أيام الشارقة المسرحية، سجل الصالح العديد من الملاحظات المهمة حول واقع المسرح في بلده ومما نفهمه منها أن الإدارات والمؤسسات تشكلت بعد قيام دولة الاتحاد، وكان مجلس الوزراء من أهم تلك المؤسسات وقد خصص ذلك المجلس حقيبة وزارية للاهتمام بتطلعات الشباب وطموحاتهم، فكانت وزارة الشباب التي عهد إليها بمسؤولية استنبات كل ألوان الثقافة، والفنون، والآداب، والرياضة. فاجتهدت الوزارة ونشطت وتمخض جهدها عن تأسيس فرقة حملت اسم «المسرح القومي للشباب» وكان ذلك 1972 وبدأت هذه الفرقة بشكل واعد واستهلت نشاطها في عام تأسيسها وقدمت عملاً فنياً مزج المسرح بالموسيقى وجاء بعنوان «نوخذة الغوص» حضره صاحب السمو رئيس الدولة، والشيوخ، والوزراء، والأعيان. لكن الفرقة سرعان ما تحولت إلى فرقة مناسبات رسمية حصراً، وبعد سنوات قليلة، خرج بعض أعضاء الفرقة إلى فرق في رأس الخيمة وعجمان. ثمة فرقة أخرى تأسست على خلفية الخلافات في فرقة «المسرح القومي للشباب»، واطلق عليها فرقة «مسرح الإمارات» في حدود 1975، بيد أن هذه الفرقة التي تطورت في مدينة الشارقة تحت إشراف «أحد أبرز وأهم الركائز المسرحية في الإمارات»، كما يصفه الصالح، الفنان سلطان الشاعر وزميله ظاعن جمعة وموزة المزروعي، ركزت شغلها على التلفزيون، و«لم تمارس أي نشاط مسرحي»، وبحسب الصالح، فأن المسرح الوطني في الشارقة الذي انشق عن جمعية الشارقة للفنون الشعبية، يعتبر أول فرقة مسرحية اشهرت من قبل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وكان ذلك عام 1975 وقد أصبح يعرف فيما بعد بمسرح الشارقة الوطني بعد دمجه مع مسرح الإمارات بعد أربع سنوات من إشهاره.

خبرات عربية

منتصف السبعينيات من القرن الماضي قدم الرائد المسرحي المصري الراحل زكي طليمات إلى الإمارات وقدم محاضرات مسرحية بدعوة من وزارة الشباب، وطلبت منه الوزارة وضع خطة لتطوير تجربة المسرح في الدولة بعد أن لمست الصدى الطيب لمحاضراته. ودرس طليمات إمكانيات إقامة مسرح محلي، وخلص إلى تقرير مفصل، جرى عرضه في العديد من الاصدارات المسرحية ذات الصلة لاحقاً باعتباره أنموذجاً لما يجب أن يكون عليه المسرح المدرسي على وجه الخصوص، ولكن بالنسبة للصالح فلقد كان «أفضل تصور موضوعي

مسرحية المجنون تأليف قاسم محمد وإخراج محمد العامري

مشهد من مسرحية مجاريح تأليف إسماعيل عبد الله وإخراج محمد العامري 2020

وواقعي للحركة المسرحية في بلادنا» على رغم من أنه لم يعجب البعض. في 1977 جاء صقر الرشود من الكويت وبدأ تجربته التي استمرت لـ 8 أشهر، ولكن آثارها بقيت وقتا أطول. كان التحدي الأول الذي واجهه الرشود هو بناء عرض مسرحي يليق بمشاركة أولى في مهرجان دمشق المسرحي من فريق غض لم يستكمل تدريبيه بعد، وكان العمل المسرحي الذي عمل عليه الرشود عنوانه «الفخ» تأليف محفوظ عبد الرحمن. لكن المهرجان لم يقم في وقته وبالتالي لم تسافر الفرقة إلى سوريا لتقديم عرضها. وقد أسس الرشود حينئذ فرقة «مسرح الإمارات» في أبوظبي وقدمت هذه الفرقة مسرحية وحيدة هي «الأول تحول»، ولم تستمر بعد رحيل مؤسسها في اليوم التالي لعرض المسرحية ذاتها (ديسمبر1978). على أن مما يحسب للرجل أيضاً أنه عمد إلى توزيع عدد من المسرحيين العرب الذين وفدوا في تلك الفترة لتأسيس وصقل تجارب الفرق المسرحية في الدولة، فخصّ مسرح الشارقة بالفنان العراقي إبراهيم جلال، ومسرح رأس الخيمة بالفنان البحريني خليفة العريفي. كما تقول ورقة صالح: ثمة جهات حكومية عدة كانت معنية بدعم المسرح آنئذ مثل وزارة الإعلام والثقافة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وزارة التربية والتعليم، وكان على الوزارة الأولى دفع «عون مالي يصل قدره إلى مئة ألف، ولكن في بعض الأحيان كان الصرف يتعثر»، كما يقول الصالح، كما كان من بين مسؤولياتها استقطاب مرشدين مسرحيين عرب للفرق المسرحية من خريجي المعاهد العليا، واستئجار صالة العرض الواحدة التي كانت متاحة في ذلك الوقت. كما كان على وزارة الإعلام أن تتحمل الأعباء المالية

لجولات الفرق في الإمارات وشراء العروض لبثها في التلفزيون، وإيفاد البعثات التعليمية للتخصص في هذا المجال. أما دور وزارة التربية فتتمثل في أن ترسي دعائم المسرح المدرسي وتورث أجيال الغد حب المسرح، وهي انشئت قسماً للمسرح المدرسي وعينت المشرفين إلا أن مسار هذا القسم لم يكن سالكاً على مدى الوقت تبعاً للإدارات التي عهد إليها به.

من جهتها، كانت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تمنح الرخص للأنشطة الثقافية وهي كانت المسؤولة عن دفع الإعانات المالية للفرق قبل وزارة الإعلام.

الورشة التدريبية

في 1983 انتسب أكثر من 80 متدرباً إلى ورشة مسرحية تحت إشراف الفنان التونسي المنصف السويسي، الذي كان جاء أيضا في صفة خبير مسرحي، لتبدأ المرحلة الأخصب في بدايات المسرح الإماراتي، كما يقول عبد الرحمن الصالح. ولقد تم توزيع المشاركين إلى مجموعتين، الأولى حملت اسم الراحل صقر الرشود والثانية مجموعة سلطان الشاعر، وضمت الأولى 41 مشاركاً فيما جاءت الثانية بـ 39 مشاركاً، ولكن بعد اسبوعين تناقص العدد الكلي ليغدو 47. وبعد أربعة شهور من العمل المتواصل، انتهت الورشة إلى عمل عرضين مسرحيين. وإلى الوقت الحاضر ينظر إلى تجربة هذه الورشة التدريبية التي أقامتها وزارة الإعلام والثقافة على أنها الأهمّ في تاريخ المسرح الإماراتي، إذ منها خرجت معظم الأسماء الإخراجية والتمثيلية والكتابية التي ستنشط في أيام الشارقة المسرحية التي تأسست مرور عام واحد على تلك الورشة.

أيام الشارقة المسرحية

في العاشر من يناير 1984 كان الميلاد الأول لأيام الشارقة المسرحية التي حظيت على مدار دوراتها برعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، ونظمت تلك الدورة دائرة الثقافة والإعلام (التي تأسست 1981)، في إطار مهرجان الفنون الوطني الأول. لقد شهدت الدورة الأولى اقبالاً ملفتاً من الفرق المسرحية، إذ عرضت عشر مسرحيات، وشهد الجمهور هذه العروض على مسرح قاعة أفريقيا. وامتدح تقرير اللجنة توجه دائرة الثقافة والإعلام إلى تأسيس مهرجان مسرحي، وذكر أن العروض التي قدمت تميزت بجدتها وحداثتها من حيث المضامين المطروحة فتعدت المحلية إلى العالمية إضافة إلى اعتمادها اللغة العربية كما أشادت اللجنة بالمواكبة الصحفية وبمشاركة المسرح المدرسي والمسرح الجامعي.

تواصلت أيام الشارقة المسرحية بشكل فاعل على مر السنين وشكلت موعداً سنوياً لاستكشاف الوجوه والتجارب والرؤى المسرحية الجديدة. وعلى مدار العقود الثلاثة الماضية تحولت «الأيام» إلى أكاديمية لتعلم أصول المسرح وتأصيله وترسيخ حضوره في المجتمع، وراح المهرجان يتطور من سنة لأخرى واضحى اليوم من أعرق التظاهرات المسرحية في المنطقة وقد توسع في أنشطته الفنية والفكرية توسعاً ملفتاً؛ وقد شاءت الشارقة أن تمدد أثره فأسست العديد من المهرجانات المسرحية الأخرى في السنوات الأخيرة منها (مثل مهرجان المسرح الثنائي في دبا الحصن، والمسرح الصحراوي في منطقة الكهيف، والمسرحيات القصيرة في كلباء، وخورفكان المسرحي الذي يزاوج بين «أبو الفنون» والابداعات التعبيرية والأدائية التقليدية، إلخ)، وكل هذه الفعاليات المسرحية جعلت الشارقة مركزاً ثقافياً بارزاً في المنطقة العربية.

الأكاديميون

وكان لخريجي الجامعات الإماراتية دور مهم في التأسيس لتجربة المسرح في الدولة، ويمكن أن نستذكر بصفة خاصة فرقة المسرح الحر، التي نشطت في الفترة 1983 - 1986، وأسستها مجموعة من طلاب جامعة الإمارات، وكانت تضم أسماء مهمة مثل الراحل أحمد راشد ثاني، وإسماعيل عبدالله، وناجي الحاي، ومحمد الدوسري، ويحيى الصوري، وحسام عزت، ولقد تميزت عروض هذه الفرقة بطابعها الحداثي وهمومها الثقافية. وإلى جانب أعضاء هذه الفرقة كان هناك العديد من المسرحيين المحليين المتخرجين من جامعة الإمارات والذين انخرطوا أثناء حياتهم الطلابية في تلك الورش التي نظمت في الشارقة ودبي ورأس الخيمة وخورفكان وسواها، وأشرف عليها أولئك الأساتذة العرب. وكان بعض المسرحيين الإماراتيين قد التحق بمعاهد مسرحية انطلاقاً من أواخر سبعينيات القرن الماضي ووصولاً إلى العام 2016، في بلدان مثل الكويت ومصر وبريطانيا والولايات المتحدة، ولم يكتف بعضهم بإحراز شهادة البكالوريوس، بل مضى في الدرب إلى غايات أبعد، فنال شهادة الماجستير أو الدكتوراه، وأغنى المكتبة المسرحية بأبحاث وقراءات مهمة، شكلت، على مدى سنوات، مصدراً مهماً للباحثين والمهتمين في تاريخ وتفسير وقراءة العديد من قضايا وظواهر الساحة المسرحية المحلية، خاصة في مجالات الإخراج والتأليف والتمثيل المسرحي، وعلاقة «أبو الفنون» بالمدرسة والمجتمع والهوية والحداثة، وغير ذلك.

وفي سيرة دارسي المسرح يلاحظ أن معظم أجيالهم الأولى حققت حضوراً متميزاً في سنوات الدراسة الأكاديمية، خاصة في الكويت، ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى أسماء مثل: بوخليف والأستاذ وحسن رجب وإبراهيم سالم وسواهم، كما أن مما تسهل ملاحظته اهتمام الدولة بهؤلاء الخريجين، فمباشرة، بعد تخرجهما 1983 تم توظيف بوخليف والاستاذ، في قسم المسرح بوزارة الإعلام والثقافة، ترأس بوخليف، وهو شاعر أيضاً، قسم المسرح للمناطق الشمالية كما انتخب رئيساً لمسرح رأس الخيمة، وقدم مع هذا المسرح عمله المهم «أنقذوا المريخ» 1985، من تأليفه وإخراجه، والذى حقق نجاحاً كبيراً وأسهم في تقديم عدد من الوجوه التمثيلية في الإمارة، وفي الأعوام التالية توزع نشاطه بين المسرح والتلفزيون. أما الأستاذ فلقد ترأس إدارة المسرح في وزارة الإعلام والثقافة في أبوظبي، وكرس نشاطه في مجال مسرح الطفل، ويعتبر رائداً في هذا الجانب، وقد قدم نحو 30 عملاً مسرحياً للصغار خلال مسيرته، وأسس مسرح ليلى للطفل 1983، كما شارك في العشرات من المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية. وفي النصف الثاني من الثمانينيات بدأت أعداد الخريجين تتزايد، ولكن ببطء، جاء حسن رجب 1986، ثم حبيب غلوم 1987، وإبراهيم سالم وجمال مطر وعمر غباش ووليد الجلاف 1988، ومثلما رعتهم أثناء سنوات الدراسة عمدت الدولة أيضاً إلى احتضانهم فور تخرجهم وأتاحت لهم الإمكانيات لاختبار قدراتهم والعمل على الارتقاء بتجربة المسرح المحلي، خاصة عبر إدارات وزارة الثقافة. وقد وصف المخرج عبدالإله عبدالقادر، الذي يعتبر من أبرز مؤرخي حركة المسرح في الدولة دور هذه

الثلة من الأكاديميين المسرحيين قائلاً «شكل هؤلاء الخريجون قاعدة جيدة وجديدة تعتمد على فهم أكاديمي مبرمج للمسرح وسدوا ثغرات كبيرة في التجربة المسرحية المحلية بل حققوا نقلة موضوعية، في طبيعة التعامل داخل الفرق المسرحية وعلى خشبة المسرح بالذات وانتشروا في أوساط المسرحيين والفرق المسرحية ليمنحوا المسرح المحلي صورة جديدة مضافة إلى ما حققه في سنوات تاريخه السابقة التي اعتمدت على الفنان الفطري صاحب الموهبة والتجربة فقط».

محاور أخرى

إلى جانب ما ذكر، لا يمكن إغفال الدور المهم الذي لعبته الفرق المسرحية التي تزايدت في السنوات الأخيرة وكذلك جمعية المسرحيين، فلقد أسهمت هذه المؤسسات بشكل حيوي في تعزيز الثقافة المسرحية وفي صون التقاليد ودفع المسيرة إلى الأمام عبر ما طرحته من مبادرات؛ فلقد اقام بعض هذه الفرق مهرجانات وندوات وأسس منابر للنشر والورش التدريبية.

وبدورها عملت جمعية المسرحيين التي تأسست مطلع تسعينيات القرن الماضي على تعزيز الروابط ومد جسور التواصل والتفاكر بين المسرحيين الإماراتيين في كل ما يخص شأن مجالهم ويخدم ويرعى مصالحهم ■

* باحث سوداني مقيم في الإمارات

محمد خليفة بن حاضر

مريم النقبي

محمد خليفة بن حاضر، واحد من أبرز الأسماء الأدبية الشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وله إسهامات كبيرة وبصمات لا تنسى في مسيرة العمل الوطني والثقافي في الإمارات. ولد الشاعر «محمد بن حاضر» في فريج الحواضر بمنطقة جميرا في مدينة دبي عام 1945م، وكانت ولادته في زمن حكم الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم رحمه الله (1912 - 1958) وعاصر حكم الشيوخ اللاحقين إلى أن توفي في عام 2011.

تخرج من جامعة ليدز ببريطانيا في إدارة الأعمال عام 1970 م، بدأ العمل في السلك الدبلوماسي منذ سنة 1972 م، عمل في بداية حياته في سفارة الإمارات العربية المتحدة في بيروت، ثم نقل قنصلاً عاماً في كراتشي بباكستان، ثم ترك العمل الدبلوماسي وأتجه إلى العمل التجاري الخاص، ثم عين عضواً في المجلس الوطني الاتحادي، ممثلاً لإمارة دبي، لمدة دورة واحدة، كذلك كان عضواً مؤسساً ونائب رئيس مجلس إدارة ندوة الثقافة والعلوم لأكثر من دورة، وعضواً لهيئة تحرير مجلة المنتدى الثقافية التي تصدر من دبي. أسهم بن حاضر في دعم الحراك الثقافي من خلال العديد من القنوات، إذ أسهم في تأسيس ندوة الثقافة والعلوم بدبي مع الأديب محمد المر وكان حاضراً في المشهد الإعلامي من خلال تواصله مع محبي شعره عبر النشر المستمر. ولقد نشر الكثير من القصائد الفصحى والنبطية في مختلف الصحف والمجلات. وتوفي «محمد بن خليفة بن حاضر» - رحمه الله - في يوم الجمعة 8 يوليو من عام 2011 للميلاد، أثر أصابته بنوبة قلبية في العاصمة الفرنسية باريس عن عمر 63 عاما، ودفن في مقابر القوز بدبي.

مختارات من قصائده:

زايد :

لك وكيد القول قولي..ماشدا فكّ الزلـــوف
حيثني لي قلت صادق ..يوم غثّ القــول زاف
(زايد) الغالي في شعبه ..شوف مايبغي حلوف
اشهد انّه للمعالي سيرمافيـــــه انعطاف

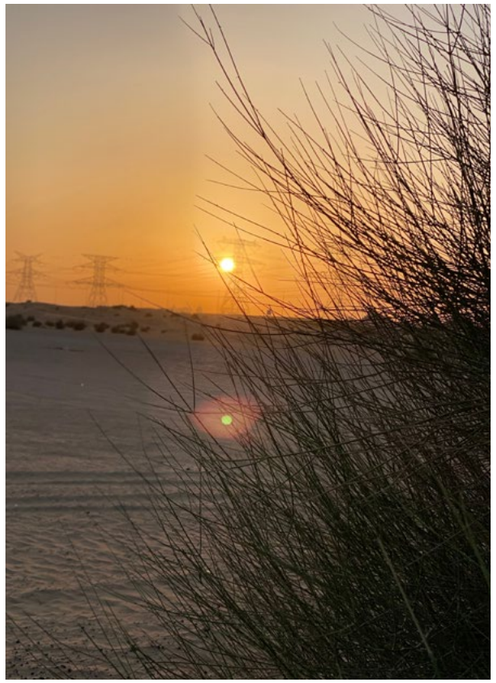

محمد خليفة بن حاضر

الحياة

نفسي مـــن الليعات باحـــت سْدودهـا
واليـــاس يا هـذا تعـدّى حدودهـــا
تسهـــر على الهاجوس والهـم والعنـــا
واليـــوم يمضـــي مستحّث شرودهـــا
فكـــرت في الدنيـــا زمـــان فلـم أرى
سـوى مدلهمـــات الليـــالي وسودهـــا
تراهـــا كما الرعبـــوب يشتاقها الفـــتى
إذا وافقت يحشِـد هواهـــا حشودهـــا

عناق الذكرى

عانقـــت ذكرك ..احسب الليل سهـــران
والليل داعـــي . . والدواعـــي كـــثيره
وابحـــرت في يـمّ الهواجيـــس ربـــان
دربي صدى ذكـــرى الغرام الشديـــده
همي بعيـــدٍ .. والهـــوى حرنيـــران
فـــوق الحشـــا نار اشتيـــاقي وقيـــده

ذكرت لك عهـدٍ مـن الامـــس مـــزدان
باحـــلام ورديـــه .. ورويا سديـــده
روحٍ تحـــب .. وخافـقٍ عاشـــقٍ لان
للخافـــق اللي شاع حبـــه قصـــيده

ياليتني

ياليتني نسمـــة صباحٍ مـــن البيـــد
هبّت يداعيهـــا شذى الشيـــح جـــادي
نسمة امل ..سكـــرى بخمر المواعيـــد
وافق هواهـــا باللطافـــه ونـــادي
بسمة رجـــا ..بسمـــة شروقٍ مع العيـد
عادت تغـــرّر بالسكينـــه رشـــادي ■

معهد الشارقة للتراث

جهود إماراتية متواصلة لحماية التراث محليًا ودوليًا

إعداد - علي تهامي

تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة، مكانة رفيعة في مجال الحفاظ على التراث، وتوظيفه في خدمة المجتمع، وصونه ونقله للأجيال الجديدة، وذلك عبر مراكز ومؤسسات وأندية تعمل جمع التراث بكل اشكاله وألوانه.. وتوثيقه.. ووضع الخطط اللازمة لربط الحاضر بالماضي.. ولعل في مقدمة تلك المؤسسات نادي تراث الإمارات، ومعهد الشارقة للتراث، وغيرهما من المراكز الحكومية والخاصة.. حيث تتفرد الإمارات بتلك المراكز التي أنشأها مثقفون وأكاديميون بهدف المساهمة في الحفاظ على التراث.. ودراسته.. وتعظيم الاستفادة منه في بناء الوطن. ويأتي معهد الشارقة للتراث، ضمن أهم المراكز المتخصصة في دراسة التراث داخل دولة الإمارات العربية المتحدة، وخارجها، حيث يمتد دور المعهد إلى الكثير من مناطق وبلدان العالم.

وبتوجيهات من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، تتعاظم جهود المعهد، وفريق العمل المتميز به، والذي يقوده سعادة الدكتور عبد العزيز المسلم، ويضمن نخبة من كبار الباحثين في مجالات التراث كافة.. تتعاظم تلك الجهود يوماً بعد يوم.. ليحتل المعهد مكانة إقليمية ودولية لافتة. ويأتي الدور المحلي والدولي الذي يقوم به معهد الشارقة للتراث، في إطار منظومة كبيرة تعمل بتوجيه ودعم ورعاية من صاحب السمو، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، وتتضمن شتى المناحي الثقافية، حتى صارت الشارقة عاصمة للثقافة العربية والإسلامية.

مرسوم أميري

وقد تأسس معهد الشارقة للتراث، بالمرسوم الأميري رقم (70) لعام 2014، ليكون مركز إشعاع ثقافي وعلمي يتصف بالتميز والإبداع بما يخدم التراث الثقافي الإماراتي والعربي، انسجاما مع رؤى وتوجهات حضرة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة والذي قام بافتتاح المعهد في العشرين من شهر ديسمبر عام 2014. و«يطمح معهد الشارقة للتراث إلى أن يكون المؤسسة المتخصصة، وطنيًا وإقليميًا ودوليًا، في رفد الميدان الثقافي والتربوي والسياحي بأطر مزوَّدة بالمعارف والمهارات اللازمة لإدارة فعالة للتراث الثقافي وحفظه وصونه، وتعزيز الوعي بأهميته، من أجل دفع أجيال واعدة تسهم في بناء المعرفة الإنسانية، وتنمية الاقتصاد الثقافي».

ويعمل المعهد، وفريق عمله، عبر حزمة من الممارسات والبرامج والأنشطة، على حصر عناصر التراث الثقافي غير المادي وحفظه وصونه ونقله، فضلاً عن عمليات حماية التراث الحضاري والطبيعي وصيانته، وينخرط في تنظيم مشروعات الحصر، وممارسات الصون، والتوثيق، والأرشفة الرقمية، وبرامج التعليم، والتدريب، والنشر العلمي، وتقديم الاستشارات والدعم البشري والتقني، وتكريم الكنوز البشرية الحية، على الصعيد المحلي والوطني والإقليمي، وتعزيز سبل التعاون الدولي عبر الشراكة مع الأفراد والمؤسسات والمنظمات المعنية بالتراث الثقافي.

مبادئ ثابتة

ويعمل معهد الشارقة للتراث، وفق مجموعة من القيم، والمبادئ الثابتة، والتي من بينها: ممارسة التفكير العلمي، ودعم قيم التعددية والحوار والتسامح، والالتزام بأخلاقيات البحث والتوثيق، والسعي الدائم التعرف على أجناس التراث الثقافي، وأنواعه، وعناصره، وأقسامه، ومجالاته، والعمل وفقا لمجموعة الإجراءات العملية والتقنيات المستخدمة في مختلف أقسام التراث الثقافي، والالتزام بإتقان ممارسة العمل الميداني المنظم والمنضبط في مجال التراث الثقافي، والسعي الدائم للتعرف على التجارب العالمية في مجال جمع التراث الثقافي وحفظه وصونه،

تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة، مكانة رفيعة في مجال الحفاظ على التراث، وتوظيفه في خدمة المجتمع، وصونه ونقله للأجيال الجديدة، وذلك عبر مراكز ومؤسسات وأندية تعمل جمع التراث بكل اشكاله وألوانه.. وتوثيقه.. ووضع الخطط اللازمة لربط الحاضر بالماضي.

نصب المقاومة في خورفكان - الشارقة

وصياغة مشروعات التراث الثقافي، وإجادة إدارتها، واكتساب مختلف الأدوات والأساليب والمعارف النظرية والتطبيقية اللازمة لـ إدارة التراث الثقافي إدارةً ناجعة، وإبداع أفكار مبتكرة مستلهمة من التراث، وربط التراث الثقافي بمختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية، وتحسين القدرات والأداء في ممارسة مشروعات صون عناصر التراث الثقافي غير المادي، وممارسة الأنشطة والمشروعات، وابتكار الأفكار، النابعة من التراث الثقافي الوطني في المجال المدرسي، والتربوي، والسياحي، والإعلامي، والدرامي، والتنموي.. إلخ، والتأهيل الأكاديمي لإنجاز أطروحتي الماجستير والدكتوراه في أحد مجالات التراث الثقافي، والثقافة الشعبية وأفرعها العلمية.

الدكتور عبد العزيز المسلّم

فعاليات متعددة

وتتعدد أنشطة وفعاليات معهد الشارقة للتراث، والتي تتنوع ما بين محلية ودولية، ومن بين تلك الأنشطة والفعاليات تنظيم المعهد لمؤتمر الشارقة الدولي للتراث الثقافي، والذي يمثل مبادرة إضافية ومتجددة على صعيد الشؤون الفكرية والإنتاج العلمي في مجال الثقافة الشعبية والتراث الثقافي، وتقوم رسالة المؤتمر على تجسير الروابط العلمية والمنهجية بين مجالات التراث الثقافي من جانب، والعلوم الإنسانية والاجتماعية والتاريخية من جانب موازٍ، وعلى تحفيز مقاربة مجالات «الثقافة الشعبية»، وموضوعات «التراث الثقافيّ غير المادي»، في ضوء المناهج الحديثة. وهناك «أسابيع التراث العالمي»، والتي أطلقها المعهد ابتداءً من يناير عام 2016، برنامج أسابيع التراث العالمي، يُحتفى من خلاله بتراث دولة شقيقة أو صديقة لدولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك بعرض نماذج من تراثها الثقافي بمختلف تجلياته وأنواعه.. ويشمل فعاليات تتضمن عروضًا من الحرف التراثية، والفنون الشعبية، والطبخ التقليدي، والألعاب الشعبية، ومعارض صور أورسوم، إضافة إلى عرض أفلام وثائقية عن تراث البلد الضيف، بجانب فقرات فنية تراثية من فنون وأهازيج البلد الضيف. وينظم معهد الشارقة للتراث أيضاً، ملتقى الشارقة الدولي للراوي، وهو ملتقى مخصص للاحتفاء بحملة التراث الثقافي غير المادي من الرواة والإخباريين في الإمارات وفي مختلف أنحاء العالم، ولأنهم يشكلون المصدر الرئيس للتراث الثقافي غير المادي، فإن التوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي تستهدف رعاية الكنوز البشرية الحيَّة، وتكريمهم، والإفادة من خبراتهم، ومما تحتفظ به ذاكرتهم، في كتابة تاريخ الجماعات الاجتماعية، وفي صون التراث الثقافي غير المادي ونقله جيلاً عن جيل.

ومن بين الفعاليات الدورية لمعهد الشارقة للتراث، هناك مهرجان «أيام الشارقة التراثية»، ويمثل المهرجان فضاءً ثقافيًّا ذا جذور عميقة في المشهد الثقافي والاجتماعي الإماراتي والخليجي، فضلاً عن العربي، وهو علامة بارزة على انفتاح الشارقة، ودولة الإمارات العربية المتحدة، على العالم الأرحب للتنوع الثقافي.

ومن بين الفعاليات والأنشطة المتعددة لمعهد الشارقة للتراث، هناك «احتفالية النص» وهي احتفالية تُقام في ليلة النصف من شعبان في كل عام، والتي يطلق عليها في المأثور الشعبي «ليلة النص»، ويطلق عليها الأطفال: «من حق الليلة»، وهي من الاحتفالات الشعبية الإماراتية القديمة التي يتم التجهيز لها مبكرا من خلال تجهيز الملابس الشعبية الجميلة ذات التطريز والخيوط الملونة بالنسبة للبنات.. وأما الأولاد، فلا يقلون منزلة

عن البنات، فهم يرتدون أجمل الثياب (كندورة جميلة بألوان هادئة، وقحفية مطرزة)، ويعلقون في رقابهم أكياساً قماشية مميزة، يسمى واحدها «خريطة».. وفي عصر ليلة النصف من شعبان، يخرج الأطفال على حفنات من الحلويات والمكسرات. يقوم معهد الشارقة للتراث بإحياء هذه المناسبة من خلال إعداد برنامج خاص للأطفال والأهالي والمؤسسات ذات الصلة المشتركة.

إحياء مفردات قديمة

ويُقيم المعهد أيضا، احتفالية «بشارة القيظ» وهي احتفالية سنوية تُقام بالتزامن مع بداية فصل الصيف وبشارته الجميلة، وذلك في إطار خطة المعهد لتنفيذ مجموعة من البرامج والفعاليات القائمة على إحياء المفردات التراثية القديمة، بهدف نقلها إلى الأجيال المعاصرة، وتعريفهم بها، وتوعيتهم بأهمية الحفاظ عليها، لما تحمله من معان تربط الماضي بالحاضر بباقة من الأعراف والتقاليد التي تعد ركيزة أساسية للمجتمع الإماراتي. وهناك «ملتقى الحرف التراثية» الذي ينظمه معهد الشارقة للتراث، بتوجيهات سامية من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للإمارات حاكم الشارقة، حيث وضع مسألة صون الحرف التراثية وإحيائها ونقلها وحماية مبدعيها على رأس أولويات العمل الثقافي والتنموي في إمارة الشارقة. ويرافق الملتقى فاعلية علمية تناقش محورًا من محاور التراث الثقافي ذات الصلة بالحرف التراثية، يدعى إليها باحثون وخبراء من داخل الدولة وخارجها، يطرحون التجارب والأفكار في سبيل تنمية تبادل الخبرات، والتدرب على طرق المحافظة على هذه الحرف ونقلها وتطوير منتجاتها، لتكون مصدر دخل لكل الحرفيين والمشتغلين بهذه الصناعات.. وبهدف تنظيم ذلك الملتقى صون الحرف التراثية، وتوسيع نطاق المشتغلين بها، وتعزيز مكانتها وتنمية صناعاتها، والترويج لمنتجاتها، وتوثيق الصلة بين الحرفيين والجهات الداعمة لهم ■

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

*كاتب مصري مقيم بالإمارات

الحيوان في المخيال الإنساني

شريف مصطفى محمد
كاتب مصري مقيم في الإمارات

يقال إن الإنسان حيوان ناطق، لكن الببغاء طائر ناطق. ولكل جنس من الحيوانات لغته للتواصل ما بين مسموع ومحسوس، لكن الإنسان يتفرد بأنه مخلوق متخيل. قدرة الإنسان على التخيل وخلق صورة ذهنية من العدم هو الحد الفارق ما بين عالم البشر وعالم الحيوان ومن الخيال إنطلقت الحضارة حتى وصلت البشرية إلى ما وصلت إليه حالياً. وعبر تلك الرحلة كان للخيال الإنساني آلياته للتعامل مع الموجودات المحيطة به ومنها عالم الحيوان في الآتي من المقال نتعرف في ومضة على الحيوان في المخيال الإنساني وكيف ضفر الإنسان عالم الحيوان في إبداعه وخاصة الإبداع الأدبي؟

أنسنة الحيوان في مخيال الإنسان القديم

حين ظهر الإنسان على الأرض بأنواعه القديمة التي كانت أقرب لعالم الحيوان ورغم ذلك كان له قدرة على التخيل ووضع الحلول لتحدياته فصنع بعض الأدوات البسيطة. ومع ظهور الإنسان العاقل الهوموسابينس HomoSapiens وفق ما قدر بعض علماء الأنثروبولوجيا منذ أكثر من 75 ألف سنة أصبح للخيال أثر كبير في اتساع حدود الوعي لديه. فحول الحيوان في خياله إلى كائن ناطق وخلله تصوراته لمحيطه الغامض وعكس ذلك على سردياته ورسوماته، فأصبح أنيساً له على جدران الكهوف. ومع تحول سردياته إلى أساطير امتلأت بالحيوانات الناطقة المؤنسنة. وفلم يتوقف الأمر عند تخيله للحيوان فحتى يأتنس الإنسان القديم بكل الموجودات التي تحيط به سحب عليها بعض صفاته فأنسن الجبال والأشجار وغيرها من الموجودات إلى جانب الحيوان في سردياته وأساطيره. ورأى في الحيوان رموزاً مختلفة للصفات وللكثير من القيم الإنسانية التي تراكمت مع التطور الإنساني عبر الزمن. وتحولت بعض الحيوانات إلى معبودات في بعض الحضارات القديمة كالديانات الطوطمية وحتى اليوم يمثل الحيوان كائنا مقدسا عند بعض الديانات.

وبالعودة إلى الموروث الشعبي للشعوب نجدنا وجها لوجه أمام نماذج بدائية من الأمثال والقصص والحكايات والأساطير التي استخدمت الحيوانات كدلالات على قيم أو صفات محددة، فمثلا الثعلب سار رمزا للمكر والخديعة. اختلفت الدلالات لنفس الحيوان أو الطائر من ثقافة لأخرى فالبومة رمز للحكمة عند الشعوب الأمريكية القديمة في حين أنها رمز للتشاؤم عند بعض حضارات الشرق وحتى اليوم ما زلنا ننظرلها هذه النظرة في ثقافتنا العربية. ورغم ما وصلنا له الآن من تفوق للعلم وتطور تكنولوجي وتدفق المعرفة المادية المفسرة للكثير من تلك الظواهر التي كانت مربكة للإنسان القديم وصنع أساطيره إتكاء عليها فما زال الإنسان يجتر ذلك الموروث البشري والرصيد العميق في رحلته مع الوجود حتى الآن، ويلجأ للحيوان ليستنطقه في الإبداع الإنساني بكافة فصولة وخاصة في الإبداع الأدبي والفني.

الحيوان في الأدب الإنساني

اهتم الأدباء والفنانون بالحيوان وكان بالنسبة لهم أرضاً خصيبة يستنبتون فيها الكثير من أعمالهم الابداعية. منذ أن رسم الإنسان الأول الحيوانات على جدران الكهوف وكانت جزءاً من الحكايات والأساطير القديمة كما أوضحت سابقاً. سنجد الحيوان حاضراً في سرديات وفنون جميع الثقافات والحضارات الإنسانية، وجزءاً أصيلاً من الفولكلور الشعبي للمجتمعات. وكان السرد القصصي المتكىء على الحيوان يستخدمه كسارد وبطل للأعمال مثل خرافات إيسوب اليوناني (620 - 560 قبل الميلاد) وبعض حكايات الأدب المصري القديم والتي كانت تقدم القيم والمفاهيم الاخلاقية والإنسانية السائدة خلال تلك الأزمنة في إطار سردي . الحيوان حاضراً في السرد الأدبي في حضارتنا العربية قديما فنجد كتاب كليلة ودمنة الذي نقله ابن المقفع عن أصله الذي يعود إلى الهند (فإن كان أصل الكتاب ليس عربياً إلا أن ابن المقفع استطاع تعريبه وصبغه بصبغة عربية) وكتاب ألف ليلة وليلة صاحب الأثر الكبير على السرد الأدبي حول العالم حيث أصبح كتاباً ملهماً ليس للثقافة العربية فقط بل لكل ثقافات العالم، فعلى سبيل المثال على ذلك الأثر ذهب بعض الباحثين إلى تأثر الكاتب تشابه كبيرما بين قصة القداحة العجيبة لاندرسون وبين قصة علاء الدين في الف ليلة وليلة. ولا يمكن أن نغفل أثرالشاعر الفرنسي جان دي لافونتين (1695-1621) الذي كان له دور كبير في تطوير السرد المعتمد على الحيوان حديثاً بكتابته (أساطير لافونتين). وظهر العديد من الأدباء الغربيين مثل جورج أورويل الذي ارتكز على أنسنة الحيوان في روايته الأيقونة مزرعة الحيوان. وهل يمكن أن ننسى رائعة كافكا (المسخ) التي تتبع فكرة التحول ما بين البشري والحيواني وهو نمط قديم منذ الأساطير الإنسانية الأولى الممتلئة بقصص التحول، ولكني أجدها واحدة من أهم الروايات أو القصص التي تنتمي لهذا الجنس الادبي الغربي، وكذلك رواية (تحريات كلب) لكافكا أيضاً ورواية (النورس جوناثان) للكاتب الامريكي ريتشارد باخ ورواية (حياة باي) للكاتب يان مارتل والتي فازت بجائزة المان بوكر البريطانية ولاقى الفيلم المأخوذ منها نجاحاً أظنه فاق نجاح الرواية ذاتها جماهيريا. في الموروث الشعبي العربي نجد الأسطورة والحكايات الخرافية التي أبطالها من الحيوانات والجن حاضرة منذ القدم لكن من الملاحظ أن السرد القصصي المعتمد على الحيوان كبطل كان له زخم كبير قديماً، ولكنه توارى قليلاً في الأدب العربي الحديث وتركز في أدب الطفل المعتمد على الحيوانات بشكل كبير وأنسنتها في التوليفة السردية. رغم ثراء التراث الأدبي العربي والموروث الشعبي بقصص الحيوانات والاعتماد على المرويات على لسان الحيوان، إلا أن الأدباء العرب في العصر الحديث لم يستخدموا هذا الرصيد في إنتاج أعمال إبداعية عربية قوية مثل كافكا أو أورويل أو غيرهم من الأدباء الغربيين الذين نجحوا في ذلك ولا يمكن إغفال استخدام أحمد شوقي للقصص الحيواني في ديوانه الشوقيات وبعض الأعمال الإبداعية التي تستخدم رمزية الحيوان في جزئيات من النص أو تمزج ما بين العالمين مثل رواية طعم الذئب للأديب الكويتي الشاب عبدالله البصيص.

إن الأدب العربي الحديث لم يستخدم الرصيد الكبير من الموروث الشعبي والأساطير المعتمدة على الحيوان وفكرة التحول ما بين الإنسان والحيوان بصورة متعمقة واكتفى به في إبداع الطفل كما أشرت سابقاً. ليظل هذا العالم باباً مغلقاً على كنوز فكرية ومعرفية استطاع الإنسان الفطري القديم أن يقتنصها بصورة أكثر إبداعاً من المبدع الحديث المدجج بكل هذا الرصيد الكبير من الموروث. فهل يمكن أن نرى محاولات إبداعية حقيقية تعود لذلك الموروث المخبوء في المخيال الثقافي العربي لتستنبت إبداع أدبي حديث يخرج من أرضه الخصبة؟ ■

لحن النصّ ولحن الطريقة

طرائق نغميّة جديرة بانتباهنا

مصطفى سعيد

لا يُعرف في زماننا عن التلحين إلّا أنّه وضع نصٍّ موسيقيٍّ على نصٍّ مكتوبٍ من دون نصٍّ مكتوب، نصٌّ نغميٌّ على نصٍّ كلاميٍّ ينتج ما يُعرف بـ«الأغنية» وهو الأذيع في زماننا - في أمّتنا. أو نصٌّ موسيقيٍّ على نصٍّ حركيٍّ، أو حوارٍ دراميٍّ، أو قصيدةٍ ملقاةٍ، أو مقالٍ مقروء، إلخ، وهو ما عرّفه الناس بـ«الموسيقى التصويريّة». أو نصٌّ نغميٌّ مجرّدٌ من أي صحبةٍ - ما اصطُلح عليه بـ«الموسيقى الآليّة».

فالمشهور بين أهل النغم في التلحين، وضع نصٍّ نغميٍّ تامّ البناء كورقةٍ تُقرأ، إنّما هي تُسمع. لذا فكما لدى الناس موهبة حفظ نصّ الكلام، فللبعض موهبة حفظ النغم، فمن الناس من يقرأ النصّ المكتوب فيخرج كلاماً، ومنهم من يقرأ النصّ المكتوب فيخرج نغماً، فالكتابة إشارةٌ للرمز في حالتنا - سواءٌ عنى حرفاً يكوّن كلمةً تُلفظ، أو حرفاً يكوّن نغمةً تصدح.

هذا إذن تعريفٌ للحن النصّ، والنمذجة عليه أغلب ما يُسمع في وسائل الإعلام المسموعة والمرئيّة العامّة منها وبدائلها على الإنترنت. وعند أمّتنا من قوالبها كثير.

من النموذج الأوّل أنواع الغناء تامّة التلحين المسبق كافّةً مثل الطقّة والطقطوقة والموشّح والمجرور والشيلة والردّ... وغيرها يصعب حصره. ومن النموذج الثاني كلّ أشكال الموسيقى التصويريّة للمسرحيّات والأفلام، والعروض الحركيّة، والوثائقيّة، وغيرها. ومن الشكل الثالث قوالب آليّةٍ تامّة التلحين المسبق مثل البشرف والسماعي والدولاب والاستخبار، والاستهلال، والحركة، وغيرها. على أنّ نهجاً آخر في التلحين وجد في هذا الكون لألوف السنين، وما زال قائماً إلى يومنا هذا، لكن انخفض صوته وقلّ من أدركه. ليس القصد من هذا اللحن المرتجل، إنّما «لحن الطريقة» أو «لحن المسار» أي المسار النغميّ. لذا فليست أيّ الأشكال المسمّاة أعلاه محلّ البحث هنا، بل أشكالٌ أُخرى أغلبها نُسِيَتْ أو سُطِّحَتْ، نباشر عرض بعضها حسب تسلسلها التاريخيّ وتركيبها النغميّ.

الصوت على ساحل الخليج العربي

في غناء الصوت على ساحل الخليج من شبه الجزيرة العربيّة، نجد بعض الألحان تُغنَّى بنصوص شعريّةٍ مختلفة، على أنّ هذا يختلف عن الطقّة أو الطقطوقة التي أيضاً قد توضع نصوص مختلفة على نفس اللحن، فيغنّى نفسه في أكثر من مناسبةٍ، وقد يستمرّ القوم في ترديده وقتاً طويلاً يزيد عن ساعةٍ أحياناً، فالتركيز في قوالب الردّ عموماً على الكلام.

في حال الصوت يختلف الأمر في أنّ اختلاف النصّ الشعريّ يُلزم اختلاف تفاصيل النصّ النغميّ، حتّى لو بدا ظاهر لحنه على حاله، بل أحياناً يصل التغيّر أن يتغيّر الضرب فيتحوّل الصوت مثلاً من «صوت عربي» إلى «صوت شامي» أو «خيّالي»، فهل الاحتفاظ هنا بالنصّ الموسيقيّ المسموع ظاهراً نفس حال حفظه في قوالب الردود مثل الطقّة أو الطقطوقة؟

عودةٌ للتاريخ وجولةٌ في الزمن وسطور الأوراق عسانا نحاول
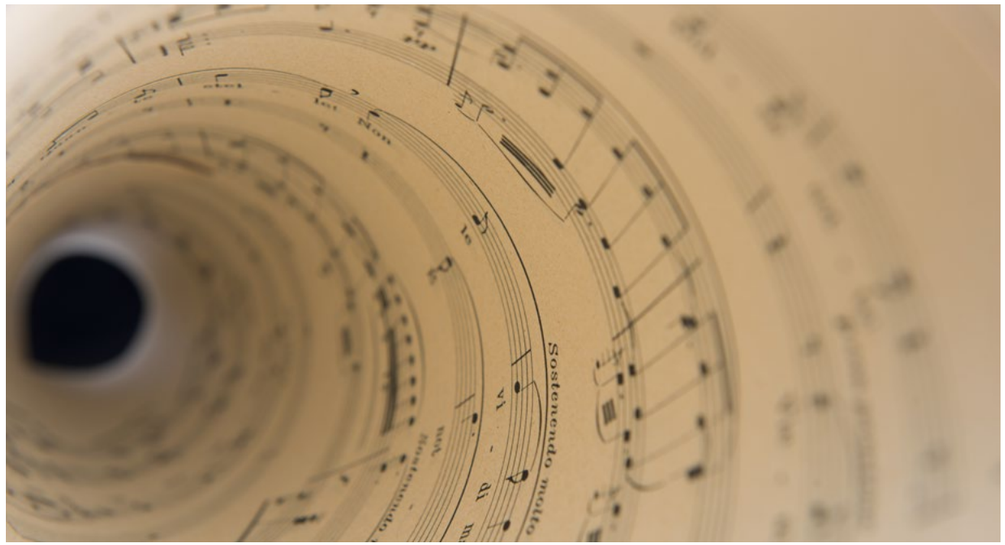
إجابة هذا السؤال: كان ما يشبه المقام والضرب، أي الإيقاع، في زماننا يسمّى طريقة، فيقال: صوت كذا، طريقته كذا ووزنه كذا، فمثلاً في كتابه الأغاني يذكر أبو الفرج الأصفهاني، صوتاً شعرُه لعمر بن أبي ربيعة:

أَيُّها المُنْكِـحُ الثُّرَيّا سُهَيلاً عَمْرَكَ اللـهُ كَيْفَ يَجْتَمِعـــانِ

يُكمل الشعر ثمّ يكتب: لحنه من الثقيل الثاني بالبنصر، وإذا لم يستدلّ على تفاصيله يقول مثلاً: ذكره بن بانةٍ ولم يذكر طريقته. ندرك قصد أبي الفرج من الطرائق والأجناس والأوزان في أكثر من موضعٍ أبرزها ما يورده من رسائل متبادلةٍ بين إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ. فإذا تقدّمنا في كتب التاريخ نجد في أدوار

صفيّ الدين الأرموي تدوينًا لما سمّاه «طريقة» ويسمّي ترتيب النغمات الذي هو السلّم في زماننا «شدّ». فإذا نظرنا للطرائق التي وردت في كتابه، نجد ألحانها قِصاراً، وحتّى الأجزاء المدوّنة من الصوت، نجدها قصاراً أيضاً، على أنّه، عامداً أو غير عامد، يدوّن اختلاف النصّ النغميّ حين يختلف عليه الشعر رغم ظاهر تكراره. الحاصل أنّ كلمة (طريقة) عند أبي الفرج تختلف في القصد بينه وبين الأرمويّ بعده بثلاثة قرون، فإن كان هذا في ظاهر النصّ المكتوب، فماذا عن اللحن؟ يخرج تفصيل هذا الاختلاف في قصد اللفظ ويشتّتنا عن بحثنا، لكن أُشير إليه لأنّ الإشارة لا تفتح أفقاً لإعادة قراءة المقاصد من الألفاظ فحسب، بل ستعيننا على فهم اختلاف منطق وضع فكرة النصّ النغميّ ومقاربتها بالمفهوم والمشهور من مشارب كتابة النصوص الكلاميّة أدبيّةً أو علميّةً أو صحفيّةً فيسهل بتلك الإشارة التقريب لمحبّي النغم غير الدارسين له. لا تُرصد ألحان طويلةً قبل القرن الثامن الهجريّ، وإن نُسب بعضها لموسيقيّين عاشوا في القرن السابع، ورد هذا في قالبٍ غنائيّ يبدو جديداً في زمانه بين القرنين السابع والثامن الهجريّ، ورد باسم «القول» عند قطب الدين الشيرازيّ، وهو لحنٌ طويلٌ يشبه لحن الموشّح في مصر والشام في القرون التالية.

يذكر يوسف بن تغربردي في ترجمة أبيه «تغربردي الظاهريّ أتابك العسكر ونائب الشام أوائل القرن التاسع الهجريّ، الذي عاش أواخر القرن الثامن الهجريّ وأوائل التاسع، أنّ أباه كانت

له جوقةٌ من بضعة عشر موسيقيّ، أغلبهم من النساء، وأنّ هذه الجوقة كانت تغنّي الأشعار القديمة والحديثة، لكنّها لم تكن تغنّي الأصوات القديمة بألحانها.

يستغرق بن تغريبردي في وصفه فيذكر أنّ طريقة التلحين القديمة تختلف عن المعاصرة في زمانه نظاماً وطبعاً، ويقول إنّ طريقة التلحين الأقدم كان لبراعة المغنّي فيها الأولويّة، لكن يصعب أداؤها بجوقة مغنّين أو بطانة، وأنه لم يكن فيها ترنّمٌ من دون كلام. ثم يذكر طريقة التلحين في عصره التي لا تختلف في جوهرها عن عصرنا، أي وضع نصٍّ نغميٍّ يقل فيه الاعتماد على براعة المؤدّي في الابتكار. على أنّ بن تغريبردي يقول إنّ طريقة التلحين الأقدم منه ما زالت موجودةً في عصره حين يؤدّي الغناء مؤدٍّ منفرد أو يؤدّي النغم عازفٌ منفرد. الحاصل أنّ وضع الطريقة الآليّة أو البسيط في الصوت الغنائيّ، لم يكن لتكراره، بل للبناء عليه، وهذا يعيدنا للصوت على ساحل الخليج من شبه الجزيرة العربيّة، وقوالب أخرى نتحدّث عن بعضها تفصيلاً في هذه المقالات.

لحن الصوت قصير، إذا قُرِئَ نغماً من ورقةٍ، ينتهي أداؤه في دقيقةٍ أو أقلّ، يصل أداؤه عند بعض المغنّين إلى ثلث ساعةٍ وأكثر، من دون إعادةٍ ولا ملل.

هذا النصّ النغميّ القصير الذي يقبل أكثر من نصٍّ شعريٍّ ليس لحناً إذن، بل نهجٌ وضعه الملحّن، واضع النصّ النغميّ، للمؤدّي، المغنّي الذي هو حلقة الوصل بين واضع النصّ ومتلقّيه، فيسلك هذا المؤدّي عليها ما شاء وما يُفاض عليه من الفتوحات، يختار الملحّن «المرشد» النغمة، يضع المسار اللحنيّ بناءً على سلّم هذه النغمة وطبعها أي مجرى العمل فيها أو «السير»، يأخذ المؤدّي هذا المسار وهو عالمٌ بسلّم اللحن وطبعه، ووزن الشعر ووزن الإيقاع اللحنيّ فطرةً أو دراسةً أو كليهما، يسري في الأداء بتشبيك المسار النصيّ الموضوع مع مسار السلّم والطبع للمقام تشبيكاً للعروق لجريان الدم بها، فيتجدّد هذا النصّ - تأويلاً لا إعادةً، فينطبق عليها قول الجاحظ ما معناه: «لا يجدّد الشاعر في المعنى، إنّما المعاني موجودة والإجادة في الصياغة، أو ما يسمّيها هو الصنعة».

لنأخذ مثلاً لحناً يُقال له «صوت هندستاني» نغمته «راست» وضربه «عربي» ست نبضاتٍ متوسّطة، نصٌّ موسيقيٌّ لا يلتزم نصًّا شعريّاً واحداً، بل لا نكاد نسمع مؤدّيَين أنشدا هذا اللحن بنصٍّ شعريٍّ واحدٍ على ساحل الخليج العربي بطوله، رغم تعدّد ما وصلنا من تسجيلاته منذ عشرينيات القرن العشرين.

يُكتفى بإيراد ثلاثة أداءاتٍ لهذا اللحن هنا، أداءان لمغنٍّ واحدٍ

«عبد اللطيف الكويتي» بينهما أكثر من عقد، والثالث بصوت «يوسف البكر» في الخمسينيات،

المستغرب أنّ بحور القصائد المختار أداؤها على هذا اللحن، من بحري الطويل والكامل، وهما بحران يتفقان - عند المقاربة - مع لازمة العواذل المستخدمة في القصيدة على الواحدة في مصر والشام، ما جعل أغلب القصائد المغنّاة على هذه اللازمة من هذين البحرين، وهذا أمرٌ نفصله لاحقًا في محلّه -بالمقاربة مع الصوت.

عودةً للصوت الهندستانيّ المذكور، فتسجيله الأوّل أواخر العشرينات بصوت عبد اللطيف الكويتي على نصٍ منسوبٍ ليزيد بن معاويةٍ مع بعض اختلافٍ في الكلام «شَرِبْنا عَلَى النِسْرِين» والثاني بعده بعقدٍ تقريباً، على نص المتنبّي «بِأَبِي الشُمُوسُ» وآخر التسجيلات المختارة بصوت يوسف البكر في شكل «استماع» على نص سعيد بن أحمد البوسعيدي «يا مَنْ هَواهُ أَعَزَّهُ وَأَذَلَّنِي» منتصف الخمسينيات.

ظاهر الحكم على غناءٍ يختلف فيه النصّ الشعريّ على نصٍّ نغميٍّ واحدٍ، خصوصاً عند النقّاد المحدثين الدارسين في الأكاديميّات العريقة، أنّها بساطةٌ نغميّةٌ. وقد يتطرّف بعضهم فيقول «بدائيّة». وهو حكمٌ ربما يُطلقونه وفي أذهانهم ما يُسمعون كلّ ساعةٍ من أنغامٍ مختلفة، وما يشاهدون من صور مجاميع عزفٍ وغناءٍ كثيرة العدد، أو ما يطالعون من كتبٍ ضخمة تحوي رموزاً نغميّةً، وما في ذلك من ظاهر إبهار. أما، إذا غُصنا في عمق هذا النصّ النغميّ الذي يحكم عليه هؤلاء بالبساطة في معناها السلبي؛ فأول ما يصل إلى الذهن: كيف نجح المؤدون في تقطيع بحور شعريّةٍ مختلفةٍ من دون إخلال بالمدود والإقصار ولا بدورة الإيقاع؟ وكيف تمكّن اللحنُ العبور سالماً من التحوّر والنسيان رغم اختلاف النصوص الشعريّة عليه؟ عينتان من أسئلة كثيرة تعبر

حتّى قبل السؤال الأهمّ: لماذا اختار المؤدّون هذا النصّ النغميّ وسيلةً للتعبير عن باطن معنى الشعر في كلّ النصوص الشعريّة التي أُنشِدَت عليه؟

ندخل لفكرة «لحن الطريقة» من التعبير عن النصّ الشعريّ: يُفترض أنّ النصّ النغميّ هنا وسيلةٌ لإيصال معنى الشعر، فكيف تعبّر عن أبيات شعرٍ كثيرةٍ بنصٍّ نغميٍّ صغيرٍ يكفي بيتاً واحداً تقطيعاً؟ الحلّ في تطوير هذا النصّ ليكون كالبيت الأوّل في القصيدة، أو لنقل يُقارن ببيت القصيد في القصيدة، فالنصّ النغميّ الصغير إذن بيت قصيد، نقطة انطلاقٍ تُصاغ منها بقيّة القصيدة النغميّة، فإذا انتهى اللحن «النواة» بنهاية أوّل بيت، فالبيت الشعريّ الثاني سيكون النقطة التي يجلو فيها للمتلقّي دورَ المؤدّي في اللحن، ذوبان الملحّن في المؤدّي ليصبحا كياناً واحداً، فيصبح الأداء جزءًا من التلحين، ويلحَق المؤدّي الملحّنَ اسماً وفكرةً. ينفّذ هذا، بأخذ هذا البرعم النغميّ نهجاً يسير فيه المؤدّي وينسج عليه ثوبه، بالثقة والتواضع، ثقة الملحّن في معرفة المؤدّي قصده ونهجه وإن كان هذا بعد قرون، وتواضع المؤدّي وانكساره أمام الإنسانيّة والتاريخ والنغم. فلا يكسر الإبريق الذي صُنع له، بل يصونه ويسبك عليه ممّا يُفاض عليه مكافأةً على تواضعه من فيوضٍ وفتوحاتٍ فيذوب البرعم النغميّ ويتمدّد ليصبح معبّراً عن إرثٍ كاملٍ داخل النصَّين الشعريّ والنغميّ، ثمّ ما بداخل واضع النصّ الشعريّ والنغميّ والمؤدّي وما بينهما من أجيال حضر تسلسلها لإنضاج هذا المنتج. يأخذ المؤدّي كلّ تسلسلٍ نغميٍّ مستقلًّا فيصيغ على أساسه تسلسلاً ثانياً فثالثاً إلى ما شاء، ثمّ يعود لتسلسلٍ آخر في البرعم ويفعل فعله الأوّل، ثمّ يدمجهما أو غيرهما وما صنع في حلقةٍ نغميّةٍ لا تنتهي بأداءٍ واحد، بل يسمع مؤدٍّ فعل من قبله أو مجايله، بل فعل نفسه، ومن السبك يخرج سبكاً آخر لا يفنى، بل يُستحدث كلّ أداءٍ طاقةً لا تنتهي فيدوم تجدّدها.

في حال الصوت، خرج عبد اللطيف باللحن من نصّ يزيد بلحنٍ به ما به من فرحةٍ ممزوجةٍ بسخريةٍ وبكاءٍ على ماضٍ تولّى، ومن نصّ المتنبّي، خرج هو نفسه من نفس البرعم النغميّ بشعور الرقّة والعذوبة في مخاطبة حبيب.

أمّا الثالث «يوسف البكر» فقد استغلّ النصّين الشعريّ والنغميّ ليخدم شعوره بكبر سنّه وذهاب أيّامه، وكأنّما يقول كيف السبيل لوصالك أيّها الشباب؟

ماذا لو كان النصّ النغميّ جامداً؟ ألم يكن ليذهب بذهاب أيّامه وتغيّر زمانه؟

مرونة النصّ النغميّ هي ما أهّلته لكي يعبر كلّ هذه الحواجز الزمنيّة والتعبيريّة.

هذا شرحٌ لبرعمٍ نغميٍّ غير مركّب، والتراكيب النغميّة على هذا النوع من التلحين تُذكر تباعاً ويُروى تاريخها وشرح أهمّها في كتابات مقبلة، لعلّها تفيد محبّي النغم وأهله ■

مبدعون إماراتيون:
إكسبو 2020 دبي يحتضن العالم وثقافاته

فاطمة عطفة

يشكل إكسبو 2020 دبي حدثا استثنائيا يحتضن أجمل ما توصلت إليه الهندسة والتكنولوجيا في العالم من إبداع في فنون التصميم والابتكار والصناعة والتنسيق في الشكل والمحتوى، وحول انعكاسات إكسبو على الثقافة المحلية والعالمية يقول الأديب محمد شعيب الحمادي، عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب: كما يعلم الجميع أن دولة الإمارات تحتضن أكثر من مائتي جنسية منذ زمن بعيد، هذا الاختلاط أدى إلى تنوع في اللغات والثقافات.

ومع هذا التنوع، كان هناك انسجام وتناغم بين تلك الثقافات المتعددة، وهذا يبين لنا مرونة الشعب الإماراتي في التعايش مع الآخر فكريا وثقافيا، ولا يعني ذلك تخلينا عن ثقافتنا التي نعتزبها. ويضيف الحمادي أن إكسبو جاء لكي يعزز هذا التناغم بشكل أوسع وأعم، حيث أن العالم كان يسمع عن هذا التنوع، ولكن الآن بات متيقناً بأن دولة الإمارات، ليست منغلقة على نفسها، بل تحترم وتقدر ثقافة الآخرين، والمشاركين في حفل افتتاح إكسبو كانوا من ثقافات وجنسيات مختلفة، مؤكداً أن إكسبو منارة الأدباء والمفكرين، وليس فقط بقعة جغرافية تجتمع بها الشركات، ولكنها أيضا منارة السفن الأدبية على اليابسة. إن الخيال الأدبي كان له الحظ الوافر حيث بدأ الإلهام يجالس الشعراء والأدباء قبل وبعد الافتتاح، كما أن حالة الانبهار من روعة التصميم وحفل الافتتاح، ونجاح القادة كان بمثابة الإلهام للكتاب والأدباء لتعميق نتاجهم الفكري في الشعر والنثر والأعمال الأدبية عامة، مبيناً أن هذا الحدث المبني على روعة التصميم ممزوجاً بالإرث الثقافي وتنوع اللغات والألسنة، كان سببا في بوح الكثير من الكتاب والأدباء. وحول تأثيرات النتاج الأدبي أكد الحمادي ذلك قائلا: يستطيع الكاتب أن يطوع هذا الحدث في زيادة إنتاجه الأدبي من خلال الأحداث والفعاليات، وأيضا من خلال الزيارات الميدانية لكل جناح من أجنحة الدول المشاركة، فالعالم كله اجتمع على بقعة جغرافية صغيرة، وفي مدينة إماراتية، وهذا بحد ذاته يجعل الكاتب يسافر من دولة إلى أخرى في زمن قياسي، هذا الأمر يثير خيال الكاتب حتى يبوح بما دار في خلده، ليخرج لنا الإبداع الفكري والأدبي في إصداراته.

حركة ثقافية وتبادل معارف

وحول انعكاسات إكسبو على الثقافة المحلية والعالمية تقول الفنانة عزة القبيسي: لا يوجد شك في أثر هذا المعرض العالمي على الدولة المستضيفة، أولها تصميم وبناء الأجنحة التي تم تشييدها داخل إكسبو، إضافة إلى الحركة الثقافية فهي تفتح مجالات كثيرة من تبادل ثقافي وفني مع الدول المشاركة، مما يؤدي إلى أيضاً إعطاء المبدعين فرصاً جديدة، سواء كان كاتباً أو شاعراً أو فناناً تشكيلياً. وتتابع القبيسي موضحة أن علينا أن نستقبل إكسبو بإداعاتنا وأعمالنا وحضورنا ومشاركاتنا المختلفة في هذا الحدث العالمي. وترى القبيسي أن الإبداع في التصميم الهندسي لهذه الأجنحة والمؤسسات العالمية المشاركة في معرض إكسبو: هذه النماذج الهندسية والفنية والأدبية والتراثية مجتمعة تدعم بعضها بعضا، وإن وجود الأعمال الفنية من ضمن هذه المباني المعمارية التي تم تخصيصها لإكسبو ودمج الأعمال الفنية المعاصرة الإماراتية ضمن هذا المشروع، يؤكد ضرورة وجود كل أنواع الفنون في هذا المحفل الثقافي والفني لأنه جمع التكنولوجيا وأنواع الفنون بأشكالها جميعها تحت سقف واحد، فوجود فنانين إماراتيين مشاركين في أجنحة مختلفة يغني تجاربنا، وأنا

لي مشاركة في جناح مالطة والجناح السوري، وهذا يعتبر فرصة مواتية ومساحة مهمة لوجود الفنان في المشاريع الموجودة في المعرض وله بصمة فنية وجمالية كبيرة في تصميمها وإنجازها.

تجربة توسعية رائعة

وفي لقاء عازفة البيانو إيمان الهاشمي ونظرتها لما في إكسبو من فنون وعلاقات عالمية، تقول: يعد معرض إكسبو تجربة توسعية رائعة لتمثيل دولة الإمارات على الساحة الدولية، كما يمنح شعبها الفرصة أن يبرزوا للعالم قدراتهم في شتى المجالات كالاقتصاد والاستثمار والفنون والثقافة والتجارة وغيرها، مع بيان أهم الصفات النبيلة والأخلاق الحميدة لأبناء هذا البلد كالكرم والتسامح وحسن الضيافة، الأمر الذي سيجعل من دولة الإمارات واجهة سياحية واستثمارية رائدة، ناهيك عن تبادل الأفكار والاختراعات بين شتى الدول العالمية، مما سيعود بالنفع على النطاقين المحلي الداخلي والدولي الخارجي، ولا بأس إن قلنا حدود الفضاء أيضاً. أما عن جمال تصميم الأجنحة والإبداع الهندسي والتكنولوجي، فتقول الهاشمي: الخيال لا سقف له تماماً كالإبداع في كل فن، وبما أنني ملحنة وكاتبة وابنة مهندس خريج بريطانيا (أطال الله في عمر والدي) فإنني أستطيع تفهم جوانب الجمال في فنون الهندسة، وبالتالي ما نراه اليوم من إبداع معماري في إكسبو يمثل الطبيعة والخيال بطريقة تفكير المصممين الذين قاموا بنسج كل هذه الدهشة على هيئة تصميم يأخذ الألباب، ويذهل القلوب والعقول على حد السواء، كما لا ننسى الجانب الإنساني المتميز الذي نشاهده أيضاً، فعلى طريقة الحضارات القديمة الرائعة تمت كتابة أسماء جميع العاملين والقائمين في هذا العمل، ونحتها على جدران هذا الصرح العظيم، الأمر الذي يجعلنا نعجز عن وصف روعة الجمال والإبداع. وعن الأهمية التاريخية لهذا الحدث حيث يصبح إكسبو علامة بارزة سوف تترك أثرها في خيال الأدباء والفنانين، تقول الهاشمي: في الحقيقة العالم بعد إكسبو ليس كالعالم قبله، حيث يعتبر هذا الحدث الضخم عاملاً فعالاً لاستقطاب وتوطين التكنولوجيا، وتصدير أنماط مختلفة ومبتكرة جديدة، ومقر المبدعين الأمثل على كوكب الأرض، كما أن خيال الأديب سوف يجده أرضاً خصبة وقابلة لزراعة الأفكار الجديدة والمثمرة، باعتبار الإمارات بيئة مناسبة جداً ومستدامة للإبداع الإنساني. وترى الهاشمي أن إكسبو يشكل منصة نشيطة وفعالة لتنمية التفكير الإبداعي وتعزيز المهارات الفردية والقدرات البشرية والطاقات الاستيعابية، خاصة في فئة الشباب والأجيال القادمة في سبيل بناء مستقبل أكثر إشراقاً وتطوراً، وذلك من خلال التعرف على مهن المستقبل، وربما اكتشاف مهن أخرى لم ندركها بعد، بالإضافة إلى تعزيز القطاع السياحي بشكل خاص نتيجة الأعداد الكبيرة من الزوار المتوقع حضورها لهذا المعرض، ولا ننسى أهمية تعزيز الشراكات الدولية، مما سيعزز العلاقات الطيبة المشتركة مع جميع دول العالم. باختصار أرى أن إكسبو بداية انطلاقة قوية ومتمكنة لما هو أبعد من مجرد إقامة مميزة لمعرض عالمي.

ابتكارات وحلول جديدة

وجمال فن التصميم والبناء أول ما يلفت نظر الزائر في إكسبو سواء في استلهام التراث أو التشكيل الحديث، وحول هذا المعرض العالمي تقول الفنانة التشكيلية خلود الجابري: يحظى معرض إكسبو الدولي باهتمام عالمي واهتمام خاص من القيادة الرشيدة، لذا كان العمل منذ سنوات لهذا الحدث المهم، فالكثير من دول العالم قامت بالاستعداد لهذا الحدث المتميز فقامت بابتكار نظم وأفكار وصياغة حلول تخص المجتمع وتوفير فرص عمل غير عادية تعرض لملايين البشر، والمعرض سوف يخلق علاقات بين الشعوب، واكتشاف آفاق جديدة للتعاون والمشاركة بين الدول، والاحتفاء بالتعددية الثقافية كمثال فريد في العالم، وسوف يخلق التنوع المعماري والفني والتراثي ويعطي رؤية جديدة لكل مجال، فكل دولة سوف تعرض فنونها وتراثها وهنالك دول لأول مرة تشارك بكل ما يتعلق بالثقافة والفنون، إذ يمثل معرض إكسبو بوابة للإبداع، كما يتميز بالتغيير والانفتاح على آفاق عالمية، والمعرض سوف يتيح فرصة التعرف على الثقافات الأخرى من خلال فنونها وتراثها وهذا سيسهم في تطوير الحركة الفنية المحلية.

فنّا الموسيقى والرسم

د. نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

فطر الله سبحانه وتعالى النفس البشرية على حب الجمال فتميل النفس إلى كل ما هو جميل في هذا الكون «إن الله جميل يحب الجمال».

يعبر الانسان عن مفهوم الجمال باستخدام أدوات فنية عديدة ومنها الرسم والموسيقى. ولمحاكاة جمال الطبيعة، ابتكر الإنسان البدائي أدوات مستوحاة من الطبيعة لتصدر أصواتاً تحاكي أصوات العصافير والشلالات والأمواج التي تريح النفس البشرية. الآلات الموسيقية مصنعه من عناصر طبيعية، فعلى سبيل المثال يُصنع جلد سطح آلة القانون من جلد الماعز أو السمك أو الأرنب، تسمتد الآلة أخشابها من النباتات (الزان، الأبنوس، الأبلكاش، المجنا) وتصنع أوتارها من أمعاء الحيوانات، كما تزين وتزخرف أخشابها بأصداف البحار.

كما ابتكر الانسان البدائي آلات النفخ كالناي المصنعة (من عظام الحيوانات والأخشاب).

يقول توماس كارسل عن الموسيقى، «إن قلب الطبيعة في كل مكان هو موسيقى».

إن جمال الموسيقى التجريدية (المجردة من الكلمات) أنها مجال مفتوح للعديد من التأويلات لدى المتلقي. ويرى كبار الموسيقيين أمثال ريتشارد فاجنر (1813 - 1883) أن «التعبير الموسيقي، غامض مبهم يسمح بالعديد من التفسيرات والتأويلات». المتذوق للموسيقى الذي يستمع إلى مؤلفات الموسيقية لكبار الموسيقيين أمثال بيهوفن وموزارات وسبستيان باخ يقوم بإسقاط تجربته الذاتية على الألحان التجريدية، وبناء عليها يقوم الذهن المستمع بتخيل حادثة معينة يسقط أحاسيسه عليها وأغلبها تكون مشاعر مفتعلة، وخيالات وأفكار لا علاقة لها بفكرة المؤلف، ويتم تأويل الموسيقى التجريدية من خلال التجربة الداخلية للفرد ذاته.

فكل واحد منا يفهمها بطريقته الخاصة. وهذه التأويلات لا علاقة لها من قريب، أو من بعيد، بالموضوع الأصلي للموسيقى التجريديه. ويرى كبار الفلاسفة أمثال أفلاطون، وأرسطو، إن إعجابنا بالموسيقى يرجع إلى مخاطبتها الجانب الباطني والروحي في النفس البشرية. يستوحى المؤلف الموسيقى فكرته الموسيقية بناءً على معطيات بيئية ويستمد مؤلفاته من حياته الخاصة، أو من الظروف السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية المحيطة به في البيئة الخارجية. وقد تكون المقطوعة الموسيقية المؤلفة لها عدة استلهامات منها ما هو ذاتي وعام. فعلى سبيل المثال المقطوعة الموسيقية التي ألفها الفنان العالمي نصير شمه بعنوان «رحيل القمر» تمثل قضية ذاتيه، أهداها إلى روح أخته التي قُتلت غدراً في العراق، والمقطوعة الموسيقية بعنوان «العامرية» مستوحى من حدث بمنطقة العامرية بالعراق حاكى فيها عن طريق العزف صوت صفارة الإنذار والإسعاف، وهي في طريقها لنقل الأطفال العراقين المصابين جراء القصف الأميركي عام 1991 بحي العامرية.

والتي تعكس حاله من الألم بداخل الفنان نصير. فالمستمع قد يصف هذه المؤلفات الموسيقية بأنها تمثل قصة حب أو حالة حزن أو فرح من دون معرفة أسباب تأليفها، وذلك لأن كل شخص منا يفسر احاسيسه اتجاه المقطوعة بناء على تجربته الشخصية. وهذ الأمر ينطبق على جميع المؤلفات الموسيقية، فعلى سبيل المثال ألف الفنان بيتهوفن السيمفونية الثالثة «الانتصار» تعبيرا عن رفضه للصراعات الأوروبية، وأنتج لنا لوحة سمعية تسافر معاها على حسب تجاربنا الفردية إلى عالم يخص تجربنا الشخصية في الحياة ربما ملئة بالفرح والحزن والاشواق أو الحروب. بينما الموسيقى المصحوبة بالكلمات (كالقصيدة الملحنة) مثلا تعد واضحة غير مبهمة للعقل، حيث تعمل على لفت انتباه المتلقي إلى موضوع، الكلمات تجبر العقل على تزكر على الموضوع. فمن خلالها الكلمات يستطيع العقل تحديد المعنى التجريدي للموسيقى بسهولة، ويسر.

فعلى سبيل المثال أغنية الفنان محمد عبده، «اختلافنا من يحب الثاني أكثر» لا يمكن للعقل الشرود بعيداً عن موضوع (العشق والغرام)، فالعقل يجبره على تخيل علاقة الحبيب بحبيبته. في اللوحات الفنية يحدد الرسام هويته واتجاهاته وفلسفته في الحياة وينثر تصوراته وأفكاره ومشاعره في اللوحة المرسومة، التي تلخص مجموعة من الرسائل والمشاعر المكبوتة لديه. يقوم الرسام من خلال الرسم بعملية «تفريغ إبداعية» وهي أنجح الوسائل لعلاجه من الضغوط النفسية، حيث يستثمر خبراته المتراكمة، من أمل ورفض وفرح ومعاناة بطريقة فنية.

إنّ توظيف الألوان في اللوحة لها مدلولاتها منها ما يعبر عن الراحة والحب، ومنها ما يثير مشاعر القلق والاضطراب والحزن. كل فرد منا يفسر الألوان المنثورة على اللوحة على حسب علاقته الشخصية باللون وربما لا علاقة مباشره له باللون المستخدم في خيال الرسام.

يفسر بعض الاشخاص اللون الأحمر بانه انعكاس لون الدم فينفر منه ويضعه في إطار سلبي، غالباً ما يستخدم اللون الأحمر ليضفي نوع من التوازن على اللوحة المرسومة لأنه من أقوى الألوان اشعاعا ويجب أن يستخدم بمقاييس وبطريقة موزونة في اللوحة. فالأثر الإيجابي أو السّلبي للون له انعاكاسات فسيولوجيّة ونفسية؛ لذا كان هناك مراعاة واضحة لنفسية أفراد المجتمع عند توظيف مفهوم الألوان في الحياة العامة كالمؤسسات التعليمية: المدارس والكليات، والمؤسسات الصحية: المستشفيات والعيادات، وفي الموسسات الحكومية بشكل عام، خاصة مكاتب عمل الموظفين.

هناك العديد من مدارس الرسم منها المدرسة الواقعية والتجريدية. تعكس لوحات المدرسة الواقعية معاني واضحة بألوانها المستمدة من الطبيعية، كما هو الحال لدى الموسيقى المصحوبة بكلمات تصبح واضحة المعنى للمتلقي يجبر كلا الفنين عقل المشاهد أو المستمع على التركيز في معاني واقعيه مسموعة ومرئية، أما إذا كانت اللوحات المعروضة تتبع المدرسة التجريدية فتكون غامضه في ألوانها وخطوطها المتعرجة، إذ تفتح المجال للعديد من التساؤلات والتأويلات كما هو الحال لدى الموسيقى التجريدية التي تفسح المجال للشرود العاطفة والعقل إلى عوالم كثيرة.

فالمشاهد لا يعرف الاسباب الفعلية وراء المعنى التجريدى للوحة أو المقطوعة الموسيقية، ولكن يستنتج معانيها من خلال ألوانها أو المقامات الموسيقية من دون معرفة الظروف التي أدت إلى رسم اللوحة أو تأليفه المقطوعة ما. فالمتأمل للأعمال الفنية لا يمكن له معرفة الأسباب الحقيقة وراء التأليف أو الرسم، وحده الفنان يدرك المعاني وسر تلك الألوان والمقامات الموسيقية. إذا لكل فرد طريقته الخاصة في فهم الأعمل الفنية التجريدية . (صورة للوحة تجريدية)

الفن والرسم والموسيقى ضمن المشاريع الخيرية

تكمن أهمية الفن بأنه يسهم في دعم الجمعيات الخيرية والمشاريع الانسانية، بشكل عام يتبرع العديد من الفنانين بريع حفلاتهم إلى الجمعيات خيرية. على سبيل المثال يقوم الفنان نصير شمه بتقدم حفلات على مدى السنة من أجل تقديم الدعم المادي لعديد من الجمعيات في العراق وخارجها ومنها جمعية «طريق الزهور الخيرية»، التي تقدم رعاية طيبة لأطفال الهند وحملة «أهلنا» التي تقدم المساعدة لأكثر من 3 ملايين لاجئ. و«ألق بغداد» بهدف إعمار بغداد.

هناك العديد من المشاريع الفنية هدفها تبرع بريع الحفلات الغنائية أو تبرع بريع اللوحات التي ظهرت أثناء جائحة كورونا في العالم، ففي إسبانيا مثلاً أقام عديد من الموسيقيين بالتعاون مع لاعبي كرة القدم مهرجاناً تحت شعار «معاً لمكافحة كورونا»، بمشاركة 20 فناناً موسيقياً، لجمع الأموال من أجل اء مستلزمات طبية لتزويدها للمستشفيات. ومن أهم التبرعات في عالم اللوحات الفنية .لوحة ساشا جفري، ولدت هذه اللوحة في رحم أزمة كورونا في دولة الإمارات. وترجع قصة هذه اللوحة إلى مارس 2020 وذلك عندما فرض دولة الإمارات حظر التجول وأغلقت حركة الطيران، لم يستطع الفنان البريطاني ساشا جفري السفر إلى بريطانيا وأمضى في دبي 7 أشهر، قرر أن يرسم على قطة قماش تبلغ مساحتها 17.000 قدم مربع واستخدم 1065 فرشاة و6.300 لتر من الطلاء لإتمام اللوحة.

وتم بيعها بـ 62 مليون دولار في مزاد خيري بدبي بعدما فاق التوقع الذي كان مقدر ب 30 مليون دولار.

واستفادت من هذا المبلغ جمعيات خيرية محلية ودولية. دخلت هذه اللوحة موسوعة غينيتس للأرقام القياسية التي تعد أكبر لوحة فنية رسمت على القماش في العالم ■

أنواع الغوص على اللؤلؤ في دولة الإمارات

فهد علي المعمري

قبل أكثر من قرن من الزمان، عرف سكان المنطقة في ساحل الإمارات الغوص على اللؤلؤ، وأهميته في اقتصاد المنطقة، لا سيّما على الصعيد الشخصي للأفراد الذين يعانون أشد المعاناة من هذه الرحلة الطويلة التي تستغرق أربعة أشهر وعشرة أيام، يلاقون خلالها الأهوال والشدائد، وربما قضى بعضم نحبه في هذه الرحلة، وربما نجا ووصل إلى أهله ولكن بخسارة المال والصحة، والمطالبة بمال النوخذا وهو القواظ ذلك الملغ النقدي المدفوع مقدماً للغيص أو السيب، ويكون عليه رادي أي مبلغ معين يجب عليه ردّه للنوخذا في رحلة أخرى للغوص دائما ما تعف بغوص القحّة، وربما وصل سالماً ولكن لا له ولا عليه، وربما عاد بمبلغ زهيد لا يسرّ ولا يضر.

هكذا كانت الحياة قديما، فيها من المعاناة ما فيها، وفيها من التعب والنصب ما فيها، ولكن أجدادنا تحملوا كل ذلك في سبيل توفير الحياة الكريمة والهانئة لأهلهم وأبنائهم، ورغم كل تلك الهموم والخوف في رحلة البحث عن اللؤلؤ قد أمدتنا اليوم بالأشعار التي خلدت تلك الرحلات ووصف ما فيها من المخاصر، وكان بعضهم من الشعراء فسجلوا كل ذلك شعرا، وبذلك وثقوا رحلة الغوص توثيقا تاريخيا وجغرافيا واقتصاديا، وأهم ما سجلوه من الشعر هو أنواع الغوص التي كانوا يقومون بها خلال أيام السنة للبحث عن اللؤلؤ، وبهذه الأسماء عرفنا متى تبدأ أولى رحلات الغوص للبحث عن اللؤلؤ في مياه الخليج العربي التي اشتهرت بالكثير من المغاصات والهيرات والنيوات على طيلة الساحل البحري الممتد لأكثر من 550 كلم ومتى تنتهي آخر رحلة للغوص، بيد أن الرحلة الأكثر شهرة، والأكثر حركة، والأطول مدة هي رحلة الغوص العود، وهذه الأسماء التي حفظوها لنا في أشعارهم، هي على النحو التالي: غوص المِيَنّة، غوص الصيف، الغوص العود، غوص الردّة، غوص القحّة. وهناك أسماء أخرى ولكنها أقل أهمية عن التي ذكرناها، وبعضها يكون خاصاً مثل غوص الغطسة وهو خاص لأهالي أبوظبي، التي تمتلك الساحل الأطول في المنطقة، فكان سكانها يصولون ويجولون في مياه الخليج، وإذا ما تتبعنا الترتيب الزمني لهذا الأسماء من رحلات الغوص فإن أولى الرحلات هي:

غوص المِيَنّة

بكسر الميم وفتح الياء وتشديد النون مع فتحها، وتعرف بالخانجيّة في بعض دول الخليج العربي كالكويت، وهذه المرحلة من أولى مراحل الغوص وتكون مدتها شهر واحد وأحياناً أقل من شهر، وتبدأ في أواخر شهر يناير وبداية شهر فبراير تقريبا، ولا تزال فيه مياه البحر باردة وأحياناً شديدة البرودة، وغالباً ما تكون بالقرب من الساحل حيث أعماق المياه قليلة، ويكون ذلك في أعقاب وانتهاء در التسعين 5/11 - 14/11 من شهر نوفمبر، والذي يظهر فيه نجم الاحيمر، وفيه تكون رياح قوية وعاتية تسمى ضربة الاحيمر، وتعتبر فترة انتهاء در التسعين، في فصل صْفِرِي، ودخول در المئة بمنتصف نوفمبر، وهي فترة حرجه للأسفار البحرية، حيث تحدث عواصف وأمطار، كما أنها . رياح الاَحِيمَر . تحدث أضراراً كبيرة في البحر، وتنتهي بدخول در الثلاثين، وهو نجم أحمر لذا أطلق عليه أهل الإمارات الاحيمر، وفيه أطول ليلة في السنة وأقصر نهار، وضربته تأتي قوية بين صلاتي المغرب والعشاء، وبعدها يذهب الناس إلى حيث يشاؤون لا سيما أصحاب البحر، ويقول الشاعر يعقوب الحاتمي:

هـات القلـم واكـتب يـا كـتّيب
جـرّب بحبـرٍ داخـل دْواه
أَشْغَلْنِيـهْ أْلِاحْسَـاب حَـسِّيب
قَالَـوا أْلِاحِيمَـر طَاف مِينَـاه
يانـا وعذّبنـا تعـذّيب
مطـروح فـي شـدّه وتجسـاه

وكلمة ميناه أراد بها الشاعر هنا غوص المينّة، ويقول الشاعر هلال بن فريح القبيسي:

يـوم وجُـف الغوص مـالي بالميـاني
والبهـانس مثـل بيّاع المدينـة

قبل أكثر من قرن من الزمان، عرف سكان المنطقة في ساحل الإمارات الغوص على اللؤلؤ، وأهميته في اقتصاد المنطقة، لا سيّما على الصعيد الشخصي للأفراد الذين يعانون أشد المعاناة من هذه الرحلة الطويلة التي تستغرق أربعة أشهر وعشرة أيام، يلاقون خلالها الأهوال والشدائد، وربما قضى بعضم نحبه في هذه الرحلة

غوص الصيف

ويأتي هذا الغوص في فترة لا تزال مياه البحر باردة، فعادة ما تبدأ من منتصف شهر مارس وتستمر فترة شهر ونصف تقريباً، كما تكون في المياه العميقة في مناطق هيرات الغوص، ويتوافر فيه عدد لا بأس به من السيوب والغاصة، ويبدأ غوص الصيف في در العشرين بعد المئة الثالثة من 15/3 وفيه يتوفر سمك الصافي والشعري والكنعد والبياح، إلى در الخمسين من 14/4 - 23/4 من شهر أبريل، وفيه بداية حبل سمك البدح والكنعد، ويتوفر فيه الصافي واليانم والزبيدي، وفيه يعلّم الرايح يعني يظهر المزن، ويطلقون على الخمسين والستين محل، يعني أن السنة محل لا مطر فيها. ويقول الشاعر خليفة بن علي:

والسفُـــن بـــا تـــم مْعَلايـــات
مـــا شيّ غوص العـــود والصـــيف

الغوص العود

ويسمى المَدّه بفتح الميم وتشديد الدال، وهو الغوص الرئيس في نشاطات الغوص، ويستمر الغوص العود أربعة أشهر وعشرة أيام، ويبدأ هذا الغوص عندما تكون مياه البحر دافئة في شهر مايو وتستمر حتى بداية شهر أكتوبر، وهنا تبدأ مياه البحر بالبرودة قليلا، فيعودون في رحلة تسمّى بـ «القفّال»، وفي هذا الغوص تذهب السفن بأعدادها الكثيرة وبأحجامها المختلفة الصغيرة والكبيرة بعيدة عن السواحل باتجاه المغاصات ذات العمق الكبير أو المتوسط، ومتى قيل الغوص مجرد من أي اسم يراد به الغوص العود. ويقول الشاعر حميد بن ذيبان:

من عقب غبّـــة أربعـــة بالمهاليـــل
غبّـــة وفي غبّـــة شهـــورٍ طويلـــه
أربـــع شهـــور وْجـــوّ مهْلك وتنكيـــل
يـــا هـــو عنـــا يا هيـــه عيشه مليلـــه

ويقصد الشاعر هنا بالمهاليل أي أربعة أهلة، وهي كنايه عن مدة الغوص التي تستمر أربعة أشهر. ويقول الشاعر خلفان بن يدعوه المهيري:

لـــي نـــهى خلّه يبـــا الغوصـــي
مـــا نسيـــه وْســـار ألِحْضـــاره

والحضارة هي رحلة يقوم بها أصحاب المدن برحلة صيفية تستمر قرابة أربعة أشهر للانتقال من المدن الى المقايظ في فترة الصيف، والقيّاظة يسمون في الماضي بالحضّار، وهذه الرحلة مصاحبة لرحلة الغوص، فالرجال يمدون إلى الغوص العود والنساء والأطفال وكبار السن يذهبون في رحلة الحضارة إلى مواقع الماء وأشجار النخيل مثل سلطنة عمان ومنطقة العين بأحيائها مثل الجيمي والمعترض وهيلي، وكذلك المناطق الشرقية مثل البثنة ودبا وخور فكان، والمناطق الشمالية في رأس الخيمة مثل الغب وشعم وغليلة، إضافة إلى المنطقة الجبلية في منطقة رؤوس الجبال. ويقول شاعر مجهول:

يـ الضنـــا يـــوم مدّينـــا
استـــوى لـــي عـــوق مـــا يـــبرى

ويقول الشاعر راشد محمد بن صفوان:

أول مديـــد وْيـــيت فـــي داس
واهديتـــه طيـــورٍ ضعـــايف

وفي در الستين من المئة الأولى والتي تبدأ من 6/10 - 15/10 من شهر أكتوبر، وفيه تبدأ برودة الجو، ويبرد الماء، لا سيما البحر، وهي علامة لأصحاب الغوص بانتهائه والعودة إلى بلادهم، ويسمى موسم القفّال، وفيه يقول الشاعر:

مرحبـــا الســـتين يتينـــا
مرحبـــا أهـــلا اوحَيّـــه
عـــن قـــواظ الغـــوص فكينـــا
واستـــوا لـــي فـــي البحـــر حِيّـــه
قـــالت ابشـــريالمسيكينـــا
والسنـــه بانجـــدّم البيّـــه

غوص الردّة

وهي مرحلة متأخرة من مراحل الغوص وتأتي في آواخر أشهر الصيف وبعد نهاية مدة الغوص العود، وتستمر لمدة ثلاثة أسابيع أو شهر تقريباً حيث لا تزال مياه الخليج إلى الدفء أقرب منها إلى البرودة. ويقول الشاعر حميد بن ذيبان:

هـــوب مـــن تـــبراة ألِحيـــازي
لـــي هـــل الردّه يغوصونـــه

غوص القحّة

بفتح القاف وتشديد الحاء مع فتحها، هي آخر مرحلة من مراحل الغوص، وهي فترة قصيرة جداً، منهم من يجعلها أسبوعاً واحداً فقط، وتكون قريباً من اليابسة، ومنهم من يجعل غوص الردة والردّيدة هما غوص القحّة، وأكثر البحارة يجعل غوص القحّة هو غير غوص الردّة. ويقول شاعر مجهول:

يـــا ساريـــن القحّـــة
مـــا شفتـــوا خيـــل سْعيـــد
مربوطـــة ف الرّمّانـــه
وْعنـــدي غلاهـــا يزيـــد

الحكايات المغنّاة

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث

للحكايات مكانة خاصة في الأدب الشعبي، كما أن لها دوراً مهماً في جل الحياة العامة والخاصة في الماضي الذي نسميه تراثاً هذه الأيام. فالحكاية كانت المنهج الأول الذي ينشأ عليه الطفل، فمنذ البدايات الأولى لتنشئة الطفل وتعليمه الكلمات الأولى وترقيصه على الأغنية الأولى، تُحكى له حكايته الأولى التي تكون من تأليف الأم. تلك الحكاية مثل بصمة الانسان ليس لها مثيل، فهي حكاية ارتجالية تحكيها الأم للفت نظر طفلها بكلمات وأسماء هي الأقرب إلى ثقافتها ومعتقدها. في الإمارات العربية المتحدة وفي الدول العربية، بل وفي العالم أجمع، ملايين الحكايات التي تعبّر عن عوالم وبيئات ومعتقدات مختلفة. لكنها في غالبها مغلفة بمُثُل الحق والخير والجمال، فجل الحكايات تدافع عن القضايا التي يعاني منها الإنسان جراء نبذ الحق والشر والقبح. ما لفت انتباهي هنا في الإمارات، وقرأت عنه في دول عربية وغير عربية، هي الحكايات المغناة، تلك الحكايات التي تُسرد بلحن خاص وصوت شجي، وقد كانت تقدم للطفل بإطارين متقاطعين غالباً (حكاية ولعبة) فبعض تلك الحكايات يكتفى بها حكاية مغنّاة، وبعضهم الآخر يتعدى ذلك ليصبح حكاية مغنّاة ولعبة تقليدية. من أشهر الحكايات المغناة في الإمارات (خريريفه مجيريفه) تلك الحكاية الأغنية التي تكاد تجد لها العشرات من الأشكال والبنى السردية واللحنية المميزة، وهي:

خريريفة/ مجيريفه/ سبع قطيوات/ معلّقات في التنور/ والتنور يبغي حطب/ والحطب في السمره/ والسمره تبغي جدوم/ والجدوم عند الحداد/ والحداد يبغي فلوس... الى آخر الحكاية. حتى أن مطلع تلك الحكاية المغناة (خريريفه) أصبح اسمًا لهذا الجنس من السرد، فكل حكاية مغناة أو حكاية خرافية غريبة البنية، تسمى في الإمارات (خريريفه) والخريريفة تصغير لكلمة (خرّوفة) أي حكاية خرافية. والخريريفه جنس أدبي شعبي شاع في فترة الحياة التقليدية الماضية، التي تلاشت آخر ملامحها نهاية الثمانينيات من القرن العشرين. عندما تحولت تلك الحياة التقليدية المعاشة في الماضي إلى حياة عصرية، فتغيرت كل نواحي الحياة السابقة إلى أسلوب حياة جديد طغت عليه النزعة الفردية والانعزالية وتشرذمت الأسر وانتهت إلى الأبد الأسرة الممتدة.

الشاهد أن هذا النوع من الأدب الشعبي هو أول نوع تعرض للنسيان والانقراض، فغالبية الرواة إذا ما سئلوا عن الحكايات بأشكالها (الشعبية، والخرافية، والتاريخية، والهزلية، والفراسة...إلخ) فهم لا يذكرون الحكايات المغناة أبداً. ولا حتى على سبيل العد والعدد - فهي نسي دائماً ■

جناح نوعي وبرنامج فعاليات ثري

نادي تراث الإمارات يشارك في معرض الشارقة الدولي للكتاب

إعداد قسم الإعلام

شارك نادي تراث الإمارات في الدورة الأربعين لمعرض الشارقة الدولي للكتاب الذي نظمته هيئة الشارقة للكتاب في الفترة من 3 إلى 13 نوفمبر الماضي، بمركز إكسبو الشارقة، تحت شعار «هنا.. لك كتاب». وقالت فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث التابع للنادي إن المشاركة في المعرض ظلت عرفاً سنوياً ثابتاً ومستمراً من واقع حرص نادي تراث الإمارات على رفد المشهد الثقافي في الدولة بإصدارات متنوعة كل عام تغني المكتبة التراثية الإماراتية، وتحقق رسالته في نشر التراث والتعريف به.

وأبانت أن جناح النادي هذا العام ضم إصدارات جديدة هي كتاب «البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة» للباحثة شمسة الظاهري، ويتناول الدور الحيوي الذي لعبه البحر في حياة أهل الإمارات في فترة ما قبل اكتشاف النفط. وكتاب «معجم الكنايات الشعبية الإماراتية» تأليف عائشة علي الغيص، ويتناول الكنايات العامية الإماراتية، وأصلها الفصيح. وكتاب «رمزية الأمثال الشعبية الإماراتية: دراسة سيميائية ثقافية» تأليف عزيز العرباوي ويتحدث عن الأسس العلمية ومعايير جمع وتوثيق التراث التي يجب أن يلم بها الباحث العربي. بجانب إصدارات جديدة لعدد من دواوين الشعر النبطي، في مواصلة لما انتهجه نادي تراث الإمارات من توثيق لهذا النوع من الشعر والحرص على جمعه وطباعة دواوينه ونشرها.

التراث الشعبي مرجعية حية وإبداع لا ينضب

وضمن البرنامج المصاحب لجناح النادي في معرض الشارقة الدولي للكتاب نظم مركز زايد للدراسات والبحوث يوم السابع من نوفمبر، جلسة حوارية في المقهى الثقافي للمعرض بعنوان «التراث الشعبي مرجعية حية وإبداع لا ينضب» تحدثت فيها الكاتبة والروائية أسماء الزرعوني رئيسة مجلس أمناء ملتقى الإمارات للإبداع، وأدارها بدر الأميري المدير الإداري في مركز زايد للدراسات والبحوث. وأوضحت الزرعوني أن تراث الإمارات ظل متوارثاً جيلاً بعد جيل رغم الوصول إلى الفضاء إلا أن التراث ظل جزءاً مهماً من الشخصية الإماراتية، مشيدة بالاهتمام الكبير بالتراث في كل إمارات الدولة. وأشارت إلى أن حلم المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» بأن تصل المرأة الإماراتية إلى مراتب عالية قد تحقق، حيث وصلت إلى كل مكان. وأوردت الزرعوني عدة أمثلة لتوظيف التراث الإماراتي في الإبداع الشعري والروائي والمسرحي والتشكيلي، لعدد من المبدعين منهم التشكيلي عبد الرحيم سالم، والمسرحي جمال مطر، والروائية مريم جمعة، والروائي علي أبوالريش، وغيرهم، موكدة على أهمية تناول المبدع لتراثه في أعماله، وقالت إن الآخر متعطش لمعرفة هذا التراث، وضربت مثلاً بفوز الروائية جوخة الحارثي بجائزة البوكر. كما تحدثت عن تناولها للتراث في رواياتها وقصصها لاسيما تجربة الكتابة لليافعين عن الشيخ زايد باعتماد الأسلوب

القصصي، ودعت إلى الكتابة للطفل عن التسامح عطفاً على أن الإمارات هي الدولة الوحيدة التي لديها وزارة للتسامح، مشيرة إلى أهمية المؤسسات التراثية مثل نادي تراث الإمارات ومعهد الشارقة للتراث.. مشيدة بدورها في تعريف الجيل الجديد على تراثه. وأثارت الجلسة عددا من الأسئلة والمقترحات حول علاقة الأجيال الجديدة بالتراث وضرورة تقديمه إليهم بطريقة تحفزهم على معرفته، وجاءت المداخلات لتؤكد أهمية ربط الأجيال الحديثة بالتراث ومعرفة الطرق المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

أمثال وأقوال شعبية في الظواهر الجوية

ونظم المركز يوم التاسع من نوفمبر، محاضرة في المقهى الثقافي لمعرض الشارقة الدولي للكتاب بعنوان «أمثال وأقوال شعبية في الظواهر الجوية» ألقاها الباحث في التراث الشعبي جميع سالم الظنحاني وقدمتها فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث، التي أشادت بمعرض الشارقة الدولي للكتاب، وقالت إنه يسجل هذا العام تاريخاً جديداً للثقافة الإماراتية والعربية ولصناعة المعرفة وسوق الكتاب، لكونه تصدر للمرة الأولى منذ انطلاقته قبل أربعين عاماً معارض الكتب العالمية كافة، وتم إعلانه المعرض الأكبر في العالم على مستوى بيع وشراء حقوق النشر، متفوقاً في ذلك على معارض يزيد عمرها على القرن. كما أكدت المنصوري أن هذا الإنجاز يأتي تجسيداً لرؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم إمارة الشارقة، الذي آمن بأن المنجزات الراسخة وبناء المجتمعات والحضارات القوية لا يمكن أن يتحقق إلا بالاستناد على المعرفة وقوة الكتاب.

فيما أشار الظنحاني إلى أن الأمثال والأقوال شكل قديم من أشكال التعبير عند الشعوب ولاسيما العرب، موضحاً أن الأمثال والأقوال الشعبية تبنى على خبرات متوارثة وعلى المشاهدات والملاحظة لتعبر عن رؤية واقعية، لكنه نوه إلى أن كثيراً من الأمثال والأقوال التي تتعلق بالظواهر الجوية بدأت تتلاشى حالياً لقلة تداولها بين الأجيال الحديثة، رغم أنها لا تزال محفوظة في صدور كبار المواطنين.

وأوضح الظنحاني أن هناك فرقاً بين الظواهر الجوية والظواهر الطبيعية، حيث تختص الأولى بالرياح والمطر والضباب وما يتعلق بالغلاف الجوي، فيما تختص الثانية بالزلازل والبراكين والتسونامي. وتناول الظنحاني في محاضرته القصص والأمثال والأقوال المتعلقة بالمطر لاسيما أنه جمع كثيراً منها في كتابه «المطر في الموروث الشعبي الإماراتي» الذي أصدرته دار نبطي للنشر، ومنها الأمثال والمقولات المتعلقة بطلب الغيث مثل «الغيم يحوم والرب رحوم»، وتلك الداعية إلى أخذ الحذر مثل «من طلع سهيل لا تأمن السيل»، «إن لظ في القبلة ارقب له» وغيرها من المقولات التي تحث على الانتباه للظواهر الجوية.

كما أورد أيضاً الأقوال والأمثال التي تتنبأ بالطقس مثل «من غبرت غدرت»، و«اطوي العلق ويا الرشا لي شفت براقٍ نشا»، و«لي ضببت خببت»، و«يا مي شوهي بشاير الحيا قالت طوير البلنسا واختلاف الهبايب». وشهدت المحاضرة عدداً من المداخلات التي دعا فيها المتداخلون إلى إيلاء المزيد من الاهتمام لجمع

المقولات الشعبية والأمثال، كما دعوا المحاضر إلى جمع المعتقدات الشعبية الإماراتية المتعلقة بالمطر في كتاب، وذلك لأهمية توثيقها بعد أن بدأت في الاندثار.

أدب الرحلات في التراث الإماراتي

وكانت المحاضرة الثالثة ضمن البرنامج الثقافي المصاحب لجناح نادي تراث الإمارات في معرض الشارقة الدولي للكتاب يوم العاشر من نوفمبر بعنوان «أدب الرحلات في التراث الإماراتي» تحدثت فيها الكاتبة والإعلامية عائشة سلطان نائبة رئيس اتحاد كتاب الإمارات، وقدمها الدكتور محمد الفاتح زغل الباحث في مركز زايد. وتناولت عائشة في حديثها بعض التجارب والخبرات من رحلاتها، التي سجلتها في كتابها «هوامش في المدن والسفر والرحيل» الذي يضم قصص أكثر من عشرين عاماً من الرحلات، حيث توقفت عند بعض المحطات المهمة التي تركت أثراً كبيراً في ذاكرتها. وفي حديثها عن السفر أشارت إلى أنه قديماً كان نشاطاً اضطرارياً تدفع إليه الحاجة بسبب إرهاقه وتكلفته، لذلك ارتبط بطلب الرزق أو طلب العلم أو الاستشفاء حتى وصل مع تطور الحياة إلى أن يصير من أجل المتعة، كما أكدت من جهة أخرى أن ثقافة التنقل موجودة في الذهنية الإماراتية كتراث معروف منذ القدم. واستدلت على أهمية السفر في عصرنا الحالي وأنه أصبح مرادفاً للحرية بأن الميثاق الدولي لحقوق الإنسان تضمن حق التنقل بوصفه أحد حقوق الإنسان.

واستعرضت عائشة تجاربها مع السفر منذ طفولتها بمختلف وسائل التنقل، كما تحدثت عن المصايف القديمة لأهل الإمارات مثل باكستان والهند ولبنان ومصر، والأثر الذي خلفته تلك الأماكن في الثقافة المحلية.

وفيما يتعلق برؤيتها الشخصية عن السفر، قالت عائشة إن السفر بالنسبة إليها ليس رحلة ذهاب وعودة في المكان، بقدر ما هو رحلة في النفس لاكتشاف من أنت، وخلصت إلى أن السفر يعلم التسامح وقبول الآخر. وأضافت: «بالنسبة لي لا يعني أدب الرحلات أن نقص قصة أسفارنا، بل إنني أتكلم عما التقطته وبعنيني، وهو الإنساني الذي يربط الجميع».

حضر الفعالية سعادة علي عبد الله الرميثي المدير التنفيذي للدراسات والإعلام في نادي تراث الإمارات، وبدر الأميري المدير الإداري لمركز زايد للدراسات والبحوث، ولفيف من المهتمين بأدب الرحلة والإعلاميين جمهور المعرض.

كتابان عن الكنايات والمتاحف

كما نظم النادي ضمن فعاليات مشاركته في معرض الشارقة للكتاب، يوم العاشر من نوفمبر، حفل توقيع كتاب "معجم الكنايات الشعبية الإماراتية" للدكتورة عائشة الغيص الذي أصدره النادي حديثاً، ويتناول الكنايات العامية الإماراتية وأصلها الفصيح وفق تصنيف يشمل الموصوف والوصف والكناية الرمزية.

كما نظم حفل توقيع يوم الثاني عشر من نوفمبر لكتاب «المتاحف الخاصة في الإمارات: دراسة وأمثلة» تأليف محمد الحبسي الذي يعد أول مرجع علمي يتعلق بالمتاحف الخاصة في الدولة ■

استراتيجيات كبرى واستشراف للمستقبل

«زايد للدراسات» ينظم ندوة «الإمارات والخمسين»

أبوظبي - قسم الإعلام

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات بالتعاون مع جامعة زايد في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر الماضي، ندوة بعنوان «الإمارات والخمسين المقبلة: استراتيجيات كبرى واستشراف للمستقبل».

شارك في الندوة كل من سعادة عبد الله آل صالح وكيل وزارة الاقتصاد، وسعادة سلطان محمد الشامسي مساعد وزير الخارجية والتعاون الدولي لشؤون التنمية الدولية، وسعادة الدكتورة آمنة الضحاك الشامسي الوكيل المساعد لقطاع الرعاية والأنشطة في وزارة التربية والتعليم، وسعادة محمد باهارون المدير العام لمركز دبي لبحوث السياسات العامة، وأدارت الندوة فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث. حضر الندوة سعادة علي عبد الله الرميثي المدير التنفيذي للدراسات والإعلام في نادي تراث الإمارات، وطلاب كلية الشرطة، وأساتذة وطالبات جامعة زايد، وجمع من الشخصيات العامة والإعلاميين والمهتمين.

بدر الأميري: القيادة الملهمة

وأكد بدر الأميري المدير الإداري لمركز زايد للدراسات والبحوث في كلمة باسم نادي تراث الإمارات إيمان النادي بأن المنجز العظيم الذي تحقق في الدولة كان بفضل القيادة الملهمة التي حبا بها الله الإمارات، وبفضل الإخلاص والوفاء وحسن الانتماء والعطاء من كل إماراتي، وأن المزيد من العطاء سيعزز الوصول إلى الأهداف المرجوة للعقود الخمسة المقبلة.

إنجازات تاريخية

وألقى الدكتور فارس الهواري عميد كلية العلوم الطبيعية والصحية في جامعة زايد، كلمة باسم الجامعة، أكد فيها أن دولة الإمارات تدخل إلى الخمسين المقبلة متوجة بإنجازات تاريخية خلال الخمسين المنصرمة، تؤسس عليها للانطلاق نحو المستقبل، مشيداً بوثيقة مبادئ الخمسين التي تعكس روح الاتحاد وقيمه السامية قيم التسامح والتعايش والخير والعطاء الإنساني التي شكلت ركائز لمسيرة الدولة.

قراءة في وثيقة الخمسين

وأكدت فاطمة المنصوري أن الندوة التي جاءت في إطار احتفالات نادي تراث الإمارات باليوم الوطني الخمسين لدولة الإمارات العربية المتحدة تعد قراءة في وثيقة الخمسين التي لخصت ما وجه به صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، وما اعتمده صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة من توجهات جديدة لدولة الإمارات خلال المرحلة التاريخية المقبلة.

دور الاقتصاد في تحقيق رؤية الخمسين

وتناول عبد الله آل صالح دور الاقتصاد في تحقيق رؤية الخمسين ومبادرات الوزارة في فتح الشراكات الاقتصادية مع الدول الأخرى، وقال إن المبادئ العشرة حددت مركزية الأهداف الاقتصادية بحيث تكون السياسة في خدمة الاقتصاد.

كما تحدث عن تطوير منظومة التشريعات في الدولة لتواكب النقلة النوعية في الاقتصاد، مضيفاً: «مع افتخارنا بما تحقق في الخمسين الماضية إلا أننا ننظر إلى ما سنحققه في الخمسين المقبلة»، مؤكداً أن التطلع إلى المستقبل هو أساس نمو وازدهار المجتمعات. ووصف آل صالح إن الإنجازات التي تمت منذ الاتحاد وإلى الآن في الاقتصاد بأنها مشرفة في كل المجالات، مشيراً إلى أن في الإمارات اليوم اقتصاداً متنوعاً يشكل فيه النفط فقط 30 % من الناتج المحلي الإجمالي والبقية تأتي من القطاعات الخدمية والصناعية.

وسرد عدداً من الإحصائيات والمؤشرات التي تدل على المراتب المتقدمة لدولة الإمارات في المؤشرات الاقتصادية العالمية والعربية، حيث توجد ضمن المراتب العشر الأولى في مؤشرات الأداء الاقتصادي عالمياً، وفي المرتبة 18 عالمياً في المساهمة في التجارة العالمية، والأولى عربياً في استقطاب الاستثمارات الأجنبية، وضمن أفضل 20 مكاناً تفضله الشركات للاستثمار. وخلص إلى أن الإمارات بيئة استثمارية محفزة وجاذبة، مؤكداً سعيهم للحفاظ على هذه المكانة ومن ثم القفز إلى مراحل جديدة حتى تحقيق رؤية القيادة الرشيدة للخمسين المقبلة بأن تكون الإمارات أفضل اقتصاد وأفضل بيئة عيش واستثمار على مستوى العالم. وتحدث سلطان الشامسي عن المساعدات الإنسانية التي تقدمها دولة الإمارات، مؤكداً أن البعد التنموي والإنساني كان جزءاً أصيلاً من الدولة منذ تأسيسها. وألقى الضوء على أدوار صندوق أبوظبي للتنمية والجمعيات الخيرية التي أنشئت في الدولة منذ وقت مبكر. وتناول الشامسي بالتفصيل المراحل الأربع التي مر بها قطاع المساعدات الخارجية وهي التأسيس، والتوسع، والتخصص، والقيادة، مبيناً أن الإمارات تعمل بشكل لصيق مع المانحين الآخرين والمنظمات الدولية، وأضاف: «لدينا اليوم أكثر من 45 مؤسسة تقدم مساعدات تنموية وإنسانية وخيرية».

كما تناول الشامسي الجانب الإنساني في الاستثمارات الإماراتية في الخارج، وأثرها الإيجابي على المجتمعات، مشيراً إلى أن العلاقات الخيرية والإنسانية للدولة سبقت العلاقات السياسية مع الدول. واستعرض تاريخ المساعدات الإماراتية، وضرب مثلاً بمساعدة أكثر من 136 دولة خلال جائحة كورونا مؤخراً، ثم خلص إلى أن المساعدات ظلت جزءاً أصيلاً من السياسة الخارجية للإمارات.

دور قطاع التعليم في السنوات المقبلة

من جانبها أكدت الدكتورة آمنة الضحاك الشامسي على دور قطاع التعليم في السنوات المقبلة، وبينت المراحل التي سيصل إليها في الخمسين القادمة ضمن خطط تطوير المنظومة التعليمية البيت وضعتها وزارة التربية والتعليم.

وأكدت أن الشباب يتمتعون في ظل القيادة الرشيدة بفرص ذهبية لتنمية مواهبهم ومهاراتهم في مختلف العلوم والفنون ضمن المجالات التعليمية الموجودة على مستوى الدولة، وعلى المستوى العالمي.

وتطرقت إلى الحديث عن التعامل مع جائحة كورونا في الدولة والتغلب عليها عن طريق مواصلة المسيرة التعليمية التي لم تتوقف سواء أكان بالتعليم الحضوري أو الهجين، مشيرة إلى أن قطاع التعليم يؤثر على نمو القطاعات الأخرى.

كما تحدثت عن المهارات المطلوبة في سوق العمل في السنوات المقبلة داعية إلى أن يكون التعليم متوافقاً مع تلك المطلوبات، والتركيز على مرونة المنظومة التعليمية ونموها بشكل مستمر لاستيعاب مثل تلك المتغيرات، ودعت الأجيال الحديثة إلى التفكير في مستقبلهم وأين سيكونون في مئوية الدولة بعد خمسين عاماً من اليوم.

ديمومة وشمولية وتكامل

وتحدث محمد باهارون عن المبادئ العشرة مركزاً على ثلاثة عناصر تتصف بها بوصفها مبادئ وهي عنصر الديمومة لكونها طويلة الأجل، وعنصر الشمولية بمعنى أنها ليست محصورة في فئة أو حيز، بل يتشاركها الجميع، وعنصر التكامل الذي وصفه بأنه مبدأ مهم جداً إذ ينبني على تكامل الأدوار.

كما تناول باهارون الأبعاد التي تشكل المبادئ العشرة، بدءاً من البعد الإنساني الذي أشار إلى أنه مرتبط بالتنمية الإنسانية وهي مهمة جداً حيث لا يمكن الحديث عن اقتصاد المعرفة من دون وجود المفكرين والمبدعين حيث صار الإنسان هو الثروة المستقبلية.

أما البعد الثاني فهو الاقتصاد لكونه أساس التعاملات بين الدول ومحدد علاقاتها ببعضها، والبعد الثالث هو البعد العالمي باعتبار أن الإمارات جزء من المنظومة العالمية ولديها مسؤوليات تجاه العالم، وقال إن الدور الإنساني للإمارات هو جزء من هذه المسؤولية، مشدداً على أن التسامح يسهل التعاون العالمي لذا كان جزءاً مهماً من المبادئ ■

نظمها نادي تراث الإمارات

ندوة إحياءً لذكرى رحيل **المغفور له الشيخ سلطان بن زايد**

أبوظبي - قسم الإعلام

نظم مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر الماضي، في مسرح أبوظبي، ندوة بعنوان «الإرث الحي في المجتمع الإماراتي.. قيم الأصالة والمعاصرة والانفتاح رؤية ومنهجاً وممارسة إنسانية».
جاءت الندوة إحياءً لذكرى رحيل المغفور له الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، رحمه الله التي صادفت الثامن عشر من نوفمبر سنة 2019.

حضر الندوة الشيخ الدكتور خالد بن سلطان بن زايد آل نهيان، وشارك في إثراء محاورها كل من سماحة المستشار السيد علي بن عبد الرحمن الهاشم مستشار الشؤون القضائية والدينية بوزارة شؤون الرئاسة، والدكتور محمد الفاتح زغل باحث رئيسي في مركز زايد للدراسات والبحوث، والقس أنطونيوس ميخائيل راعي كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس في أبوظبي، والباحث الأكاديمي الدكتور خالد سليمان البلوشي. ومن المرافقين الخاصين للمغفور له الشيخ سلطان بن زايد شارك كل من السيد محمد الغبشي العامري، والسيد حمودة بن الزفنة الحرسوسي، و أدار الندوة الباحث والإعلامي مسلم العامري. شهد الندوة سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي مدير عام نادي تراث الإمارات، وسعادة علي عبد الله الرميثي المدير التنفيذي للدراسات والإعلام، وسعادة عبد الله ماجد آل علي مدير عام الأرشيف الوطني بالإنابة، وطلاب كلية الشرطة في أبوظبي. وألقت فاطمة المنصوري مديرة مركز زايد للدراسات والبحوث كلمة باسم نادي تراث الإمارات ذكرت فيها مآثر المغفور له الشيخ سلطان بن زايد الذي توفاه الله في مثل هذا اليوم منذ عامين، وأشارت إلى أن تنظيم الندوة جاء بهدف استحضار عطاء الفقيد في خدمة وطنه وأمته العربية، منوهة بقيادته لنادي تراث الإمارات الذي أسسه، ليجعل منه أنموذجاً يُحتذى به في العمل على صون الموروث الوطني.

محطات في مسيرة الشيخ سلطان

تتبع الدكتور محمد الفاتح زغل في ورقته أهم المحطات التي في مسيرة الشيخ سلطان بن زايد، مشيراً إلى أن رؤية المغفور له تشكلت من ثلاثة محاور هي التراث والإعلام والتعليم، منوهاً بتأسيسه لمركز زايد للتراث والتاريخ في عام 1998 الذي أصدر ما يزيد عن 250 كتاباً في تاريخ وتراث دولة الإمارات العربية المتحدة. أما في مجالي الإعلام والتعليم فأشار الدكتور محمد الفاتح إلى أن

المغفور له كان شخصية ثقافية فريدة حيث استطاع من مواقعه كافة تأكيد هذه الفرادة التي أظهرتها النجاحات المتواصلة لنادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث حين تعبر عن رؤيته المستقبلية المهتمة ببناء الإنسان.

قيم رفيعة وصفات نبيلة

أشاد سماحة المستشار السيد علي بن عبد الرحمن الهاشم بالقيم الرفيعة التي تحلى بها الفقيد الشيخ سلطان بن زايد وقال إنه كان ذا صفات نبيلة داعية إلى السعادة والأمن والاستقرار والتسامح القائم على العدل.

كما أثنى على جهود المغفور له في نشر العديد من عيون الكتب العلمية، ووصفه بأنه كان متمسكاً بثوابت الدين وبما كان عليه والده المغفور له الشيخ زايد.

مؤمن بالحضارة محب للتراث

قال القس أنطونيوس ميخائيل في كلمته إن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه لم يهمل التراث رغم إيمانه بالحضارة والمدنية ومستجدات العصر، فأصبح التراث حياً تتناقله الأجيال عبر الزمان. وأشار إلى أن من حمل الشعلة من بعده في هذا المجال كان لمغفور له الشيخ سلطان بن زايد الذي حافظ على التراث وأحياه، واستدل على ذلك بنادي تراث الإمارات وأنشطته.

من جانبه قدم الدكتور خالد سليمان البلوشي نبذة عن نشأة فقيد الوطن الشيخ سلطان بن زايد والمناصب التي شغلها في الدولة، مشيراً إلى أن الراحل أكتسب العديد من صفات والده المغفور له الشيخ زايد وكان رائداً من رواد التعليم، وكان من المساهمين في تطوير القوات المسلحة، وأضاف أن ما تميز به الشيخ سلطان هو حبه للإنسانية وحرصه على تقديم المساعدة لمن يحتاجها. وتحدث أيضاً كل من السيد محمد الغبشي العامري، والسيد حمودة بن الزفنة الحرسوسي المرافقان للمغفور له حيث قاما بسرد العديد من المواقف التي تبين عظمة الراحل وحبه لوطنه وللإنسان. وفي الختام قدم الشاعر محمد بن يعروف المنصوري قصيدة رثاء في الفقيد الشيخ سلطان بن زايد، ولاقت القصيدة استحسان الحضور.

في معنى الدولة وأهاليها

د. فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

حين يرى المرء القطوف الدانية، والثمار اليانعة تفرح نفسه، فتقر عينه، وإذا كان حاله هذا وهويتأمل الحدائق المزروعة فكيف به إذا رأى حصاد خمسين عامًا على نشأة الإمارات العربية المتحدة، وما حققته من إنجازات مبهرة على مختلف الصُعد؟ لقد تجاوزت فتقدمت مراتب عدة في المقاييس والمعايير الدولية؛ وبلغت عنان السماء متجاوزة إياها الفضاء، بالوصول للمحطة الدولية للفضاء والهبوط على سطح المريخ.

منذ خمسين سنة انطلق الاتحاد من فكرة وليدة طموحة إلى واقع مزهر، غدت فيه الدولة جنة أرضية يرنو لها الجميع بعين الإعجاب والتقدير. فما المبادئ الأساسية التي تأسست عليها الدولة؟ تأملت هذا الموضوع من خلال شعر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - حيث ذكر أهميتها. ولعل ما يلفت النظر هنا تخصيصه لقصيدة قائمة بذاتها، عن هذا الموضوع، وعنوانها يتني الأمثال مطبوعة، يقول مطلعها:

يتـني الأمثـال مطبوعـه فـي سجـل تشـوق قاريهـا
من صديح صاب موضوعـه في معنى الدولـة واهاليهـا

ووصف في القصيدة ذاتها الدولة وأهلها:

دار عـزونـاس مرفوعـه بالجـدا وكتـاب باريهـا

إنه عزّ الناس من عزّ بلادهم، من خلال وقوفهم على المسار الصحيح والطريق القويم؛ من أجل صون مبادئ دولتهم، بحكمة وحسن تصرف، وبالدفاع عنها بكل أنواع الأسلحة المعنوية والمادية.

إن أساس بناء الدولة لدى الأب المؤسس هو الإيمان بالاتحاد كدعامة ومكون أساسي،قائم على التعاون والمحبة؛ لأنه نوع من أنواع الرزق والخير، الذي أكرم الله به دولتنا الحبيبة، في ذلك يقول المغفور له الشيخ زايد:

الله عطانا خـيروانعـام والحمـد له واجب علينـا
ي اللي عطانا إيمـان وإلهام من فضله الضـافي علينا

الإيمان بالاتحاد، دوره ورسالته؛ من أجل قيام دولة مستقرة متماسكة مزدهرة، احتاج إلى العمل المنظم والمخطط له، على مدارسنوات وسنوات، بجهد وإخلاص، بهمة لا تعرف التوقف ولا الفتور، وفي ذلك يقول:

قام الوطن تخطيـط ونظام زان وتزخـرف به بهينـا
دولة تطـورعـزّ واسـلام وبين الأمـم دولة بنينـا

ودار العز والناس المرفوعة الرأس، بتكاتفها مع القيادة وإيمانها بدورها في المجتمع ستحول الصحراء إلى جنة خضراء، فيها كل ما تطيب به الأنفس، تقرّ العيون وتبتهج، سيغير حالها على مرور الأيام، ومنها قوله:

واليوم صـارت جنة أحـلام تزخـربفـل ويـاسمينا

قامت الدولة على العقول المتعلمة النيرة، القلوب المحبة المتسامحة، كل امرئ يعمل في مجاله، في مكان عمله،مصنعه، مزرعته،تجارته،مدرسته،وجامعته. هم الشباب الباني الذي يوجه حديثه لهم في قصيدته المشهورة:

يا شباب الوطن لبّوا نداكـم واحموا الدار ضد الطامعين
والشهامه لكم من مستواكم وكل طايش لـه الردع المهين

وسلاحهم في ذلك الحكمة وحسن التصرف، فهم الشباب الشجعان الغطاريف، فلابد أن يتحركوا لحماية الوطن ومكتسباته، قائلًا لهم:

ياذا الشبـاب اللي غطاريف هبوا لوقـت السعد لي زان
هبوا بعقل وحسـن تصريف معكم ثقافة وعلـم واتقان
وشهايـد مـن دون تزيـف يبغي الوطـن سـور وبنيان

كما يرحب بالجيش، وأبطاله واصفًا إياهم بالصقور،والأسود التي تذودعن الوطن في قوله:

مرحبا يا هلا حي بالشهامـه مرحبا بالصقور المخلصـين
ضامنين الوطن صانوا احترامه قدرهـم عندنـا عالي وثمين

وللوطن سور وبنيان يحميهما الإنسان بعلمه وعمله، وبسلاحه الذي يصون ويحمي الدولة ومكتسباتها.دامت الإمارات بخيروعزة وعاش العلم خفاقاً عالياً في سماء المجد ■

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خطُة لرفد المشهد الثّقافيّ الإماراتيّ بإصدارات متنوّعة كلَّ عامٍ فيما يخص تراث وتاريخ الإمارات فقط. تغني المكتبة التراثية الإماراتية، وتفتح منافذ معرفيّة جديدة أمام الباحث الإماراتي والعربيّ، وذلك بدعوة المؤلّفين والباحثين والكُتّاب والأدباء الإماراتيين والعرب إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها وتوزيعها في المركز والمشاركة بها في المعارض والفعاليّات الثّقافيّة، ويمكن للراغبين في ذلك إرسال مؤلّفاتهم؛ لنشرها بعد أن يُقِرّها فريقُ تحكيم من المختصّين. يُقدِّم المركز لمؤلّف الكتاب مكافأة ماليّة تتراوح بين (1500 - 2500 دولار أمريكي). يَشْمل هذا المبلغُ التعويضَ عن حُقوق نَشْر الكتاب، وطباعته، وترجمته، لمُدة خَمْسِ سَنَواتٍ من تاريخ إبرام العَقْدِ بين المركز والمؤلّف. كما يُقدِّم المركز عشرين نسخة للمؤلّف بعد طباعة الكتاب.

شروط النّشر

- أن يكون موضوع الكتاب متصفاً بالجِدّة، والموضوعيّة، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفيّة، وألا يُخلَّ بالقيم العربيّة الأصيلة.
- ألا يكون الكتاب رسالة من رسائل الماجستير أو الدكتوراه أو جزءاً من هذه الرّسائل.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً.
- ألا يكون الكتاب مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغة الكتاب هي اللّغة العربيّة الفصيحة.
- ألا يكون الكتاب مترجماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجيّة العلميّة في التّأليف، وخصوصاً الأمانة العلميّة، والإحاطة بالموضوع، والاعتماد على المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش في أمكنتها من كلّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً ألفبائيّاً بحسب لقب المؤلّف، أو أسرته، أو قبيلته، وأن تُقسم بحسب أنواعها: المصادر، المراجع، الدّراسات، وبحسب لغتها العربيّة أو الأجنبيّة.
- أن يكون الكتاب مُنضَّداً بالحاسوب بصيغة الوورد، ومُصحّحاً، ومرفقاً بنسخة ورقيّة على وجه واحد.
- يُرفَق الكتاب بخلاصة وافية في حدود مائتي كلمة باللغة العربية.
- يُرفق الكاتب مع الكتاب نبذة مختصرة عن حياته العلمية، تتضمَّن اسمه الثلاثي، وبلده، وعنوانه البريديّ والإلكترونيّ، وعمله، وصورة شخصية ملونة حديثة له.
- ألا يقل الكتاب عن (مائة وخمسين صفحة)، وألا يزيد عن (250 - 350 صفحة)، على قياس A 4 وبونط 16 Simplified Arabic أو Times New Roman
- تَتَولَّى هيئةُ تحكيمٍ مختصةٌ مراجعةَ الكتاب وتَقييمِه وإصدارِ قرارٍ نهائيٍّ في أمر طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله.
- يلتزم الكاتبُ، في حال الموافقة على طباعة الكتاب شريطة تنفيذ بعض التّعديلات، بإجراءَ التعديلات المقترحة من هيئة التحكيم.
- لا تُرَدُّ الكتب المُعتذَر عن نشرها إلى أصحابها.
- يُستبعَد أيُّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- تُرسَل الكتب على نسختين وورد وبي دي اف على الإيميل الخاص بالكتب وهو: **torthbook@ehcl.ae**

السلسلة التراثية الثقافية (6)
مركز زايد للدراسات والبحوث

البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة

شمسة حمد العبد الظاهري

«البحر في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة» كتاب يتناول الدور الحيوي الذي لعبه البحر في حياة أهل الإمارات في فترة ما قبل اكتشاف النفط، وكيف شكل لهم تراثاً غنياً متنوع الجوانب والألوان وفيه العديد من الدلالات والمعاني، فهو يشمل رحلات الماء وما تحمله من وقائع وحكايات وسرديات وتاريخ وأهازيج شعبية، وأمثال وألغاز، ومصطلحات بحرية شكلت معجماً لغوياً شفوياً غنياً بدأ يتراجع أمام التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها التي طرأت على حياتنا المعاصرة؛ ومن هنا تأتي أهمية جمع هذا التراث البحري ونقله إلى الأجيال المقبلة.

ويتناول هذا الإصدار موضوعات مختلفة كطرق الصيد القديمة التي زاولها أبناء الإمارات وعن مغاصات وصيد اللؤلؤ وزراعته وتجارته، وعن صناعة السفن والمراكب وعن أنواع سفن الغوص والموانئ البحرية في الإمارات.

كما يتطرق بالحديث عن البحر في الأدب الشعبي الإماراتي، وعن ذكريات وقصص أبناء الإمارات مع البحر ودور الطب الشعبي في علاج أمراض الغوص. ويضم الباب الأخير مجموعة من القصص والحكايات من التراث البحري الإماراتي برواية خميس بن راشد بن زعل الرميثي، أحد أهم رواة التاريخ الإماراتي الحديث، وهو مختص في التراث البحري الإماراتي.